في

فقه الإصلاح والتجديد

عند الإمام حسن البنا

# ركـــن الجهـــاد

## أو

## الركن الذي لا تحيا الدعوة إلا به

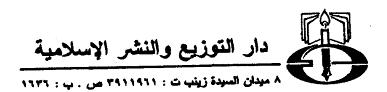
تحليل وشرح أعده

الدكتور علي عبد الحليم محمود

من علماء الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م



بسم الله الرحمن الرحيم

## إهــداء ...

إلى المؤمنين الذين يعملون الصالحات،

وإلى الذين هداهم الله إلى الحق وإلى الطريق المستقيم،

وإلى الذين ينادون مخلصين بأن الإسلام هو الحل لكل مشكلات الإنسان.

إليهم أقدم هذه الحلقة الرابعة من سلسلة:

فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى.

حلقة ركن الجهاد أو الركن الذي لا تحيا الدعوة إلا به.

سائلاً الله تبارك وتعالى أن ينفع بها من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

**علي عبد الحليم محمود**



## بين يدي الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فهذه هي الحلقة الرابعة من هذه السلسلة: في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا رحمه الله، وهي حلقة ركن الجهاد، وقد سألني بعض قراء الحلقات الأولى من هذه السلسلة أن ألقي ضوءاً على عنوان السلسلة، حيث لم أفعل ذلك في الحلقات الثلاثة الأولى ظنا مني أنها لا تحتاج إلى شرح.

وهأنا أفعل سائلاً الله التوفيق.

● **الفقه** ـ في هذا العنوان ـ مصطلح يعني التعمق في الفهم، كما يعني إخراج الفهم من حيز النظرية إلى مجال التطبيق، وكذلك كان يفقه الإمام البنا رحمه الله الإصلاح والتجديد، ويحاول ما وسعه الجهد والجهاد أن يخرج كلا منهما من مجال الكلام والتنظير إلى ميدان العمل والجهاد.

● **والإصلاح**: يكون للأمر أو للشيء الذي فيه فساد ـ أي خروج عن الاعتدال ـ بعد وجوده صالحاً، وقد كان للإمام البنا فقه في إصلاح ما فسد من حال المسلمين وظروفهم، بل فهمهم للإسلام نفسه، كما كان له فقه في إصلاح من فسد من المسلمين ليعود به إلى حال الصلاح الذي فطره الله عليه أو الذي يجب أن يكون عليه، وكثيراً ما كان يقول:

إن شعب الإخوان ودورهم، وإن الدعوة إلى الله تشبه المشفى يدخلها المريض فيصح وينصلح حاله.

● والتجديد هو الترميم والإصلاح والتغيير لما عليه الحال، وبخاصة إذا كان هذا الحال ليس صالحاً، وهذا التجديد من سنة الله في المصلحين المجددين من المسلمين، كما جاء ذلك على لسان النبي الخاتم محمد ﷺ: **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»**(١).

● ومن التجديد مواكبة المتغيرات وإحسان التعامل معها، إما بهضمها فكريا وثقافيا بحيث تتلاءم مع العناصر الأساسية للأمة، ولا تتعارض مع شيء من أصول الدين وأحكامه، وآدابه، ولا تؤدي إلى تشويه الشخصية المسلمة؛ وذلك أن العجز عن مواكبة هذه المتغيرات وبخاصة ما كان منها ملائما أو غير معارض لقيم الإسلام، هذا العجز يعتبر لونا من ألوان الجمود الفكري والتخلف العلمي والتراجع الحضاري، وكل ذلك غير محمود، بل غير جائز من الأمة المسلمة التي أراد الله تعالى لها أن تكون الأمة الوسط التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

● وكان للإمام البنا في ذلك التجديد فقه مواكب لهذه المتغيرات موجه لها بما يتفق وقيم الإسلام وأحكامه، وضح ذلك في كثير من الرسائل التي كتبها للإخوان خاصة، وفي مقالاته التي كتبها للمسلمين عامة.

● وليست رسالة «التعاليم» التي نتصدى منذ فترة لشرح أركان البيعة العشرة فيها، ليست تلك الرسالة إلا فقها للإصلاح والتجديد على نحو ما بينا في تحليل هذه الأركان في كتبنا الثلاثة السالفة:

١- ركن فهم أصول الإسلام.

٢- وركن الإخلاص في مجالات العمل الإسلامي.

٣- وركن العمل، أو منهج الإصلاح الإسلامي للفرد والمجتمع.

٤- وركن الجهاد أو الركن الذي لا تحيا الدعوة إلا به - وهو كتابنا هذا.

---

(١) رواه أبو داود والحاكم بسنديهما عن أبي هريرة.

● وفقه الإصلاح والتجديد بالنسبة لركن الجهاد، وهو ما نتصدى له في هذا الكتاب بالتحليل والشرح، سائلين الله التوفيق.

- إن الجهاد: وهو الدعوة لدين الحق، وبذل ما في الوسع لمجاهدة أعداء الإسلام كل أنواع الجهاد - على نحو ما سنوضح في هذا الكتاب - هذا الجهاد بهذا المعنى هو تجديد وإصلاح، بل هو ألصق الأعمال بذلك، وأولى الأعمال بمواجهة الفساد والإفساد، ومواكبة التغيير والعمل المستمر على التطوير والتحديث لأمور الحياة الدنيا، أو تغيير الجوانب غير الثابتة من حياة المسلمين، على اعتبار أن الجوانب الثابتة في حياة المسلم - وهي ما يتصل بالعقائد والعبادات والقيم الخلقية - غير قابلة للتغيير أو التطوير.

- وذلك هو التجديد الذي أشار إليه الحديث النبوي الشريف الذي ذكرناه آنفًا: **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»**.

● ولقد كانت قضية التجديد في أمور الدين وما تزال، من أكثر القضايا احتمالاً لاختلاف وجهات النظر بين المفكرين والمصلحين من المسلمين.

● ونستطيع أن نرصد في فاتحة هذا الكتاب مذاهب ثلاثة في هذا التجديد، نعرضها هنا ليستبين القارئ أيها أولى بالاتباع، وأيها أقرب إلى فقه الإصلاح والتجديد:

**المذهب الأول:**

وهو مذهب يقوم على رفض التجديد مطلقًا، والوقوف بقوة في مواجهته، واعتباره بكل معطياته خروجًا على الشريعة الكاملة التامة، لأنه يتضمن دلالة على أن الشريعة الإسلامية في احتياج لهذه المتغيرات، والأصل ألا يكون هناك احتياج.

- إن أنصار هذا المذهب يغفلون عن طبائع الأشياء، وطبيعة الحياة الإنسانية المستمرة في التغيير والتلاؤم مع المستجدات، إنهم لم يقبلوا هذه المستجدات بحجة لو تأملوا فيها وتدبروا لأراحوا واستراحوا، إذ كيف يتخذون هذا الموقف الرافض

لكل تجديد دون التدبر في الحديث النبوي الشريف الذي يخبر بأن الله تعالى يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها.

● إن من شأن المسلمين أن يحاولوا التجديد في أمور الدين لا في أمور الدنيا وحدها، وبخاصة في الأمور المتغيرة وغير الثابتة.

● إن بعض هؤلاء الرافضين للتجديد ينادون بأن المسلمين اليوم يجب أن يعيشوا في القرن الخامس عشر الهجري على نحو ما كان يعيش عليه أو به المسلمون الأوائل من وسائل العيش وآلياته، بل أنماطه في الملبس والمسكن والمطعم والمشرب وما إلى ذلك!!!

● وبعض هؤلاء ينادون بأن التجديد في أي أمر من أمور الحياة يُعد من المحرمات التي لا يجوز للمسلمين أن يقترفوها!!!

ولا أحب أن أسمي هؤلاء ولا أولئك وإن كانت أسماؤهم، وانتماءاتهم لا تخفى على أي مثقف مسلم، لأني لا أرغب في إدانة من اجتهدوا فأخطأوا، فالله تعالى يتولاهم ويتولانا جميعاً بما يصلح لنا أمور ديننا ودنيانا.

● وعلى وجه القطع والتأكيد، لم يكن الإمام حسن البنا من أنصار هذا المذهب، ولا ممن يقبلون ما ينادي به، لا أقول هذا من عند نفسي، ولا استئناساً بما كنت عليه من قرب ومعرفة بالإمام البنا رحمه الله، ولكني أقول ذلك من خلال دراستي لما كتب الإمام البنا من رسائل ومقالات وكتيبات ومذكرات تعرضت لشرحها وتحليلها في كتابي: «منهج التربية عند الإخوان المسلمين»[1].

● ويستطيع كل قارئ لوثائق الجماعة وأوراقها التاريخية وكلمات الإمام البنا وخطبه أن يتأكد من ذلك بنفسه.

---

(١) كتاب موسع من جزءين كبيرين حللت فيه وثائق الجماعة وأوراقها التاريخية وأنا بصدد التعرف على منهج الجماعة في التربية نشرته دار الوفاء بالمنصورة بمصر في طبعته الأولى سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

● وليست دراستنا لهذه السلسلة: في فقه الإصلاح والتجديد عن الإمام حسن البنا إلا أدلة موثقة على صدق ما نقوله من أن الإمام لم يكن يرفض التجديد رفضا مطلقاً، وإنما كان ممن يأخذون بهذا التغيير والتجديد في ظل القواعد الشرعية المعروفة.

● وبغض النظر عما جرَّ إليه هذا المذهب من تهجم أعداء الإسلام على الإسلام نفسه لا على المسلمين أصحاب هذا المذهب؛ لأن هؤلاء الأعداء يخلطون غافلين أو عامدين بين الإسلام والمسلمين ـ بغض النظر عن هذا ـ وهو خطير ـ فإن أنصار هذا المذهب يسيئون إلى فقههم للإسلام، وإلى كل من اتبعهم فسار على مذهبهم بصفة عامة، فإذا نظرنا إلى هذا المذهب من خلال فقه الدعوة والحركة من أجل الإسلام فإن أعداداً كبيرة من المسلمين المثقفين سوف ينصرفون عن الإسلام نفسه نفوراً من هذا المذهب، وخوفاً من نتائج الأخذ به.

● وأنصار هذا المذهب ليسوا قليلي العدد، وإنما لهم وجود بل حضور في كثير من بلدان العالم الإسلامي، وإن كانوا بمذهبهم هذا يساندون فكراً لا يستطيع أن يواجه الحياة فضلاً عن أن يبقى ويستمر.

● وحسبنا أن نذكر من سلبيات هذا المذهب ما يلي:

ـ أن التجديد ليس شراً كله ـ كما يزعمون ـ وأن بعض هذا التجديد يجب الأخذ به إذا لم يتعارض مع الثوابت في حياة المسلمين.

ـ وأن التجديد ليس معناه قبول كل جديد دون فحص ـ كما يتوهمون ـ لما يوافق الإسلام وما يعارضه، ومعنى ذلك أن رفضه كله دون تمييز، تفويت لمصالح قد تعود على المسلمين في حاضرهم، أو تفويت لأمور قد تدفع عن المسلمين بعض الشر والضرر.

ـ وأن هذا الموقف منهم معناه رفض الاستفادة من تراث الحضارة الإنسانية برمته، مع أن هذا التراث ملك للبشرية كلها، وأن للناس جميعًا أن ينتفعوا بما فيه،

بل عليهم ذلك وبخاصة إذا لم يكن هذا التجديد مخالفًا لقيم دينهم.

**والمذهب الثاني:**

وهو مذهب يدعو إلى إعادة النظر في تراث المسلمين برمته، ثم تطويعه وتغييره ليلائم التجديد الذي جاء به هذا القرن العشرون ويرون في هذا العمل مرونة ومواكبة للمتغيرات، بل يرونه تجديداً!!!

● وهؤلاء وإن قالوا بتقديس كل ما جاء في القرآن الكريم من أحكام وقيم، إلا أنهم يعترضون على أمرين هامين، يعد الاعتراض عليهما في غاية الخطورة، لأنه في الحقيقة اعتراض على بعض ما شرع الله.

**هذان الأمران هما:**

الأول: مكان المرأة من النظام الاجتماعي في الإسلام، حيث يتصورون ـ مخطئين ـ أن الإسلام حرمها من بعض حقوقها التي تمارسها المرأة في الغرب.

والآخر: الحدود التي شرعها الإسلام بقطع يد السارق ورجم الزاني المحصن وجلد الزاني غير المحصن، وجلد شارب الخمر والقاذف في الأعراض، حيث يتصورون ـ مخطئين أيضاً ـ أن إقامة هذه الحدود قسوة بل وحشية يغني عنها عقاب بالسجن أو التغريم!!!

● ولست بحاجة هنا إلى أن أرد هذا المذهب والقائلين به إلى منابعهم ومصادرهم ومرجعياتهم، فهي أوضح من أن انبه إليها أو افصل القول فيها، بل حسبي أن أشير إشارة عابرة إلى ذلك فأقول:

ـ إن أصحاب هذا المذهب تأثروا فيه بتقاليد الثقافة الغربية، حيث تجدهم جميعاً ممن رُبُّوا تربية غربية أو ثقفوا ثقافة غربية في جامعات الغرب ومعاهده ومدارسه، أو واصلوا دراساتهم العليا هناك، سواء أكانت هذه الجامعات والمعاهد في بلاد الغرب أم كانت في بلدان العالم الإسلامي الذي كان وما يزال يعج بالجامعات والمعاهد التي تفرض ثقافتها وتوجهها المناقض للتوجه الإسلامي على

أبناء المسلمين!!!

ولو شئت أن أسمي هؤلاء بأسمائهم لفعلت، ولكن ما جدوى هذا وما تأثيره؟

وهؤلاء جميعاً - إلا من رحم ربي - أحدثت فيهم الثقافة الغربية ما لا بد لها أن تحدثه، وقد اتضح هذا في أمرين خطيرين:

**أحدهما:**

زعزعة ثقتهم في الإسلام منهجه ونظامه وما جاء به من أحكام وأخلاق وآداب.

**والآخر:**

إقناعهم بشكل مباشر أو غير مباشر، واقتناعهم بأن الدين الإسلامي دين متجمد غير صالح لهذا الزمان، لأنه جاء لزمان مضى ومضى أهله معه.

- وهذه وتلك مقولتان لعدد من أعداء الإسلام من المستشرقين من شرق وغرب ممن يدينون باليهودية أو الصليبية.

- وأصحاب هذا المذهب يرددون هذه المقولات دون وعي لأبعادها وآثارها في نفوسهم وذويهم وأوطانهم، فرحين بأنهم أصبحوا غربيين أو يساريين أو علمانيين أو تقدميين أو ثوريين!!!

- وهؤلاء وإن وقف بعضهم في مواجهة الاستعمار تجاوباً مع متطلبات سياسية - ربما رسمت لهم - فطالبوا بالتحرر من الاستعمار، إلا أنهم سقطوا في حمأة الأفكار الاستعمارية الغربية المعادية للإسلام، وتبنوْها بإخلاص الدعوة إليها والترويج لها، وسموا ما قاموا به في ذلك تغييراً أو تجديداً أو تطويراً أو تنويراً!!!

- وهؤلاء الذين يدعون إلى هذا المذهب وقعوا بهذا في أخطاء كثيرة بعضها فكري ثقافي، وبعضها وطني سياسي، وبعضها إسلامي، ونحب أن نذكر من هذه

الأخطاء ما يلي:

## الأول:

سوء فهمهم للإسلام، وضحالة ثقافتهم فيه حتى إن بعضهم يجهل أولياته كما يبدو ذلك في كتاباتهم، ومع هذا الجهل يكتبون عن الإسلام كأنهم يعرفونه!!!

## والثاني:

انبهارهم بكل ما هو غربي وتقبله تقبلاً مطلقًا بكل ما فيه من عيوب ـ كما قال قائلهم ـ دون فحص أو تمييز لغثه وسمينه مع أن الغث فيه مما يخالف الدين ليس بالقليل، ولست أدري كيف تقبلوه دون أن يخضعوه لمنهج الشك الذي أخضعوا له الدين؟ أو لمنهج العلم والمنهجية الغربية في البحث التي تعلموها هناك؟

## والثالث:

أنهم فقدوا الثقة في قدرة الإسلام ومنهجه على حل مشكلات الناس، وعلى مواجهة المتغيرات بأسلوب علمي يأخذ ويترك وفق معايير معينة، حتى إن بعض غافليهم ـ وما أكثر الغافلين منهم ـ يتندر بمقولة: إن الإسلام هو الحل كأنها مقولة غير صحيحة!!!

## والرابع:

أنهم تحولوا نتيجة لكل هذا إلى أن أصبحوا دعاة أو أذنابًا للفكر الغربي المناوئ للإسلام في ماضيه وحاضره ـ والمعادي للمسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض، حتى ولو كانوا مسلمين أوربيين كمسلمي البوسنة والهرسك وكرواتيا ـ ومن أجل هذا فإنهم يستعينون دائمًا بخبراء الغرب في حل المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية، ولأن هؤلاء الخبراء أعداء في الحقيقة فإن المشكلات في تزايد وتراكم، والدليل على هذا هو الكم الهائل من الديون والتبعية والتخلف الحضاري المشاهد على رقعة العالم الإسلامي كله!!!

والخامس:

أنهم رفضوا كل منهج إسلامي للإصلاح مقدمًا، وأدانوه قبل أن يعرفوه فضلاً عن أن يجربوه، وجرموا المنادين به وزجوا بدعاته في السجون والمعتقلات، بل قتلوا بعضهم في رائعة النهار، ومن نجا من القتل شرد، وتوبع في مهربه بما يشق على أحد احتماله، كل هذا مع تبجحهم بأنهم من دعاة الحرية ومن أنصار حقوق الإنسان!!!

والسادس:

أنهم صنفوا من كان معهم في موالاة الغرب أو الشرق ومعاداة الإسلام بأنهم الشعب وأنهم حماة المكاسب الشعبية ودعاة التنوير، وصنفوا المتمسكين بمنهج الإسلام بأعداء الشعب وأعداء مكاسبه ودعاة الرجعية والغيبيات والظلاميات ـ كما يقولون ـ يفعلون هذا موالاة للغرب وللعلمانية وللشيوعية المنهارة في عقر دارها، ويتلقون كل يوم صفعات بأحذية الغرب والشرق على أقفيتهم، وبركلاته الموجعة في نظامهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بحيث قد أصبحت استفاقتهم من أثر ذلك مستحيلة أو تكاد!!!

والسابع:

أنهم ـ وبتأثير أعداء الإسلام فيهم ـ حرموا الإسلاميين من التعبير عن أنفسهم وبرامجهم السياسية والإصلاحية بوصفهم مواطنين، وأدانوا كل صوت ينادي بالإسلام وكل إصلاح يقوم على منهج الإسلام، وحظروا بقوانينهم الجائرة المصطنعة التي تناقض ما يزعمون من ديموقراطية إنشاء أي حزب إسلامي، مع أن العالم الغربي الذي اتخذوه قبلة لهم مليء بالأحزاب اليهودية والمسيحية بل إن هناك دولة بكامل كيانها تقوم على المسيحية هي «الفاتيكان»!!!

لقد صرّح أكثر من واحد من رؤسائهم بأنه لن يسمح بقيام حزب إسلامي طالما هو حيي!!!

إن الغرب وإن كان يرضيه التضييق على الإسلام والمسلمين إلا أن العقلاء منهم

يسخرون من هذا التصريح من رئيس يقول إن نظام الحكم في بلاده ديموقراطي!!!

**والثامن:**

أنهم وقد أعماهم الحقد على الإسلام ومنهجه في الإصلاح حرموا المسلمين من حقوقهم السياسية يوم جاءت بهم صناديق الانتخابات أو لعبة الديموقراطية التي يهذون بها، كما حدث مع جبهة الإنقاذ الإسلامي في الجزائر، وما هو إلا أن تحركت فرنسا التي كانت تقول: إن أرض الجزائر امتداد لفرنسا، فتحرك الجيش الجزائري بانقلاب فعزل الشاذلي بن جديد وألغى الانتخابات وقتّل وسجن وطارد المسلمين في الجزائر في قصة، سوف لا ينساها التاريخ ولو بعد ألوف السنين، ولا تزال أحداث القصة تجري حتى الآن، ولكن الله من ورائهم محيط.

**والتاسع:**

إن كثيراً من حكام تلك الأنظمة الموالية للغرب في نظامه القديم أو نظامه «البوشي الجديد» أخذت تستعدي الغرْب على الإسلاميين فيها وتطلب منه الخبراء والوسائل التي تقمع بها كل حركة إسلامية، مع أن ذلك في محصلته على حساب حريتها واستقلالها، وهو مما يتطلب كفاح عشرات السنين من أجل التخلص من هذه التبعية وأولئك الخبراء وتلك الآليات في التنصت والرصد والتسجيل، ولهؤلاء وأوليائهم نقول: ﴿ ... لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٩].

**والعاشر:**

وهو الأخير في جمعنا لهذه الأخطاء، هو مناصبة العداء لأي حكم إسلامي أو حكومة إسلامية في أي مكان من العالم كراهية للإسلام وخوفًا على ثقافة الغرب وقيمه ومصالحه، كما حدث في الوقوف ضد الثورة الإسلامية في إيران وقوفًا غربيًا أولاً ثم عربيًا بإغراء مشئوم العراق بالدخول في حرب استمرت ثمان سنوات أكلت الأخضر واليابس من البلدين المسلميْن، وكما يحدث الآن من التضييق على

السودان وحصاره سياسيًا واقتصاديًا تلك مجمل أخطائهم، وهذه غاية جهدهم، غير أن المد الإسلامي آخذ في الازدياد، وحركة التجديد والإصلاح ماضية في طريقها، لا تبالي بما يضعه العدو في هذا الطريق من عقبات ولا بما تقدمه من ضحايا وشهداء، ولا بد أن يأتي يوم تتحقق فيه سنة الله في دعوته ودعاته، فيكتسح ذلك ما أمامه من باطل وزيف وخداع وفساد، وسنة الله كونية لا تعرف توقفًا في أي زمان أو مكان، وهي سنة أكدتها آيات القرآن الكريم وكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي نشير إلى بعضها فيما يلي:

- قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم: ٤٧].

- وقال عز وجل: ﴿ **... كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ** ﴾ [الرعد: ١٧].

- روى الإمام أحمد بسنده عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس».**

- وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: يقال ضَلَّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمير، تكرمةَ الله لهذه الأمة».**

● ولقد تقدم الإمام البنا رحمه الله بأكثر من برنامج للإصلاح إلى الحكام في مصر، وفي مختلف أقطار العالم الإسلامي وكان برنامجًا نابعًا من الإسلام من الكتاب والسنة، وطالبهم بتطبيقه ولكن هؤلاء الحكام - وكان أكثرهم إن لم أقل جميعهم - يعيشون تبعية للغرب - رفضوا هذا البرنامج فساقوا البلاد برفضهم هذا

إلى المهاوي في السياسة والاقتصاد والثقافة والتعليم والإعلام، ومكنوا بهذا الرفض لأعداء الإسلام من البلدان الإسلامية، حتى أصبح هذا العدو اليوم يسيطر على رغيف الخبز والثقافة والتعليم والإعلام، وعلى حرية التعبير، فضلاً عن السيطرة السياسية والاقتصادية والدفاعية!!!

### والمذهب الثالث:

وهو مذهب يقوم على استبعاد الرفض المطلق للتجديد، واستبعاد القبول المطلق لكل ما هو جديد. وإنما هو مذهب وسطي يقبل ما لا يتعارض مع ثوابت الإسلام ويرفض ما يتعارض في عقلانية وحيادية وإيمان باهمية التجديد.

● وهذا المذهب هو الذي أخذ به الإمام البنا وأخذت به جماعة الإخوان المسلمين منذ وضع قانونها الأساسي، كما سنوضح ذلك بنصوص من القانون ـ وهو أهم وثيقة من وثائق الجماعة.

● إنه مذهب الإصلاح والتجديد مع المحافظة على الأصالة والحرص على القيم الثابتة التي جاء بها الإسلام.

ولهذا المذهب أسس يعتمد عليها يمكن أن نوجزها فيما يلي:

### أولاً:

الإصلاح لكل ما فسد من أمور المسلمين في الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية والإعلامية والتربوية عمومًا، والحضارية بوجه أعم.

### ثانيًا:

التجديد لكل ما بلى أو تقادم أو تآكل في نفوس الناس من عقائدهم وعباداتهم، وقيمهم الخلقية، بحيث تتفق مع الإسلام.

● وهذان الأساسان يستهدفان أن يستعيد الإسلام حقيقته في نفوس المسلمين، ويعيد بناء تركيبه الوظيفي في الحياة ليستقيم به الناس على الحق، وينجحوا به في تحقيق مصالح دنياهم وأخراهم.

**ثالثًا:**

الاهتمام بالخبرة التاريخية للمسلمين، ووضعها في الاعتبار عند ممارسة أي إصلاح أو تجديد، إذ من الخطأ الفادح إهمال هذه التجارب التاريخية مع غنائها وقدرتها على إعطاء العظة وتعميق الرؤية، ولقد علمنا القرآن هذا النظر والتأمل في الماضي قريبه وبعيده لأخذ العبرة، وشق طريق صحيح في الحياة، وما أكثر الآيات القرآنية التي طالبت بذلك.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ...﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقد تكرر طلب السير في الأرض في القرآن الكريم أربع عشرة مرة[١].

**رابعًا:**

وضع الوظيفة الحضارية للإسلام في الاعتبار، وذلك أن الإسلام ليس مجرد عقائد وعبادات وقيم، وإنما هو حضارة كاملة بكل ما تعطيه الحضارة من معنويات وماديات، وبكل ما تنادي به الحضارة الإسلامية من تقدير وتكريم للإنسان، وبكل ما تطالب به من إحسان التعامل مع الحيوان والنبات والجماد، ومفردات الكون كله.

إنها حضارة تقوم على الاعتراف بالروح والعقل والبدن طاقات إنسانية من حق الإنسان أن يعبر عنها في إطار من الشرعية التي تحفظ حقوقه وحقوق غيره.

إنها حضارة النظم الدقيقة للمجتمع في سياسته واقتصاده، وفكره وثقافته، ولذلك كانت حضارة تضيء الإيمان والإسلام وتلزم بالعدل والإحسان، وتوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدعو للجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا.

---

(١) وذلك في سور الحج: ٤٦، والروم: ٩، وفاطر: ٤٤، وغافر: ٢١، وغافر: ٨٢، ومحمد: ١٠، وآل عمران: ١٣٧، والأنعام: ١١، والنحل: ٣٦، والنمل: ٦٩، والعنكبوت: ٢٠، والروم: ٤٢، وسبأ: ١٨.

**خامساً:**

أن على الأمة الإسلامية كلها وعلى الأخص دعاتها أن تدعو إلى الله وأن تبذل في سبيل الدعوة إليه ما تستطيع من جهد ووقت ومال وجهاد، فلا دعوة بغير جهاد، وأن الدعوة إذا عطلت أو حصرت في المتخصصين في علوم الإسلام ضاق ميدانها وخسرت كثيراً من الرجال القادرين عليها، وهي لا تحتاج لأكثر من أن يكون الداعي على بصيرة بما يدعو إليه: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف: ١٠٨].

**سادساً:**

وعلى المسلمين في شتى بقاع الأرض أن يتمسكوا بجذور حضارتهم الإسلامية وألا يصرفهم عنها صارف، ويجعلوا ولاءهم لها لا لسواها من حضارات الغرب والشرق، فإن تلك الحضارات تخلو من الإيمان بالله الواحد الأحد، وتهمل التكاليف الشرعية، وتطلق العنان للحيوان الكامن في الإنسان، فتبيح الصلة الجنسية بغير زواج شرعي بل تبيح اللواط والسحاق «الشذوذ الجنسي» وتعلي قدر المادة على حساب الروح.

**سابعًا:**

رفض المفهوم المغلوط الشائع القائل بعلمانية الدولة والحكم.

● وإنما كان هذا المفهوم شائعًا لأن كل من هب ودب واستطاع أن يمسك قلما ويسوِّد قرطاساً، وتوظفه حكومة علمانية كاتبًا وتعطيه في صحافتها حيزاً، أصبح يتبنى فكرة علمانية الدولة بمعنى طرد الدين من الساحة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية فضلاً عن الإعلامية.

وكل من جهر بهذا وأساء للإسلام كافاته الدولة بحجة أن هذه هي حرية الرأي، لكن عندما يعبر الإسلاميون عن آرائهم فتلك جرائم تستوجب الاعتقال والتعقب والمراقبة ورصد حركة السفر والتوقيف في المطار ذهابًا وعودة!!!

إن الدولة في معظم بلدان العالم الإسلامي بل والغربي تكافئ بل تكرم كل من تهجم على الإسلام وافترى عليه المفتريات، بل إن بعضهم يقابله رؤساء الدول، ويمنح المال والمنصب والجاه والحراسة المشددة كأنه رئيس دولة ظالمة!!!

إن بعض هذه الدول المسلمة تكافئ المتهجم على الإسلام بمكانة ومكان في إحدى وسائل الإعلام، وتمد له في الأسباب حتى يتخم وتفيض جوانبه إفرازات مضادة للدين عموماً وللإسلام على وجه الخصوص، يحدث هذا في الوقت الذي يحرمون فيه على الإسلاميين أن يحلموا مجرد حلم بحكومة إسلامية[1]!!!

● وأما أن هذا المفهوم مغلوط ينادي به الغافلون عن الفروق الدقيقة بين ما نادت به أوربا من علمانية وما ينادون هم به من علمانية.

فنستطيع أن نذكر من هذه الفروق ما يلي:

ـ العلمانية التي نادت بها أوربا، هي أقصى درجات عداء أوربا للكاثوليكية وما كان فيها من سلبيات مارستها الكنيسة ورجالها، ومع ذلك لم تصل هذه العداوة إلى رفض الدين جملة وتنحيته عن حياة الناس، واستبعاد الظاهرة الدينية في عمومها، وإنما كانت رفضا للمنظمات الكنسية التي عانت منها أوربا مئات السنين، ورفض اشتراك هذه المنظمات الكنيسية في المشاركة في صنع القرار السياسي فحسب.

ـ والعلمانية التي ينادي بها معظم المسيطرين على الحكم في البلدان الإسلامية، علمانية ابتدعوها، وزادوا فيها على علمانية أوربا رفضهم للدين كله مبادئه وقيمه ودعاته، وتحديهم لكل حركة إسلامية، بل لكل حزب إسلامي، مطلقين أسوأ الصفات وأخسها على كل ما هو إسلامي، بخلطهم بين الإسلام وبين أخطاء بعض المسلمين، والعداء الشديد الذي يصل إلى السجن والقتل لكل من ينادي بالإسلام نظام حكم ومنهج حياة.

---

(١) انظر جريدة الأهرام المصرية اليومية يوم ١/٨/٩٤ مقال في مكان ثابت للأستاذ سيد ياسين.

كل ذلك فعلوه باسم العلمانية، والعلمانية من كل ذلك براء إذ لم تقتل أوربا من يعرفون عندهم برجال الدين ولم تسجنهم ولم تشردهم ولم تشوههم، وإنما قصارى ما دعت إليه علمانية أوربا هو رفض التنظيمات الكنسية وليس رفض الدين المسيحي!!!

إن علمانيتهم مزيج من العلمانية واليسارية والشيوعية والاشتراكية واللادينية!!!

- وثالث الفروق بين علمانية أوربا وعلمانيتهم أنهم جهلوا أن الإسلام لا يوجد فيه منظمات تضم رجال دين لهم سلطة على الناس وسلطة على الجنة والنار وقدرة على مغفرة الذنوب وبيع قراريط في الجنة، ولهم كراسي اعتراف يجلس عليها العصاة الراغبون في التوبة.

● تجاهلوا ذلك كله، وأخذوا يحاربون في غير ميدان ويزورون المعارك ويختلقون أسبابها، وتناسوا أن الإسلام يعرف وحدة العقيدة ووحدة العبادة ووحدة القِبْلة ووحدة النظام القيمي ولا يعطي سلطة دينية لأحد على أحد.

● وتجاهلوا أن الإسلام منهج حياة كاملة ونظام متكامل للحياة الإنسانية، تأتي فيه السياسة والاقتصاد جزءاً صغيراً من كل كبير، وذلك أن الإسلام ومنهجه هو الإطار الكبير لكل مرافق الحياة الإنسانية.

● والفرق شاسع بين الإسلام بسماحته ومرونته وقدرته على مواكبة كل المتغيرات، وبين الحكومة الدينية «الثيوقراطية» كما يعرفها الغرب، وكما غالط فيها دعاة العلمانية المبتدعة، ودعاة نبذ الإسلام بزعمهم أنه حكومة دينية يجب أن يحمل أوزار «الثيوقراطية والكاثوليكية» والمنظمات الكنسية في العصور التي كانت تتحكم فيها الكنيسة في البلاد والعباد!!!

● وهؤلاء العلمانيون المغالطون يصرون على ما يقولون، ويؤيدهم في ذلك كل حاكم ظالم مستبد يحكم بالحديد والنار والقهر والعبث بحقوق الإنسان، ليقين هذا الحاكم بأنه قد يشتري العلمانيين بعرض من أعراض الدنيا فيسكتون عن ظلمه

بل يبررون استبداده ويشيدون به وبعدالته، وماذا يمنع هؤلاء أن يفعلوا وهم يعلمون أن صاحب السلطة يخلعهم ويجردهم إن هم امتنعوا، بينما هو على يقين بأن الإسلاميين لا يشترون بشيء، ولا يرضون عن استبداد الحاكم بحال!!!

● إن الحاكم المستبد يقول للناس بلسان حاله - كما قال سلفه - ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ويقول بلسان مقاله ما قاله سلفه أيضًا: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، وما كان ذلك يرضي الإسلام ولا المسلمين بحال من الأحوال.

## مذهب الإمام البنا في الإصلاح والتجديد:

يقوم هذا المذهب على الأسس التي أشرنا إليها آنفًا حيث وعدنا بأن نستدل على ذلك بالقانون الأساسي لجماعة الإخوان المسلمين.

ومن ذلك ما نشير إليه فيما يلي:

١ - الفقرة «أ» من المادة الثانية. ونصها هو:

«شرح دعوة القرآن شرحًا دقيقًا يوضحها ويردها إلى فطريتها وشمولها، ويعرضها عرضًا يوافق روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات».

٢- والفقرة «ب» من المادة الثانية أيضًا، ونصها هو:

«جمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنية وتجديد أثرها الكريم فيها، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة».

٣- والفقرة «حـ» من نفس المادة الثانية، ونصها هو:

«تنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها والعمل على رفع مستوى المعيشة».

٤- والفقرة «د» من نفس المادة الثانية، ونصها هو:

«تحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعي لكل مواطن، والمساهمة في الخدمة الشعبية، ومكافحة الجهل والفقر والرذيلة، وتشجيع أعمال البر والخير».

٥– والفقرة «هـ» من نفس المادة الثانية، ونصها هو :

«تحرير وادي النيل والبلاد العربية جميعاً والوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي، ومساعدة الأقليات الإسلامية في كل مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملاً، والسير إلى الجامعة الإسلامية».

٦– والفقرة «و» من نفس المادة الثانية، ونصها هو :

«قيام الدولة الصالحة التي تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليًا، وتحرسها في الداخل وتبلغها في الخارج».

٧– والفقرة «ز» من نفس المادة الثانية، ونصها هو :

«مناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة في ظل المثل العليا الفاضلة التي تصون الحريات وتحفظ الحقوق، والمشاركة في بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة، كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة».

فهذه كلها أهداف إصلاحية تجديدية تضمنها القانون الأساسي للجماعة.

ومن رسالة «عقيدتنا» وهي من أقدم رسائل الجماعة حيث كتبت كالقانون الأساسي سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م.

وقد جاء فيها مما يدل على مذهب الجماعة في الإصلاح والتجديد ما يلي :

«أعتقد أن من واجب المسلم إحياء مجد الإسلام بإنهاض شعوبه وإعادة تشريعه، وأن راية الإسلام يجب أن تسود البشر، وأن من مهمة كل مسلم تربية العالم على قواعد الإسلام.

وأتعهد : بأن أجاهد في سبيل أداء هذه الرسالة ما حييت، وأُضحي في سبيلها بكل ما أملك».

«أعتقد أن المسلمين جميعاً أمة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية وأن الإسلام يأمر أبناءه بالإحسان إلى الناس جميعاً».

وأتعهد : بأن أبذل جهدي في توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين، وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم».

«أعتقد أن السر في تأخر المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وأن أساس الإصلاح العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه، وأن ذلك ممكن لو عمل له المسلمون، وأن فكرة الإخوان المسلمين تحقق هذه الغاية.

وأتعهد : بالثبات على مبادئها والإخلاص لكل من عمل لها، وأن أظل جنديًا في خدمتها أو أموت في سبيلها».

كما سوف نستدل على ذلك بما جاء في كثير من رسائل الإمام البنا، على نحو ما سنتناوله في ثنايا هذا الكتاب إذا شاء الله ويسر وأعان.

إن فقه الإصلاح والتجديد عن الإمام حسن البنا هو الوسط، وهو الاعتدال، وهو المحافظة على الأصالة مع الإصلاح والتجديد، وهو مواكبة المتغيرات بعقل مفتوح وقلب سليم وروح وثابة ذات طموح.

وكل ذلك لا يستطيع أن يرى النور ولا أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ إلا بالجهاد.

الجهاد بكل مراتبه وكل أنواعه.

وهذا ما نرجو الله تبارك وتعالى أن يوفقنا إلى توضيحه في حديثنا عن ركن الجهاد، الركن الذي لا تحيا الدعوة إلا به - كما قال الإمام البنا رحمه الله، ونفع بعلمه، ووفق السائرين على درب الإصلاح والتجديد والعمل من أجل الإسلام، أولئك المهديين بهدى النبوة، إنه على ما يشاء قدير.



# الفصل الأول

## ضوء على مفهوم الجهاد ويتناول

١- كلمة الجهاد في اللغة.

٢- مفهوم الجهاد في القرآن الكريم.

٣- مفهوم الجهاد في السنة النبوية المطهرة.

٤- الجهاد عند فقهاء المسلمين.

٥- الجهاد والإكراه في الدين.

٦- الجهاد في سبيل الله موضوعه ووسيلته وميدانه.

٧- أحكام تتعلق بالجهاد.

٨- مكانة الجهاد في الإسلام.



## ضوء على مفهوم الجهاد

### ١ - كلمة الجهاد في اللغة:

تقول كُتب اللغة: إن الجهاد والمجاهدة هي: استفراغ الوسع في مدافعة العدو وجاهد العدو: قاتله.

● والجهاد: هو الدعاء لدين الحق.

● والجهاد: يكون باليد وباللسان، قال رسول الله ﷺ: **«جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم»**.

● وقال الفيروز أبادي في كتابه: «بصائر ذوي التمييز...»[١]:

الجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مجاهدة العدو، روى الترمذي بسنده عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله»**.

● والجهاد: ورد في القرآن الكريم للدلالة على معان عدة منها:

**الأول:**

مجاهدة الكفار والمنافقين بالبرهان والحجة قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ...﴾** [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩]، وقال عز وجل: **﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾** [الفرقان: ٥٢].

**والثاني:**

جهاد أهل الضلالة بالسيف والقتال، قال الله تعالى: **﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [النساء: ٩٥]، وقال جل وعلا: **﴿إِنَّ**

(١) الفيروز أبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢/٤٠٢.

الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

**والثالث:**

مجاهدة مع النفس، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦].

**والرابع:**

مجاهدة مع الشيطان بالمخالفة، طمعًا في الهداية، قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

**والخامس:**

جهاد القلب لنيل الوصل والقرب، قال الله تعالى: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج: ٧٨].

● وقال الراغب الأصفهاني:

الجهاد: ثلاثة أضرب:

- مجاهدة العدو الظاهر.
- ومجاهدة الشيطان.
- ومجاهدة النفس.

وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿ **وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٤١]، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقال ﷺ: **«جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم»[١].**

---

(١) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن: ١٠١ ط الحلبي - القاهرة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

## ٢- مفهوم الجهاد في القرآن الكريم:

وردت كلمة الجهاد في صيغة الأمر في القرآن الكريم في أربعة مواضع:

**الأولى**: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وفي هذه الآية الكريمة وحدها ركائز أربعة إذا أخذ بها العاملون من أجل الإسلام فازوا وانتصروا على أعدائهم وهي:

- الإيمان بالله بكل مفرداته.
- وتقوى الله بكل معنى من معانيها..
- والتقرب إلى الله بكل وسائل التقرب وأسبابه.

**والثانية**: قول الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

وفي هذه الآية الكريمة أمر بالجهاد على كل حال، لأن المفسرين قالوا: إن الإنسان لا يخرج عن أن يكون خفيفًا أو ثقيلاً، أي قادراً على القتال بسلاح خفيف أو ثقيل، أو ماشيًا وراكبًا، أو نشطًا للاشتراك في الجهاد أو كان شديداً شاقًا عليكم.

**والثالثة**: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦].

ففي الآية أمر بالجهاد بعد الأمر بالإيمان، لأن الجهاد بغير إيمان ليس جهاداً في سبيل الله، وفي الآية إدانة لمن يستأذنون ليقعدوا عن الجهاد وهم قادرون عليه.

**والرابعة**: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وفي الآية الكريمة أمر بالجهاد حق الجهاد وهو أن يكون عبادة الله لا رغبة في الدنيا من حيث الاسم والغنيمة، أو أن يكون حق الجهاد هو أن يجاهد المؤمن في سبيل الله لا يخشى في جهاده لومة لائم، أو استفرغوا وسعكم في إحياء دين الله وإقامة حقوقه بالحرب باليد واللسان وجميع ما يمكن، وردوا أنفسكم عن الهوى والميل، بكل ذلك قال المفسرون.

- كما وردت كلمة القتال بمعنى الجهاد في آيات قرآنية كريمة كثيرة نذكر منها ما يلي:

● قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٣].

● وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وفي الآية الكريمة تحديد للهدف الذي يقاتل من أجله المؤمنون وهو سبيل الله أي منهجه وما يرضيه وما يأمر به.

وتحديد للهدف الذي يقاتل من أجله الكفار، وهو سبيل الطاغوت.

والطاغوت: كل مُتَعَدٍ متجاوز للحق، وكل معبود غير الله، ولذلك سمي الساحر والكاهن والمارد من الجن، والصارف عن طريق الخير طاغوتاً.

● وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

● وقال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

والآية الكريمة تطالب المسلمين ان يقاتلوا المشركين مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة، يريد: تعاونوا وتناصروا على ذلك ولا تتخاذلوا ولا تتقاطعوا، وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة الأعداء.

ويقول ابن عباس في معنى هذه الآية الكريمة: قاتلوهم بكليتهم ولا تحابوا بعضهم بترك القتال، كما أنهم يستحلون قتال جميعكم.

● وقال جل وعلا: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٣٩، ٤٠].

والمعنى: مطالبة المؤمنين بقتال الكفار، لان الكفار دائمًا يسعون باعظم وجوه السعي في إيذاء المؤمنين وفي إلقاء الشبهات في قلوبهم وفي إلقائهم في وجوه المحنة والمشقة ليفتنوهم عن دينهم، وإذا وقعت المقاتلة زال الكفر والمشقة، وخلص الإسلام وزالت تلك الفتن بالكلية.

●وقال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وفي الآية الكريمة أمر بقتال المشركين لدخولهم في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ...﴾، وامر صريح مباشر بقتال اهل الكتاب حتى يعطوا الجزية فحينئذ يقرون على ما هم عليه بشروط ويكونون عند ذلك من

أهل الذمة والعهد.

وقتال المؤمنين لأهل الكتاب مشروط بان تتوفر في أهل الكتاب صفات أربعة هي:

ـ أنهم لا يؤمنون بالله، وهم في الحقيقة كذلك، لأن اليهود مشبهة يزعمون أنه لا وجود إلا الجسم وما يحل فيه، والله تعالى موجود وليس بجسم ولا حال في جسم، فهم بقولهم هذا ينكرون وجود الله.

والنصارى يقولون بالأب والابن وروح القدس والحلول والاتحاد وكل ذلك ينافي الإلهية والإيمان بالله الواحد الأحد.

ـ وأنهم لا يؤمنون باليوم الآخر، وذلك أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بالبعث الجسماني، ويميلون إلى البعث الروحاني.

ـ وأنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله.

والآية الكريمة ـ كما يرى المفسرون ـ تحتمل معنيين:

● الأول: أنهم لا يحرمون ما حُرم في القرآن والسنة.

● والآخر: أنهم لا يعملون بما في التوراة والإنجيل، بل حرفوهما وأتوا بأحكام كثيرة من عند أنفسهم، ولو عملوا بما فيهما لآمنوا بما جاء في القرآن والسنة.

ـ وأنهم لا يدينون دين الحق، اي لايعتقدون في صحة دين الإسلام الذي هو دين الحق.

● وهم بهذه الصفات الأربعة يعدون من أهل الكتاب ولهم حكم خاص في قتال المسلمين لهم، إذ يعاملهم المسلمون على الدخول في الإسلام أو دفع الجزية والبقاء على دينهم، أو قتالهم إن رفضوا هذا وذاك. بخلاف المشركين فإن الواجب دعوتهم إلى الإسلام وتوضيح الحق لهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هى أحسن، فإن رفضوا ذلك قوتلوا.

● وهكذا يتضح مفهوم الجهاد في القرآن الكريم، ويتبين أنه مرادف للقتال في كثير من الآيات القرآنية الكريمة.

### ٣- مفهوم الجهاد في السنة النبوية المطهرة:

الأحاديث النبوية التي وردت في الجهاد، وتسهم في توضيح مفهومه كثيرة، نذكر منها ما يلي:

- روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله».**

- وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل».**

ومعنى القتال هنا هو الجهاد لنشر الدين والإيمان بالله وبمحمد ﷺ وبما جاء به، ولتأكيد أن الله تبارك وتعالى محاسب الناس على كفرهم يوم القيامة.

- وروى مسلم بسنده عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم.**

**ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم.**

**ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.**

وإن حاصرت أهل حصن، وأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله، ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله.

وإذا حاصرت أهل الحصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا».

ومعنى الغزو في هذا الحديث الشريف هو الجهاد، ولا بد أن يكون الجهاد باسم الله، وفي سبيل الله، وأن يكون لقتال من كفر بالله، وأن يكون مسبوقًا بالدعوة إلى الإسلام...

- وروى أبو داود بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم، وألسنتكم».

ومعنى الجهاد في هذا الحديث الشريف هو التضحية في سبيل الله بالمال والنفس، وتسخير اللسان للجهاد في سبيل الله، أي إن الجهاد هنا يشمل جهاد اللسان بالكلام والكتابة، وجهاد اليد بالقتال والحرب، وجهاد البذل في سبيل الله تعالى.

- وروى الحاكم في مستدركه بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة تحت ظلال السيوف».

والمعنى هنا: أن الجهاد في سبيل الله جزاؤه أغلى جزاء وأعلاه وهو الجنة، فالجهاد طريق إلى الجنة.

وبعد هذه الاستشهادات من السنة النبوية نستطيع القول بأن الجهاد في سبيل الله معناه «استفراغ الجهد والطاقة والمال والنفس في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن جزاء هذا العمل هو أكرم جزاء وأحسنه في الدنيا وهو النصر على العدو والتمكين لدين الله في الأرض.

وجزاؤه الأخروي هو أفضل ما يجزي الله به عباده المخلصين وهو الجنة.

## ٤- الجهاد عند فقهاء المسلمين:

فقهاء المسلمين في مختلف عصورهم إنما عدوا فقهاء إسلاميين لأنهم استطاعوا استنباط الأحكام الفقهية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

هؤلاء الفقهاء قالوا:

إن الجهاد في سبيل الله أربعة أنواع:

**الأول** : جهاد النفس.

**والثاني**: جهاد الشيطان.

**والثالث**: جهاد أهل الظلم والمنكرات.

**والرابع**: جهاد أعداء الله من الكفار والمنافقين ومن إليهم.

ثم أخذ الحذاق منهم يفصلون القول في كل واحد من هذه الأنواع الأربعة على النحو الذي أوجزناه فيما يلي سائلين الله التوفيق.

## جهاد النفس

قالوا: إن جهاد النفس يكون في مجالات أربع هي:

١- جهاد النفس بحملها على تعلم الدين، ومعرفة الحق، حيث لا فلاح في الدنيا والآخرة إلا بهذا التعلم وتلك المعرفة، وقد أجمل القرآن هذا النوع من جهاد النفس في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

ومعنى الآية كما يرى المفسرون أن كل مسلم مطالب بأن يعلم ويتبين، ويعرف معنى: لا إله إلا الله، فإذا عرف ذلك التزم، وإذا قصر في التزامه استغفر لذنبه.

ومن علم وعرف «لا إله إلا الله» آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وآمن بما جاء به خاتم أنبيائه محمد ﷺ من منهج ونظام كامل

للحياة الإنسانية كلها.

٢- وجهاد النفس على العمل بما علم وعرف، والعمل الصالح الذي شرعه الله وطالب به هو الترجمة الحقيقية للإيمان، فلا إيمان بغير عمل، والعمل هو ما أمر الله به، واتباع كل ما جاء به محمد ﷺ.

ودليل طلب الله تبارك وتعالى العمل من الناس قوله سبحانه: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقوله جل شانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

٣- وجهادها على تعليم غيرها من الناس ما تعلمته وعرفته من العلم والعمل، فتلك هي صفات المسلم الذي يفقه دينه، والذي أراد الله له الخير، وتأصيل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقوله جل شانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ويدخل في الدعوة إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل ذلك يجب أن يجاهد الإنسان نفسه عليه.

٤- وجهاد النفس على الصبر على مشاق التعليم والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا بد أن يتعرض الداعي إلى الله إلى أذى الناس، وتحديهم إياه، لأن تلك سنة الله في الدعوة والدعاة من الأنبياء والمرسلين إلى سائر الدعاة إلى الله إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، قال الله تعالى: ﴿الم ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

وهذه الأنواع الأربعة لجهاد النفس، يمكن أن نلمحها في سورة قرآنية واحدة هي سورة العصر، قال الله تعالى فيها: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣]، فقد جمعت الإيمان: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، والعمل الصالح: ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾، والعلم والتعليم: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾، والصبر على مشاق كل ذلك: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾، والدعوة إلى الله محفوفة بالمخاطر والمتاعب والمكابرين والمعاندين والأشرار، وكل ذلك ينبغي أن يجاهد الإنسان نفسه للصبر عليه.

## جهاد الشيطان

وإنما يجاهد الشيطان - كما قال أسلافنا من العلماء - في مجالين مهمين:

### الأول منهما:

جهاده في رفض ما يلقي في نفس الإنسان من شكوك وشبهات، أي وسوسته التي تزعزع الإيمان، إذ هو يشكك بعض الناس في وجود الله سبحانه، وقد يشككهم في عدله أو قدرته أو بعثه للناس وحسابهم وإثابتهم أو عقابهم.

ويكون جهاد الشيطان في ذلك بالإيمان والاستغفار وتلاوة آيات القرآن الكريم، وبخاصة سورة الإخلاص والمعوذتين، مع الإكثار من قول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

### والآخر:

هو جهاده بترك ما يزين للإنسان من مخالفات لمنهج الله وأمره ونهيه، وبما يحبب للإنسان من شهوات.

وإنما يكون جهاد الشيطان في ذلك بمعصيته والصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي، والصبر على كل ما يصيب الإنسان في هذه الدنيا من نَصَب أو وصب، مع التضييق على الشيطان في كل مسلك يسلكه من جسد الإنسان بالصوم والزهد.

وقد قال أسلافنا من العلماء: إن من مجاهدة الشيطان أن يتخذ الإنسان منه

المواقف التالية:

- أن يتذكر الإنسان كلما زين له الشيطان شهوة أو معصية قول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات».

- وأن يتدبر قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

- وكلما وجد فتنة في مال أو ولد، أو معصية في بدن، أو تعرض لمحنة أو نحو ذلك ردَّدَ مؤمنًا بما يقول: قدَّر الله وما شاء فعل: وردَّد قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فذلك أدب القرآن الكريم عند المصيبة قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

[البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]

- وكلما وجد الإنسان في نفسه رغبة في الغضب والثورة علم أن ذلك من نزغ الشيطان، الذي يريد أن يوقعه في هذا الغضب ليرد عظائم المعاصي.

ويكون جهاد الشيطان في ذلك بكظم الغيظ والعفو عمن ظلم، وأن يلجأ إلى أن يقول الكلمة التي هي أحسن، فقد امتدح الله تبارك وتعالى هؤلاء الناس بقوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقوله جل وعلا: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

رحم الله أولئك الأسلاف فقد رسموا لنا طرق مقاومة الشيطان ومجاهدته، نسأل الله تعالى أن نوفق في مجاهدة الشيطان فإنها أشق وأصعب من مجاهدة الأعداء من الناس.

## جهاد أهل الظلم والمنكرات

وهذا النوع من الجهاد واجب شرعي يصل أحياناً إلى حد الفرض العيني، وأحياناً إلى حد فرض الكفاية، وهو واجب على كل حال.

● وبيان ذلك أنه يكون فرض عين على كل من رأى ظلماً أو منكراً ولم يعلم به سواه فعندئذ يكون جهاده فرضاً عينياً.

وكذلك الحكم إذا كان لا يقدر على منع الظلم والمنكر إلا هو، بسبب ما لديه من قوة أو سلطان.

وكذلك الحكم إذا علم هو به وعلم الآخرون لكن أحداً منهم لم يمنع هذا الظلم أو المنكر، فإنه يتعين عليه منعه بما استطاع.

● ويكون فرض كفاية إذا كان المنكر أو الظلم قد قام بمنْعه وجهاده أحد المسلمين، مع علمهم به ما دام أحد المسلمين قد منعه وجاهد أصحابه بما يستطيع.

- وجهاد أهل الظلم والبدع مراتب ثلاثة:

**أولاها:**

جهادهم أو منعهم باليد أي بالقوة.

وذلك إذا قدر عليهم ولم يترتب على منعهم مفسدة، كمنع أحد من ضرب أحد أو العدوان على ماله أو عرضه...الخ أو منع كل من يحاول ارتكاب ما حرّم الله تعالى من غش أو كذب أو شهادة زور أو شرب خمر أو سرقة ونحو ذلك.

ودليل ذلك الأحاديث النبوية الشريفة مثل:

● ما رواه الترمذي بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن**

رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

● وما رواه مسلم بسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

● وما رواه البخاري بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على مَنْ فوقهم، فقال الذين في أعلاها، لا ندعكم تصعدون فتؤذونا، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ مَنْ فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً».

وجهاد أهل الظلم والبدع والمنكرات باليد أو بالقوة له أحكام فقهية معروفة تلتمس في كتب الفقه الإسلامي وقد أشرنا إلى كثير منها في بعض كتبنا[1].

## والمرتبة الثانية:

## جهادهم باللسان والقلم

وذاك نوع من الجهاد لا يقل أهمية عن جهادهم باليد، غير أنه لا بد أن يسبقه، حتى تنقطع حجج أهل الظلم والبدع والمنكرات، ويصبح جهادهم باليد له ما يبرره.

على أنه يحدث أحيانًا أن يعجز المجاهد عن الجهاد باليد، لأسباب ترجع إليه أو إلى أهل الظلم، والمنكرات، أو إلى أي ظروف أخرى، وعندئذ يكون الجهاد

---

(١) انظر لنا: فقه الدعوة إلى الله: ١/١٣٩ وما بعدها. نشر دار الوفاء ط ثالثة: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

باللسان والقلم هو الممكن الوحيد، فيصبح واجبًا على كل قادر عليه.

● والجهاد باللسان له وسائل عديدة نذكر منها ما يلي:

- العظة في المسجد، والمحاضرات والمناظرات، والمقالات.

- والخطبة الدينية والاجتماعية والسياسية.

- والدروس المسجدية أو في المنتديات.

- وعقد الندوات العامة والخاصة.

- وتنظيم الدورات.

- وعقد المؤتمرات، ونحو ذلك من وسائل الجهاد باللسان.

● والجهاد بالقلم له وسائله العديدة أيضًا التي نذكر منها ما يلي:

- كتابة المقالات في الصحف والمجلات والدوريات، ودوائر المعارف والموسوعات، كلما أتيحت الفرصة لذلك.

- وكتابة البحوث والدراسات وإخراجها في صورة كُتيبات.

- وتأليف الكتب.

- وتأليف القصص والمسرحيات ونحوها.

ولهذا النوع من جهاد أهل الظلم والبدع والمنكرات تأصيل شرعي مؤيد بالنصوص الإسلامية الكثيرة، ونذكر منها ما يلي:

- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٥].

- وقال جل شأنه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

- وروى مسلم بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ادعوا الناس وبشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»**.

- وروى أبو يعلي في مسنده بسنده عن رجل من خثعم قال: قال رسول الله ﷺ: **«أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله ثم قطيعة الرحم»**.

- وروى أبو داود بسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إياكم والجلوس على الطرقات، فإن أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها، غض البصر، وكف الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»**.

- وروى الترمذي بسنده عن أبي حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»**.

- وروى ابن ماجة بسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه» قال: فبكى أبو سعيد** وقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا.

- وروى ابن ماجه بسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقّن الله عبداً حجته قال: يارب رجوتك وفرقت ـ أي خفت ـ من الناس»**.

ـ وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عميرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بينْ ظهرنيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة**».

ـ وروى أبو داود بسنده عن ابن عميرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها**».

**والمرتبة الثالثة:**

**جهادهم بالقلب.**

ومعنى هذا الجهاد إنكار ما يفعلون بالقلب وعدم الرضا، وهذا هو أضعف الإيمان كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه مسلم بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**».

● وهذه المرتبة من الجهاد إنما تكون بعد العجز عن الجهاد باليد والعجز عن الجهاد باللسان، بحيث لو تعرض الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر للأمر والنهي لأصابه ضرر كالسجن والتعذيب، كما يقول بذلك فقهاء المسلمين.

● والإنكار بالقلب يقتضي كراهية أهل الظلم والمنكرات ومقاطعتهم ورفض مؤاكلتهم ومجالستهم والضيق بما يفعلون، وقد جاءت السنة النبوية معززة لهذا الإنكار.

ـ فقد روى أبو داود بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

قال: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل، فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٨١] إلى قوله: ﴿فَاسِقُونَ﴾، ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم».

## جهاد أعداء الله من الكفار والمنافقين ومن إليهم

### وأعداء الله أنواع:

منهم المشركون الذين أشركوا معه إلهًا أو آلهة غيره، فعبدوها من دونه سبحانه وتعالى[1].

ومنهم الذين كفروا به وبملائكته وكتبه ورسله، وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة.

ومنهم أهل النفاق الذين يظهرون المودة للمسلمين ويضمرون لهم العداوة، والمنافقون دائمًا أشد خطرًا على المسلمين من المشركين والكافرين.

● وهؤلاء جميعًا يجاهدون على قدر ما في وسع المجاهد، ويرى أسلافنا من العلماء أن جهاد هؤلاء الأعداء له مراتب أربعة فصلوا فيها القول ووصَّلوه على النحو الذي نشير إليه فيما يلي:

- جهادهم بالقلب.
- وجهادهم باللسان.
- وجهادهم بالمال،
- وجهادهم بالنفس.

● ويرى العلماء أن جهاد المشركين والكفار بالنفس أخص وألزم، وأن جهاد المنافقين باللسان أخص بهم وأنسب لهم.

---

(١) شرك الإنسان في الدين نوعان: الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى، وشرك صغير وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق، وقيل: المشركون هم غير أهل الكتاب، وقيل إن الكفر والشرك بمعنى واحد.

## جهاد أعداء الله بالقلب

وذلك كجهاد أهل الظلم والبدع والمنكرات التي تحدثنا عنه آنفًا، ويعني ذلك بغضهم وبغض ما يفعلون، كما يعني البراءة منهم ومما يعملون، ورفض كل ما ينادون به من رأي وما يحترمونه من قيم وما يأتونه من عمل رفضًا باتًّا ينكره القلب ويضيق به.

● وأعداء الله يصنَّفون من أهل المنكر، بل هم أشد أهل المنكر شرًا، وأي منكر أشد من عداوة الله تبارك وتعالى؟ وكل منكر يجب تغييره - وقد أوضحنا ذلك آنفًا.

● وإنما يكون الإنكار عليهم بالقلب هو المطلوب إذا عجز المسلمون عن مقاومتهم بالنفس - أي القتال - وبالمال وباللسان، وعندئذ يكون المسلمون في إنكارهم بالقلب على أعداء الله قد مارسوا أضعف الإيمان، كما جاء ذلك في الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرناها آنفًا.

تلك هي المرتبة الأولى من مراتب جهاد أعداء الله، كما حررها أسلافنا من العلماء رحمهم الله.

## جهاد أعداء الله باللسان

اللسان هنا يعني اللغة والكلمة، ومن حكمة الله البالغة أن جعل الناس ألسنة مختلفة أي لغات مختلفة، ومعنى ذلك أن المسلم مهما كانت لغته عربية أو غير عربية، فإن عليه أن يجاهد أعداء الله بلسانه، ليرد باطلهم ويبطل حججهم ويدفع مفترياتهم، وهذا نوع من الجهاد لا يقل أهمية عن الجهاد بالمال والنفس وسائر أنواع الجهاد.

● والجهاد باللسان يستهدف أهدافًا جليلة نبيلة نذكر منها ما يلي:

- عرض الإسلام عقيدته وفكرته ومنهجه ونظامه على الناس عموماً وعلى أعداء الله بوجه خاص، لعل الله يهديهم إلى الحق بإذنه، فيوفرون على المسلمين جهادهم بالمال والنفس.

- وإزالة الشبهات التي قد تقوم في نفوس الناس، مما يبثه ويشيعه أعداء الله، حتى إذا دخلوا في الإسلام دخلوا فيه على علم وبينة، ودون تردد أو قلق.

- والرد على المفتريات التي يشيعها أعداء الإسلام ضد الإسلام بتفنيدها وإظهار عيوبها وباطلها، وما أكثر الذين يفترون على الإسلام من أعداء الله وأعداء الحق سواء أكانوا أهل كتاب أم من غير أهل الكتاب.

- وتوضيح موقف الإسلام من كبريات القضايا الاجتماعية والسياسية مثل:

- قضية المرأة وكيف تميز الإسلام في احترام حقوقها ففاق كل نظام سابق أو لاحق.

- وقضية حقوق الإنسان، وكيف أولاها الإسلام ما تستحق من الاهتمام في ضوء تكريم الله سبحانه للإنسان وتفضيله إياه على كثير ممن خلق.

- وقضية العدل بين الناس جميعاً مهما كانت ألوانهم وأجناسهم لأن الإسلام لا يعترف بالتمييز العنصري، وإنما يرى الناس جميعاً خلق الله وعباده، وإنما يتفاضلون بالإيمان والعمل الصالح.

- وقضية الشورى واحترام الرأي الآخر، حتى ولو كان رأي عدو، بحيث يدرس الرأي الآخر ويناقش، ومنع الاستبداد بالرأي أو بالحكم ورفض مبدأ الحاكم القاهر المستبد الذي يقول للناس: ما أريكم إلا ما أرى، ويصادر كل رأي آخر.

إلى غير ذلك من القضايا الجوهرية في تنظيم اجتماع الناس بعضهم ببعض وتشابك مصالحهم، مما يجر في الغالب إلى التخاصم والتعادي.

- والجهاد باللسان كما أوضحنا آنفاً له أنواع كالخطبة والمحاضرة، والدرس

والندوة والدورة والمؤتمر.

وعلى رأس الجهاد باللسان ما يقدمه العلماء من بحوث ودراسات تصدر في كتيبات وكتب ومقالات.

وكل ذلك لا بد أن يسبقه دعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي أحسن، واستهداف إحقاق الحق لا غلبة الخصم.

● ومن المسلمات التي لا ينكرها العارفون أن عالم أعداء الله يعج بكثير من المغالطات والمفتريات ضد الإسلام، وهؤلاء بحاجة إلى أن تنزاح من عقولهم غشاوة الحقد على الإسلام، وخير ما يصلح لهؤلاء كتب أو دراسات لهم بلغاتهم أي ألسنتهم كما سماها القرآن الكريم. إنهم جميعًا بحاجة إلى أن يعرفوا موقف الإسلام من الإنسان مؤمن أو كافر أو مشرك، وموقفه من الكون كله سمائه وأرضه وحيوانه ونباته وجماده، فهم يجهلون ذلك على وجه اليقين، بدليل ما يكتبون وما يفرزون من سموم ضد الإسلام ونظرته إلى الحياة كلها.

● والجهاد باللسان كما قال أسلافنا أخص وأليق بالمنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ومع غض النظر عن أسباب نفاقهم أكانت خوفًا من المسلمين أو تخفيًا في توجيه الإساءة إلى الإسلام، فهم جميعًا منافقون، ولا يجدي معهم جهاد القلب لأن ظاهرهم الإسلام، وإنما المجدي الذي ينقلهم من النفاق هو جهاد اللسان والكلمة.

## جهاد أعداء الله بالمال

لقد اتسع مفهوم جهاد أعداء الله بالمال بحيث شمل ما هو أكثر من إعداد العتاد والعدد والآلة العسكرية التي يواجه بها المسلمون أعداءهم، فقد صار حصار العدو اقتصاديًا يلحق به ضررًا لا يقل عن ضرره العسكري.

● وهذا الجهاد لعدو الله بالمال ليس واجب الدول والحكومات وحدها بل هو واجب الأفراد كذلك، ومع اتساع رقعة العالم اليوم وترامي أطرافه فإن وسائل

الاتصال جعلته كالمدينة الواحدة، ومعنى ذلك عندي أن المسلمين لو أجمعوا على مقاطعة منتجات أعداء الله في أي بلد مسلم فإن أثر هذه المقاطعة لا بد أن يترك خللاً في اقتصاد أي بلد مهما كان كبيراً وغنياً.

● وأعداء الله الذين لا يؤمنون به ولا بالدين الخاتم الذي أكرم به البشرية بعد طول احتياج إليه، هم الذين يضمرون الكراهية والحقد للإسلام والمسلمين، ويحاربون الإسلام والمسلمين، حرباً سياسية واقتصادية وفكرية وثقافية، وقد تمثل هذا العداء اليوم في الصهيونية العالمية، والصليبية العالمية المنحرفة عن المسيحية، ثم النظام العالمي الجديد الذي برز بعد حرب عاصفة الصحراء، وهو الذي تقوده أمريكا والصليبية الحديثة والصهيونية العالمية.

● إن جهاد هؤلاء الأعداء بالمال عن طريق مقاطعة كل ما يجيء معهم أو منهم أو بهم، إن ذلك لو أصبح منهج كل مسلم لأمكن مقاومة هؤلاء الأعداء بالمال مقاومة تفسد ما يدبرونه للإسلام والمسلمين من كيد وشر.

ومما هو جدير بأن نؤكد عليه أن هذه المقاطعة لا تثمر ثمرتها التي نرجو إلا إذا صاحبها أمران:

**الأول منهما**: هو أن تكون اجماعية أو على أوسع مستوى من المسلمين في العالم كله.

**والآخر**: أن يكون بين بلاد المسلمين نوع من التكامل الاقتصادي والعناية بالإنتاج نوعاً وكماً، بحيث يحدث نوع من الاكتفاء الذاتي من جانب، ومن الاستغناء عما يرد من هؤلاء الأعداء من جانب آخر.

● ومن الجهاد بالمال تجهيز الجيوش وتوفير العتاد، وتطوير السلاح والآلة العسكرية عموماً، ومعنى ذلك أن من لم يستطع من المسلمين أن يجاهد بنفسه، جاهد بماله، وذلك يعني أن الجهاد بالنفس هو الأصل وأن الجهاد بالمال وسيلة معينة.

● إن كل من استطاع أن يجاهد العدو بنفسه، فلا يقف واجبه عند هذا الحد وإنما يسانده بالمال إن كان من أهل اليسار.

وإن كل من كان ذا مال فجاهد به لأنه لم يستطع الجهاد بالنفس كان ذلك حسبه، ولكن من جمع بين الجهاد بالنفس والجهاد بالمال فذلك في أفضل المنازل وأرضاها لله تعالى.

● وكل ذلك إنما يكون عندما يعتبر الجهاد فرض كفاية، أي لم تتوفر له الشروط التي تجعله فرض عين ـ كما سنوضح ذلك فيما بعد ـ وفي زمننا هذا وقد تكالب على الإسلام والمسلمين أهل الشرق الملحد الذي يؤيد إبادة المسلمين ويعين عليها في الولايات الإسلامية الواقعة فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي، وفي البوسنة والهرسك وفي بورما والفلبين والصين والهند وتايلاند، مع أهل الغرب أوربا وأمريكا مع الصهيونية العالمية، في زمننا هذا يصبح الجهاد بالمال واجبًا على كل مسلم في حدود استطاعته ومقدرته، سواء أكان الجهاد بالنفس فرض كفاية أو فرض عين، وذلك أن الآلة العسكرية اليوم أكثر تكلفة مما كانت عليه بالأمس، وللأسف فإن أعداءنا هم الذين ينتجون السلاح، ويغالون في سعره ويحولون بين أي بلد مسلم وبين أن تنتج سلاحًا متطورًا يكافئ أسحلتهم، ومن تأمل في رفع الأعداء لسعر السلاح رفعًا خرافيًا بلغ عشرة أمثال أو يزيد، في حرب أفغانستان وفي حرب العراق المنحوس بحاكمه الأخرق مع الجمهورية الإسلامية في إيران، وفي حرب عاصفة الصحراء، من تأمل في ذلك علم أهمية جهاد العدو بالمال.

● ومن كان من المسلمين بحيث أصبح أهله وماله وولده أحبُّ إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله، فليتربص بنفسه وبقومه كل شر حتى يأتي أمر الله تعالى، إن ذلك هو منطق القرآن الكريم ومنطوقه، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

## جهاد أعداء الله بالنفس «أي قتالهم»

هذا النوع من الجهاد وهو أفضل أنواع الجهاد عند الله، وهو الذي لا ثمن له عند الله سبحانه إلا الجنة، لأن المجاهد لأعداء الله بنفسه قد باع نفسه لله تعالى، وضحى بها في سبيله سبحانه، فجزاؤه على ذلك عند الله أحسن الجزاء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]

● وهذا الجهاد بالنفس لم يفرض دفعة واحدة، وإنما شرعه الله على التدرج شأنه في ذلك شأن بعض التشريعات التي تدرجت من حال إلى حال كتحريم الخمر مثلاً.

● ومراحل تشريع الجهاد أربعة، نشير إليها باختصار فيما يلي[١]:

### المرحلة الأولى في تشريع الجهاد بالنفس:

كان الجهاد بالنفس غير مسموح به للنبي ﷺ ولا لأصحابه رضي الله عنهم، طيلة بقائهم في مكة المكرمة، وكان ذلك لحكم بالغة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وإن كنا نستطيع أن نتعرف هذه الحكمة فيما نتصور، فيما يلي:

- أن النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، كانوا قلة متضعفة، أمام تفوق المشركين وتآزرهم على الشر، فلم يكن من المناسب أن يخوض المسلمون معارك جهادية ضد أعدائهم في تلك الفترة، ولقد حدث أن اعتدى أحد المشركين على

---

(١) يلتمس التوسع في هذا الموضوع في كتب الفقه مثل: بدائع الصنائع للكاساف، والمحلي لابن حزم، وغيرهما.

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فلم يصبر سعد على تلك الإهانة، وأمسك بعظمة كبيرة وشج بها هذا المشرك، ولما علم بذلك رسول الله ﷺ، استدعى سعداً وقال له: «ما أُمرنا بذلك بعدُ».

ومعنى ذلك أنه قد نؤمر بذلك الرد على المعتدين فيما بعد، عندما يأذن الله تبارك وتعالى لنا بذلك.

ـ وأن النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم كانوا في ذلك ـ الوقت في مكة ـ في طور الدعوة والتبليغ والإقناع.

وذلك شأن الدعوة حيث تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، أو بالجدال بالتي هي أحسن عند الحاجة إلى الجدال.

وفي تأكيد ذلك يقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

فهذه الآية الكريمة تتضمن أهداف الدعوة وأهم وسائلها، وتشير إلى أدبها.

● فالدعوة إلى سبيل الله وليست في سبيل سلطة أو مطمع مادي وإنما الهدف هو سبيل الله أي ما يرضي الله مما يأمر به أو ينهي عنه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾.

● فليست الدعوة في سبيل قائد أو زعيم أو قومية، أو نحوها.

● وسبيل الله هي دين الحق الدين الخاتم، وطريقه طريق الحق وليست هناك طرق أخرى، وإلا وقع المسلمون الدعاة في البعد عن الحق وعن الصراط المستقيم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.

[الأنعام: ١٥٣]

● والحكمة تعني أخذ حال المدعوين في اعتبار الداعي، والتدرج معهم في الدعوة ومطالبتهم بما يطيقون، واتباع الأسلوب الأهدأ والأقرب إلى نفوسهم

وعقولهم، وما يشجعهم على القبول لدين الحق.

● والموعظة الحسنة: هي التي ترفق بالمدعو، وتستطيع دخول قلبه وعقله، وليس للداعي أن يلجأ إلى تأنيب المدعوين على تقصيرهم فضلاً عن زجرهم أو الزراية بالعصاة منهم، لأن هدي الرسول ﷺ هو: أن الرفق ما دخل شيئًا إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه، والرفق أولى بالدعاة والمدعوين والدعوة إلى الله[1].

● والجدال بالتي هي أحسن: يعني ترك التحامل على الخصم المعاند، وترك تقبيحه أو الإساءة إليه، واستبعاد فكرة التغلب على الخصم لمجرد غلبته في الجدل، ولكن يكون رائد الداعي إلى الله هو الإقناع، وإقامة الحجة للوصول إلى الحق.

● ومن أدب الدعوة في هذه الآية الكريمة أن الداعي إلى الله ليس له أن يلزم نفسه بضرورة أن يستجيب إليه المدعو، وليس له أن يعنف نفسه إذا لم يستجب المدعو.

إن الداعي عليه الدعوة وكفى، وأما الاستجابة فعلى الله وحده:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

- ولأن طبيعة الجهاد تقتضي إعدادًا واستعدادًا لهذا العدو، ولم يكن هذا الإعداد والاستعداد في إمكان المسلمين وهم في مكة ولا في مقدورهم في ذلك الزمن الباكر من تاريخ الإسلام.

فليس يتصور مع هذه الظروف أن يمارس المسلمون الجهاد بالنفس أو قتال الأعداء.

## والمرحلة الثانية من مراحل الجهاد بالنفس:

وفي تلك المرحلة أذن الله للمؤمنين أن يقاتلوا من اعتدى عليهم، ويكفوا القتال

(١) للتوسع انظر للمؤلف: فقه الدعوة إلى الله - نشر دار الوفاء بمصر ط ثالثة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

عن الذين لم يوجهوا إليهم عداء أو عدواناً.

● وكانت هذه المرحلة عقب إجبار المسلمين على ترك مكة والهجرة منها حيث هاجروا إلى المدينة المنورة، ثم أمر الله رسوله بالهجرة إلى المدينة المنورة فهاجر إليها وفي صحبته المشرفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عندئذ اذن الله تعالى للمسلمين بقتال أعدائهم، ونزل في ذلك قرآن كريم، ويرى جمهور المفسرين أن آية الإذن بالقتال نزلت في السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة.

وقد جاءت هذه الآيات الكريمة التي تأذن للمسلمين في القتال توضح أن الله يدافع عن الذين آمنوا في كل مكان وفي كل زمان، وأنه أذن لهم في القتال لأنهم ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق، وأوضحت الآيات الكريمة أن على المسلمين واجبات بعد أن ينصرهم الله تعالى على أعدائهم، وهي:

● إقامة شرع الله ومنهجه.

● والالتزام بمفردات العبادة كالصلاة والزكاة ونحوها.

● والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لإقرار العدل والسلام بين الناس.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٨ - ٤١].

● وهذه المشروعية والإذن بالقتال للمسلمين تقرر عدداً من الحقائق نذكر منها ما يلي:

**إحداها :**

أن الله تبارك وتعالى يدافع عن الذين آمنوا عندما يقاتلون من قاتلهم من أعداء الله، ولا يتركهم معتمدين على قوتهم واستعدادهم فحسب. وإنما يؤيدهم ويساندهم وينصرهم على أعدائهم، لأن من سننه سبحانه وتعالى أن ينصر المؤمنين وأن ينصر الحق على الباطل، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ومهما بدا نصر الله بعيدا فإنه حادث لا محالة ولكن الناس في عمومهم يستعجلون المكاسب وجني الثمار وخلق الإنسان عجولا .

- وإذا أخذ المسلمون بأسباب النصر وهي :
- الإيمان والعمل الصالح .
- والالتزام بكل ما جاءت به شريعة الإسلام .
- والاستعداد والإعداد للأعداء .
- والصبر على الجهاد ومشاقه والتضحية في سبيل الله .

فإن الله تبارك وتعالى ناصرهم ومؤيدهم .

**وثانية هذه الحقائق :**

أن الله تبارك وتعالى قد شرع للمؤمنين أن يواجهوا المعتدين ولا يرضوا بظلم أو عدوان يقع عليهم، وذلك أن الله تعالى قد جعل العزة له سبحانه ولرسوله وللمؤمنين، ومن هنا فلا ينبغي أن يقبل المسلم الضيم والذل والهوان من أي عدو مهما كان متجبراً متسلطاً يملك العدة والعتاد، لأن المسلمين بإيمانهم وعملهم الصالح ومعية الله تبارك وتعالى وتكفله بنصر المؤمنين، أقوى من أي عدو ومن كل عدو .

غير أن هذه المواجهة التي يصحبها نصر الله لا بد أن تكون مصحوبة بالاخذ بالاسباب، لان الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ .

[الأنفال : ٦٠]

**والثالثة:**

أن الذين يحاربون من أجل دينهم وإيمانهم بالله تعالى، إنما يواجههم عدو يعتدي عليهم وعلى دينهم وعلي شرع الله تعالى، وكل من تعرض لذلك من المؤمنين فإنه مطالب بخوض حرب ضد هؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله والذين آمنوا، وهدف هذه الحرب هو تأمين عبادة الله وحماية شرعه ونظامه وبيوته في الأرض وحماية عباده المؤمنين، وهم بهذه الحرب لا ينصرون أنفسهم فحسب وإنما ينصرون الله تبارك وتعالى، ومن نصر الله نصره الله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال جل شانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾.

[غافر: ٥١]

**ورابعة هذه الحقائق:**

أن هؤلاء المؤمنين الذين ينصرهم الله على أعدائهم في معارك الإيمان ضد الكفر والحق ضد الباطل، ويمكنهم الله بهذا النصر من أن يحكموا شريعته في عباده، هؤلاء أوجب الله عليهم واجبات من أجل الوصول إلى هذا التمكين، تشير منها الآيات الكريمة التي ذكرناها في الإذن بالقتال إلى ما يلي:

- إقامة الصلاة أي إرساء عمود الدين وعماده في المجتمع، تلك الصلاة التي تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي.

- وإيتاء الزكاة، أي تخليص المجتمع من البخلاء الذين يشحون بما لهم عن الله وعباده، وتخليص المجتمع من الحاجة والعَوَز، مما يحقق البر بالفقراء والمساكين وكل ذي حاجة.

- والأمر بالمعروف لكل أحد، وهذا المعروف هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه، حتى يصبح المجتمع مجتمعاً آمناً تسود فيه الفضائل وأنواع الخير والبر، مما يحقق

اطمئنان كل إنسان على نفسه وماله وعرضه وكل حقوقه.

ويدخل في الأمر بالمعروف وفق شروطه وآدابه أَطْر الناس على الحق أَطْرًا وإلزامهم به في بعض الأحيان.

● والنهي عن المنكر، والمنكر هو كل ما حرمه الله تعالى، والأصل أن ينهى عنه كل أحد، وذلك من أجل حسم مادة الشر، وقمع الأشرار والتضييق عليهم وحصارهم فلا يؤاكلون ولا يجالسون، ومن شأن ذلك تحقيق الأمن للمجتمع على كل مستوى من مستويات المجتمع أفرادًا وجماعات وتجمعات.

**وخامسة هذه الحقائق:**

أن المؤمنين والكافرين، وأولياء الله تعالى وأعداؤه، والأخيار من الناس والأشرار، كل أولئك مردهم إلى الله ومرجعهم إليه حيث يحاسبهم ويجازي كلا بما صنع، وما قدم في دنياه من خير أو شر، إذ الحقيقة المطلقة في هذا المجال هي قوله تعالى: ﴿**ولله عاقبة الأمور**﴾.

**والمرحلة الثالثة من مراحل الجهاد بالنفس:**

هي: أَمْرُ الله تعالى للمؤمنين أن يقاتلوا كل من كفر بالله وعاداه، باستثناء من طلب منهم المسالمة والمهادنة، أو كان بينه وبين قوم عقدوا موثقًا مع المسلمين أو اعتزلوا القتال ولم يكونوا مع أعداء المسلمين، قال الله تعالى: ﴿**فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا**﴾.

[النساء: ٨٩، ٩٠]

● والمجتمع المسلم يقوم على الفصل الحاد بين المؤمنين والكافرين، لأن الكفر والكافرين تهديد دائم للإيمان والمؤمنين، فشأن الكفار ألا يرعوا في المؤمنين عهد ولا

ذمة، فلا يجوز للمسلمين أن يتخذوا من الكافرين أولياء أو أصدقاء حتى يدخلوا في الإيمان، والإسلام.

● هؤلاء الكفار يجب أن يحاربهم المسلمون ولا يجوز لأحد من المسلمين أن يتخذ من هؤلاء الكفار وليًا أو مشاركًا في أرض أو مكان أو مصلحة من نوع ما، لأن في ذلك كله أو بعضه خطرًا على الإسلام والمسلمين، ولأن الرابطة الحقيقية بين المسلمين هي العقيدة لا رابطة دم ولا عرق ولا جنس ولا لون ولا مصلحة. وإن هذا الموقف من المسلمين مع الكافرين ليس غرورًا أو تعاليًا وإنما هو تأمين للمجتمع في حاضره ومستقبله.

● والمشاركة في العقيدة هي أساس الموالاة في المجتمع المسلم، أما اختلاف العقيدة بين المسلمين وأهل الكتاب، فإن الإسلام يتسامح معهم، ولا يجيز قتالهم إلا في ظروف بعينها، بل يجيز الصلح معهم ومعاهدتهم، ولا يكرههم بل لا يكره أحدًا على الدخول في الدين، بل لأهل الكتاب أن يمارسوا معتقداتهم المخالفة لعقيدة الإسلام، ما لم يقوموا بعمل معادٍ للإسلام والمسلمين، فعندئذ ينبذ إليهم عهدهم وينقص صلحهم ويحاربون كما يحارب الكفار.

● والإسلام يختار السلم والمسالمة لمن يرغبون في السلم والسلام، فإذا انحازوا إلى معسكر بينه وبين المسلمين عهد أو ميثاق أصبح لهم حكم هذا المعسكر الذي انحازوا إليه فلا يحاربون، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾.

● كما يؤكد الإسلام تركه للحرب مع الذين يجيئون للمسلمين راغبين في تجنب الحرب، واختيار الحياد بين المسلمين وأعدائهم، هؤلاء الراغبين في الحياد - على الرغم من كفرهم لا يحاربون: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٩٠].

● ويحذر الإسلام المسلمين من أن ينخدعوا بطائفة من الناس يريدون أن

يخدعوا المسلمين بان يامنوهم ويامنوا قومهم في نفس الوقت، فهؤلاء لا تجوز مسالمتهم، وإنما يقاتلون حيث وجدوا، وهؤلاء موجودون في كل عصر: ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾.

[النساء: ٩١]

**والمرحلة الرابعة من مراحل الجهاد بالنفس:**

وهي مرحلة أمر الله تعالى للمسلمين بان يقاتلوا المشركين والكفار كافة، اي ان يكون قتالهم ضدهم بغير استثناء احد منهم، ولا جماعة، لان هؤلاء يقاتلون المسلمين كافة لا يستثنون منهم أحداً ولا جماعة.

والمعركة بين المؤمنين والمشركين معركة مستمرة، لانها بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والكفر، وبين الهدى والضلال.

● وهذه الحرب بين هذين المعسكرين ـ الإيمان والكفر ـ لا ينتظر لها انتهاء، لأن الخلاف حاد بين المعسكرين إذ هو في العقيدة والمنهج وليس في شيء أقل من ذلك، مما يتعادى الناس حوله عادة، كالمصالح والحدود والقوميات ونحوها.

● ومن هنا كان جهاد هؤلاء الكفار بالنفس واجبًا على طول المدى، وإلى ان يرث الله الأرض ومن عليها. قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦].

● وليست هذه الآية وحدها هي التي توجب على المؤمنين قتال الكفار، وإنما هناك آيات أخرى كثيرة، نذكر منها ما يلي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥].

ـ وقوله سبحانه: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٣٩، ٤٠].

● وفي السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة توجب قتال المشركين كافة، ذكرنا بعضها فيما مضى، وسنذكر منها فيما يأتي من موضوعات هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

## ٥ ـ الجهاد والإكراه في الدين

أكدنا فيما مضى من الكتاب ان الجهاد واجب على المسلمين وجوبًا عينيًا أو وجوبًا كفائيًا، وأيدنا ذلك بالآيات القرآنية الكريمة وبالأحاديث النبوية الشريفة.

وأوضحنا أن المسلمين مطالبون بقتال المشركين حتى لو لم يبدأوا المسلمين بقتال، وذلك إذا وقفوا في وجه دعوة الحق، أو لضرورة أن يعرض عليهم دين الحق.

● ومن أجل هذه الحقيقة فإن بعض الناس يتصورون أن الجهاد في سبيل الله معناه وضع السلاح في كل من لم يدخل في دين الإسلام، ويرتبون على ذلك مقولة ظالمة حاقدة خلاصتها «أن الإسلام انتشر بين الناس بالسيف» أو أن المسلمين يكرهون غيرهم على الدخول في الإسلام.

● وتلك مقولة خاص فيها غير واحد من كتاب الغرب، والمستشرقين منهم على وجه الخصوص، وردد هذه المقولات من ورائهم بعض الغافلين من كتاب المسلمين، ممن لهم هوى بالغرب وتعلق بما يقول كتابه، أو ممن تعلموا في مدارس الغرب ومعاهده فتحول ولاؤهم عن دينهم وقيمهم إلى الغرب وقيمه، أو ممن جهلوا الإسلام ولم يعرفوا أهدافه ومقاصده، ثم أخذوا يكتبون عنه كأنهم يعرفون.

● وقد أخذت هذه القضية لدى الناس طرحًا ذا صيغتين:

إحداهما: أن المسلمين يكرهون الناس على الدخول في الإسلام بالقوة.

**والأخرى**: أن الإسلام قد انتشر في الناس بحد السيف.

والصيغتان متقاربتان في الدلالة والمحتوى، ومتطابقتان في اتهام الإسلام والمسلمين بالباطل، ووصف الإسلام بما ليس فيه.

● وهذه الدعوى أو تلك الفرية وإن كانت لا تقوم على دليل - كما سنوضح بعد قليل - إلا أن عدداً من المسلمين غير المتبصرين بحقائق الإسلام وافتراءات خصومه حاولو أن يردوا على هذه التهم وتلك المفتريات، مع حسن نيتهم ورغبتهم في الدفاع عن الإسلام، نفوا عن الإسلام والمسلمين أن يكونوا قد استعملوا في نشر الإسلام القوة والسيف إلا في مواجهة القوة والسيف، وإلى هنا في الرد والدفاع فإن ما قالوه صحيحاً لم يتجاوزا فيه الحق.

● غير أنهم عادوا يدَّعون أن الجهاد في الإسلام إنما شرع فقط لرد العدوان، والدفاع أمام المهاجمين!!!

وبهذا خانهم التوفيق أو عميت عليهم الحقائق، فردوا على الخصوم بما أساء إليهم وإلى الإسلام، وبما هو مخالف لمشروعية الجهاد في الإسلام، ومخالف لما أجمع عليه حشد هائل من علماء السلف والخلف على مر العصور من أن الجهاد واستعمال القوة شرع لأغراض عديدة لا لمجرد الدفاع ورد العدوان.

## - أغراض الجهاد في سبيل الله:

● ويطيب لنا هنا أن نذكر من أغراض الجهاد التي شرع من أجلها ما يلي:

### أولاً:

لرد عدوان المعتدين على الإسلام والمسلمين، من المشركين والكفار والمعاندين، والحاقدين على الإسلام الذي يضمرون له ولأهله الشر ويحاولون القضاء عليه.

### ثانيًا:

لتمكين دعوة الله أن تبلغ من يجب أن يبلغوا بها - وهم الناس جميعًا في كلِّ

مكان يمكن أن تصل إليه الدعوة، وفي كل زمان يعيش فيه المسلمون ـ دون عائق أو اعتراض من أحد يريد أن يحول بين الناس وبين الاستماع إلى دعوة الله ومنهجه.

**ثالثًا:**

لعرض الإسلام على المشركين والكافرين والظالمين الظانين بالله ظن السوء، على اعتبار أن دين الإسلام هو دين الحق الدين الخاتم الذي رضيه الله تعالى للبشرية كلها دينًا، والذي لا يقبل بجواره شركًا ولا كفراً، لأنه دين الحق ودين العقل ودين الحياة الإنسانية الكريمة، والذين يرفضونه يرفضون الحق والعقل والحياة الإنسانية الكريمة.

**رابعًا:**

لتمكين دين الله وشريعته من أن تحكم الناس، وتسود سائر نظمهم ومناهجهم، وتوجه كل أنواع النشاط في حياتهم، وتصبح هي المنهج المتبع الملتزم الذي ينظم حياة الناس.

**خامساً:**

للقضاء على النظم المعادية للحق، الظالمة للإنسان، المنكرة لحقوق الإنسان في حياة إنسانية كريمة، تلك النظم التي تشن الحروب على الآمنين في أوطانهم لتستولى على خيرات بلادهم، لأنها تملك قوة أكبر من قوتهم أو تستعلى عليهم لما تزعمه من تميز جنس أولون، وهذا هو الجهاد في سبيل الله لحرب الذين يقاتلون الناس في سبيل الطاغوت أو الطواغيت، قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [ النساء: ٧٦ ].

ـ والطاغوت اسم لكل مُتَعَدٍّ وكل معبود من دون الله، ولذلك سمي به الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير ـ وذلك أن الإسلام منهج شامل متكامل يجب أن يحل محل المناهج الجزئية العاجزة عن أن تحقق للناس سعادتهم في الدنيا فضلاً عن الآخرة.

● إن هذه النظم المعادية للحق وللإسلام والمسلمين يقوم عليها طواغيت تحدث عن بعضهم القرآن الكريم على نحو ما نبينه فيما يلي:

- منهم من استبد بالناس وأراد من فرط استبداده أن يؤلهه الناس أو يعبدونه، وذلك الذي حكى عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]، وفي قوله تعالى: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤].

- ومنهم من غرتهم قوتهم وإمكاناتهم فنادوا في الناس قائلين، كما حكى القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥].

- ومنهم من استبدوا بالناس بمكانة عزوها لأنفسهم، فزعموا أنهم سدنة وكهان ورجال دين، وفرضوا على الناس إتاوات، وباعوا لهم قراريط في الجنة، وغفروا الذنوب لمن دفع إليهم ببعض المال، وأباحوا لأنفسهم الاستماع إلى أسرار الناس وما قارفوا من ذنوب لم يطلع عليها أحد.

- ومنهم من استبدوا بالناس بملكهم وسلطانهم وتحكمهم في الأرض وما فيها من خيرات استولى عليها بقوة العائلة والعصبة، ممن سموا أنفسهم ملوكًا وأمراء، وزعموا أن كل شيء لهم، وأنهم الذين يمنحون الناس ما يشاءون ويمنعونهم كما يشاءون.

- ومنهم من قاموا بانقلابات عسكرية إرهابية أو دموية واستولوا بقوة السلاح على السلطة، واستبدوا بالناس وحكموهم، وتحكموا فيهم بالحديد والنار والسجون والمعتقلات والتعذيب البدني والحرمان من حقوق المواطنة والتصفيات الجسدية، وأنهار الدماء التي سالت ممن صنفوهم أعداء الشعب أي أعداءهم، لأنهم زعموا أنهم هم الشعب!!!

- ومنهم من استبدوا بالناس بوساطة نظم ومناهج زعموا أنها تحترم حقوق الإنسان وتشدقوا بالديموقراطية والحرية والإخاء والمساواة، واتخذوا للحرية صنمًا

يعكفون عليه، وهم أبعد الناس عن احترام حريات الآخرين أو إنسانيتهم، فكانت حرية لهم لا لغيرهم من الناس، فكانت نتيجة الأخذ بهذه النظم والمناهج مزيداً من الظلم وهضم حقوق الإنسان، والوزن بميزانين، والعدوان على شعوب آمنة في أوطانها، وخطف حكام من أوطانهم ومحاكمتهم في بلاد الحرية والديموقراطية، بل جردت الحملات لغزو البلاد كأن البشرية لا تزال تعيش في نظام الغاب حيث يلتهم القوي الضعيف.

- ومنهم من قاموا بثورات أو انقلابات شيوعية أو اشتراكية ليسحقوا من سموهم «البرجوازيين» فأغرقوا الناس في بحار من الدماء، وأصلوا الناس جحيم النفي في مجاهل الأرض وقطعوا الأوصال وعذبوا وأرهبوا وأبادوا من اتهموهم بالباطل بأنهم برجوازيون!!!

- ومنهم من أخذوا يستبدون بالشعوب تحت مظلة النظام العالمي الجديد، الذي يتيح لهم أن يجردوا الحملات العسكرية التي تشارك فيها مجموعة من الدول التابعة صاحبة المصلحة أو التابعة الذليلة التي لا مصلحة لها، ثم يهاجمون الشعوب في أوطانها بحجج أوهى من خيوط العنكبوت كما حدث مع مشئوم العراق بعد عدوانه على الكويت، وكما حدث في الصومال وكوريا وما يحدث الآن في «هايتي» وكما سيحدث غداً في أي مكان في عالم القرن العشرين عالم النظام العالمي الجديد!!!

- ومنهم... ومنهم... مما لا أستطيع ان احصي من أصناف الظالمين المستبدين المعادين لحقوق الإنسان وكرامته...

● وكل هؤلاء يمثلون قوى عدوانية على إنسانية الإنسان وعلى كرامته التي كفلها له خالقه سبحانه وتعالى! إذ قضى بتكريم بني آدم وتفضيلهم على كثير ممن خلق ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

ونستطيع أن نقف طويلاً أمام المعنى العميق الشامل لقوله تعالى: ﴿**كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾، إذ التكريم يتضمن احتراماً وتقديراً لكل حق من حقوقه كما يتضمن أن يوصَل إلى الإنسان إكرام أي نفع لا يلحقه فيه غضاضة بل يكون كريمًا أي شريفًا عالي المنزلة، ونستطيع أن نساند هذا المعنى لتكريم الإنسان بما جاء على لسان المعصوم ﷺ، فيما رواه ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك (يعني الكعبة) والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن يظن به إلا خيراً**».

● هذا هو تكريم الإسلام للإنسان، وكل من اعتدى على هذه المكانة والكرامة للإنسان، فقد شرع الله للمسلمين أن يجاهدوه حتى يعيدوا للإنسان كرامته، دون أن يكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام حسبهم أن يتخلى بارادته عن الشرك أو الكفر أو الظلم أو يستعد لقتال المسلمين أنصار تكريم الإنسان، الذي قرره رب العالمين، فأين الإكراه على الإسلام؟

● وإن الجهاد في الإسلام ليس هو الحرب المقدسة ـ كما يسميها الغرب ـ لأن تلك الحرب المقدسة عندهم هي التي تأمر بها الكنيسة حتى وإن هتكت الأعراض، وقضت على كل قيمة خلقية، واستهدفت إبادة الطرف الآخر لا إقناعه وهدايته، فهي في تصوري من أسماء الأضداد.

● أما الجهاد في الإسلام فشيء مختلف تمامًا، إنه إصلاح لكل معوج في حياة البشر، مع رعاية فائقة لحرمة النساء والصبيان والشيوخ وكل من لا يستطيع الحرب، بل رعاية فائقة لحرمة الحيوان والأشجار، ومع ملازمة حميمة للقيم الخلقية في التعامل مع المقاتلين ومع المغلوبين والأسرى والقتلى في المعارك، حيث تصان كرامة الإنسان وآدمية الآدميين، حتى بعد أن يقتلوا في المعركة ـ مما هو معروف في آداب الجهاد ـ.

● الجهاد في الإسلام مقيد بأنه ﴿**في سبيل الله**﴾ وذلك قيد لا ينفك عن

الجهاد أبداً، فإذا انفك عنه وعبث بحرمات الناس وكرامتهم وآدميتهم فليس في سبيل الله.

ـ وسبيل الله هو الحق وهو العدل وهو الخير، وهو كل ما أمر الله به، وهو اجتناب كل ما نهى الله عنه، وهو السلام والأمان للبشرية كلها إن عرفت ربها وآمنت به واختارت بإرادتها الحق على الباطل، وهجرت الطاغوت.

ـ إن سبيل الله يتسع فيشمل ما هو أكثر من ذلك، إنه يوجب ان يكون الجهاد لغير غرض شخصي، ولغير هوى عند واحد أو جماعة أو حكومة، ولغير حرص على جاه أو نفوذ أو منفعة أو شرف أو سمعة فضلاً عن تحكم في الناس أو افتيات على حقوقهم فضلاً عن الاستيلاء على بلادهم وأموالهم.

## ـ لا بد أن يكون الجهاد في سبيل الله:

ـ وقد حددت بعض آيات القرآن الكريم هذا الجهاد واغراضه واوضحت معنى: ﴿في سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وجعلتها مرادفة لكلمة الجهاد في القرآن الكريم ومفسرة لمعناه في أكثر من مائة آية كريمة تقرن الجهاد بأنه في سبيل الله.

● ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

● وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣].

● وقال جل شانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الانفال: ٧٤].

● وقال سبحانه وتعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

● وقال جلا وعلا: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

● إلى غير ذلك من الآيات التي قرنت الجهاد أو القتال بانه في سبيل الله، وما لم يكن الجهاد في سبيل الله، فهو في غير سبيله وغير سبيل الله هو سبيل الشيطان وما يزينه من باطل وشهوات ومنافع دنيوية، وذلك أن الجهاد في سبيل الله يستهدف ـ كما أوضحنا في حديثنا عن أغراض الجهاد آنفًا ـ قيام دولة مسلمة تقيم شرع الله وتعمل وفق منهجه فتطبق العدل بين الناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم.

● هل يكون مع هذا الجهاد بتلك الشروط والآداب إكراه؟

ويطيب لي أن اذكر ما قال عباس محمود العقاد في الرد على هذه الفرية التي تزعم أن الجهاد إكراه للناس على الدخول في الإسلام. قال تحت عنوان: «الجهاد في الدين الإسلامي».

«مسألة الجهاد في الدين الإسلامي مسألة شاعت على السماع بين غير المسلمين، ففهموا منها أن شريعة السيف وشريعة الإسلام شيء واحد، وقد يكون لهم بعض العذر إذا نظرنا إلى أناس من المسلمين كادوا يحسبون أن انتشار الإسلام بالسيف حقيقة مفروغ منها.

وقد أشرنا في كتابنا عن عبقرية محمد إلى واحد من هؤلاء كان يتحدث عن بطولة النبي عليه السلام فإذا هو لا يفهم منها إلا أنها بطولة سيف وقتال، وإن النظرة العابرة إلى البلاد الإسلامية لتكفي لتقرير وقائع التاريخ في هذه المسألة، وخلاصتها أن أكثر البلاد عَدَد مسلمين هي أقل البلاد غزوات إسلامية، وأن المسلمين لم يحاربوا قط في صدر الدعوة إلا مدافعين أو دافعين لمن يصدون الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوي السلطان، وكذلك كانت وقائعهم مع مشركي الجزيرة العربية، كما كانت وقائعهم مع الفرس والروم.

وقبل غزو فارس بزمن طويل كان كسرى يبعث بعوثه في طلب صاحب الدعوة حيًا أو ميتًا، لأنه خاطبه داعيًا إلى الإسلام.

ويمتنع حسنُ النية في الكتابة عن الإسلام بين الغربيين، وبخاصة بين الذين يثورون منهم على رؤسائهم الدينيين، ويجتهدون في تصغيرهم إلى جانب غيرهم من أتباع الديانات الأخرى.

فمن هؤلاء من يجتهد في تصغير خصومه، ولكنهم يحتاجون ـ مع حسن النية ـ إلى حسن الفهم والنفاذ إلى حقائق التاريخ لتصحيح الأقاويل التي شاعت على المشاع عن فريضة الجهاد في الإسلام، فإن الذين لم يحسنوا فهم هذه الحقائق يحسبون ـ مخلصين ـ أن الإسلام يوجب القتال الدائم على المسلم كما يوجب الصلاةوالصيام أو سائر الشعائر المفروضة ويعدون هذه الفريضة بدعة بين الفرائض الدينية أو بين الفرائض الإنسانية التي قررتها دساتير الأخلاق في أمور العقائد على الإجمال.

وحقيقة الأمر أن الأساس الأخلاقي الذي قامت عليه فريضة الجهاد ـ فضلاً عن الأساس الديني ـ يستقيم مع كل أساس سليم لكل اعتقاد قويم.

فماذا تقول شريعة الأخلاق في الواجب على الإنسان نحو عرضه؟

إن الإسلام لا يقول شيئًا غير ما يقوله هداة الوطنية والشرف حين ينكرون على

المرء أن ينكص عن الجهاد في سبيل وطنه وكرامته وعرضه، ويعيبون عليه إن سالم من يقاتلونه في سبيل حريته وحرية بلاده، وليس بالدين الصالح للإيمان به، دين ينزل بحرية الضمير عن مرتبة الحرية في الموطن والمعاش.

ومن نوادر المؤلفين الغربيين الذين جمعوا بين حسن النية وحسن الفهم في مسألة الجهاد: «توماس كارليل الحكيم الأيقوسي الذي يسميه نُقَّاد الغرب بنبي الكتَّاب. فهو ينتهي بزعْم الزاعمين أن الإسلام قد انتشر بالسيف إلى الغاية من السخف والغثاثة، ولا يرضى أن يعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ، فإنه أضعف من أن يبطل بالمناقشة، لأن القائل به سواء ومن يقول: إن رجلاً واحداً حمل سيفه وخرج إلى جميع مخالفيه ليبعث فيهم الخوف من سيفه ـ وحده ـ ويسوقهم كرهاً إلى اعتقاد ما ينكرون، فيعتقدونه ويثنون عليه ثم يحملون السيف معه لتخويف الآخرين».

أفبعد هذا الدفاع الذي جاء على لسان غربي غير مسلم يصح أن يقال إن الإسلام قد انتشر بالسيف أو أكره الناس على الدخول فيه؟

لعلي بهذا الذي قلت أكون قد أزلت اللبس، وبددت الوهم عن عقول القائلين بان الجهاد في سبيل الله إكراه للناس على الدخول في الإسلام، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

## ٦ ـ الجهاد في سبيل الله، موضوعه ووسيلته وميدانه

إكمالاً للصورة الواضحة الدقيقة التي أردنا أن نتحدث بها عن الجهاد في سبيل الله من خلال اللغة والكتاب والسنة وفقه المسلمين، أثرنا قضية الجهاد والإكراه في الدين في الصفحات السابقة.

ونتحدث هنا عن قضية ثانية تتصل بالجهاد هي تحديد موضوعه ووسيلته وميدانه، مما يمكن أن يكون قد اتضح من سياق حديثنا في إلقاء الضوء على مفهوم الجهاد، غير أننا نريد أن نوضح ذلك في تحديد وإيجاز حتى لا تختلط الأمور. فنقول والله المستعان.

- إن الجهاد في الإسلام له موضوع لا يتجاوزه.
- وله وسيلة أو وسائل يحقق من خلالها موضوعه أو هدفه.
- وله ميدان يتحرك فيه المجاهدون من أجل ذلك.

### ـ موضوع الجهاد

- موضوع الجهاد في الإسلام أو هدفه الأصيل الرئيسي هو تحرير النوع الإنساني كله من الشرك ومن عبادة الناس والأشياء والهوى، ولذلك يخطئ من يظن أو يدعي أن هدف الجهاد منحصر في طائفة من الناس دون أخرى تتميز بعرق أو لون أو سكنى إقليم بعينه.

- ويمعن في الخطأ من يتوهم أن موضوع الجهاد ينحصر في وعاء زمني يضم أبناء هذا الزمن بعينه دون بقية الأزمان.

ـ وهؤلاء وأولئك من الذين يقولون بإقليمية الإسلام كله أو محليته أو توقيته بزمن دون سائر الأزمان.

ـ وهؤلاء هم الذين يجتهدون ما وسعهم في نفي العالمية والإنسانية عن هذا الدين.

ـ وهؤلاء وأولئك هم القائلون بأقليمية الجهاد في الإسلام ومحليته وتأقيته بزمن معين.

● وأشد من هؤلاء وأولئك خطأ من يتصورون أن الجهاد في سبيل الله قد استهدف الأمة العربية التي تسكن الجزيرة العربية ليطهرها من الشرك، ثم يلقي السلاح.

● إن موضوع الجهاد في الإسلام هو الإنسانية كلها في كل زمان ومكان، إن هذا النوع الإنساني كله يجب أن يستقيم على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي عبادته وحده سبحانه والتحرر من كل معبود ومن كل طاغوت ومن كل باطل، لأنه لا يحيا حياته الإنسانية الكريمة إلا إذا تحرر من كل هذا.

● ولهذا كان الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة ليقاوم هذا الانحراف عن الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، وما دام الناس يعيشون على هذه الأرض فإن طواغيت منهم يحبون أن يعبدوا من دون الله، ويرغبون في أن ينتقصوا من حقوق الإنسان ما يدعمون به باطلهم وزورهم وافتياتهم على الله وعلى الحق.

● وما دامت الأرحام تقذف بأجنتها ليكون هذا الجنين إنسانًا له حقوق وعليه واجبات، فإن الظالمين والطواغيت يحاولون دائمًا أن ينحرفوا بهذا الإنسان عن فطرته، ويهضموا حقوقه، وإن الجهاد في سبيل الله هو الذي يعيد إلى هؤلاء الطواغيت عقولهم أو يخلص الإنسانية منهم، وهو الذي يكفل للإنسان حقوقه ويتحدى بقوة السيف من يعتدي على هذه الحقوق أو ينتقص شيئًا منها. وهذا هو المعنى الدقيق لكون الجهاد فريضة ماضية مستمرة إلى يوم القيامة.

## ـ وسيلة الجهاد:

أوضحنا من قبل موضوع الجهاد في سبيل الله أو هدفه، ذكرنا قبل ذلك أغراضه التي شرع من أجلها.

ولا بأس أن نجمل ما سبق تذكيراً بما لا ينبغي أن ينسى، فنقول إن هدف الجهاد أو موضوعه هو:

- حماية عقيدة الإسلام ومنهجه والعمل على تطبيق هذا المنهج.

- وحماية المجتمع الذي يطبق منهج الله من كل منْ يحاول صرفه عن هذا المنهج إلى منهج آخر، إن كان هذا المجتمع موجوداً.

- والعمل على تكوين هذا المجتمع إن لم يكن موجوداً، وذلك بالتربية والتكوين، وفق ما تعرفه الحركة الإسلامية من مناهج ومراحل.

- والتمكين، لدين الله في الأرض، وتأمين هذا التمكين والمحافظة عليه.

- وتأمين الدعوة إلى الله تعالى، والحركة والتنظيم والتربية المؤدية إلى التمكين لمنهج الله ونظامه.

● وإذا كانت تلك هي أهداف الجهاد في سبيل الله فلا بد أن يكون لهذا الجهاد وسيلة أو وسائله تمكنه من تحقيق أهدافه، وتلك الوسائل هي كما نفهم ذلك من عمل النبي ﷺ وهديه وعمل صحابته رضوان الله عليهم ما نشير إليه بإيجاز فيما يلي:

## ـ الاستعداد والإعداد:

أي التهيؤ الروحي والعقلي والبدني والمادي، لتحقيق هذه الأهداف، وليس الاستعداد سهلاً كما قد يتصور بعض الناس، وإنما هو طريق طويلة وزاد كثير يتزود به الساعي في هذا الطريق، ومتاعب كثيرة تعترض السير فيه.

وتهيؤ لمواجهة من يعترضون السير في هذا الطريق.

ولتوضيح ذلك نقول:

- إنه استعداد وإعداد للقيام بأعباء الدعوة إلى الله بالكلمة والقدوة، وبث الخير والعمل الصالح.

- واستعداد وإعداد للقيام بأعباء الحركة والاختلاط بالناس وتقديم العون لهم وتوظيفهم في العمل من أجل الإسلام.

- واستعداد وإعداد ثقافي بنشر الفكر الصحيح، وكلمة الحق وإقناع الناس بذلك.

- واستعداد وإعداد لتوعية الناس بحقوقهم وواجباتهم نحو بعضهم مع بعض ونحو حكامهم ورؤسائهم، وذلك جهاد سياسي مطلوب.

- واستعداد وإعداد في تنمية الثروة في المجتمع وتبصير بالأوجه الصحيحة التي أصلها الله لكسب المال، والأوجه الواجبة في إنفاقه.

- واستعداد وإعداد لملاقاة العدو وقتاله وجهاده بالنفس والمال واليد واللسان والموقف.

- وقد جاء في الاستعداد والإعداد في مجال الجهاد في سبيل الله تعالى آية قرآنية كريمة جامعة، نريد أن نلقي ضوءاً على ما تضمنته من معاني:

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

[الأنفال: ٦٠]

قال علماء التفسير فيها:

أمر الله عباده المؤمنين بأن يجعلوا الاستعداد للحرب التي علموا أن لا مندوحة عنها لدفع العدوان والشر، ولحفظ الأنفس، ودعاية الحق، والعدل، والفضيلة، بأمرين:

**أحدهما:**

إعداد جميع الأسباب المؤدية إلى القوة بقدر الاستطاعة.

**وثانيهما:**

مرابطة فرسانهم في ثغور بلادهم وحدودها، وهي مداخل الأعداء مواضع مهاجمتهم للبلاد. والمقصود أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها.

● وإنما يكون هذا الاستعداد والإعداد لتحقيق الأهداف التي ذكرنا آنفًا، ولهدف آخر حددته هذه الآية الكريمة هو:

- إرهاب العدو، وتحولون بهذا الإرهاب له، بينه وبين أن يعتدي عليكم، أو تحدثه نفسه بذلك، وذلك هو العدو المعروف.

- ولإرهاب عدو لا تعرفونه الآن ولكن الله تعالى يعلم عنه ما لا تعلمون، وهؤلاء الأعداء غير المعروفين للمسلمين إنما يرهبهم الإعداد والاستعداد.

تلك هي وسائل الجهاد في سبيل الله تعالى، التي يمكن بها أن يحقق الجهاد هدفه أو أهدافه.

## ـ ميدان الجهاد

الجهاد في سبيل الله ليس له ميدان واحد، وإنما هي ميادين متعددة قد تبلغ من الكثرة حداً يصعب معه إحصاؤها.

ونذكر من هذه الميادين ما يلي:

● ميدان المعركة الراهنة مع عدو ظاهر يقاتل المسلمين ويحشد لهم، وهذا ميدان الجهاد بالنفس وبالمال وبالكيد للعدو، وعلى قدر ما تخلص نية المجاهد في جهاده على قدر ما يثيبه الله تبارك وتعالى والمجاهدون في هذا الميدان لهم النصر أو الشهادة وكلاهما حسن ودليل على فضل الله وكرمه، وتاييده لمن ينصرونه بالدفاع عن دينه ومنهجه.

ـ وفي هذا الميدان لا يدخر المسلمون وسعاً في التضحية بالمال والنفس والجهد، والفكر.

ـ وعندما يكون الجهاد في هذا الميدان على أرض إسلامية داهمها العدو، فإنه يصبح فرض عين، لا يستاذن فيه ولد والده، كما قرر ذلك الفقهاء.

ـ وعندما يكون الجهاد في أرض غير إسلامية فإنه يصبح فرض كفاية إذا فعله بعض المسلمين فتحققت بهم الكفاية سقط الإثم عن الباقين.

● وميدان المعركة المحتملة مع عدو مرتقب.

وهذا الميدان من الجهاد لا قتال فيه، بل فيه حرب وكيد، وهذا الميدان يستهدف الجهاد فيه منع وقوع القتال، وإجهاض خطط العدو قبل أن ينفذها.

ـ ويدخل في الحرب في هذا الميدان الجهود الإعلامية المختلفة.

ـ كما يدخل فيه تاليف الكتب والكتيبات وعقد الندوات والدورات ونحوها.

ـ ومن الجهاد في هذا الميدان رصد المال وتوجيهه لصالح تامين الأمة الإسلامية.

- ومن الجهاد في هذا الميدان التقدم العلمي والتقني وتضافر جهود الأفراد والدولة في هذا السبيل، لمواجهة عدو متقدم علميًا وفي مجال الآلة العسكرية.

- ومن الجهاد في هذا الميدان رصد الأعداء وتصنيفهم بحيادية وموضوعية لمعرفة من كان منهم أكثر ضراوة ورسم خطة لمواجهته والاستعداد له.

● وميدان الدعوة والحركة والتنظيم والتربية.

وهذا الميدان من أوسع ميادين الجهاد، لأن كل مفردة من هذه المفردات لها شروطها وآدابها ومراحلها، ولا حياة للإسلام ولا للمسلمين إلا بالعمل الدءوب في هذه المجالات، والعمل فيها جهاد طويل وصعب ولكن لا مفر منه إذ هو واجب شرعي.

- ومن الجهاد في هذا الميدان توضيح دعوة القرآن الكريم وإزالة الشبهات عنها، وتبسيطها بلغة العصر.

- ومن الجهاد في هذا الميدان وضع برامج لتربية الناس تربية إسلامية عن طريق المسجد والمدرسة.

- ومن الجهاد في هذا الميدان تبصير الناس بالآفات الاجتماعية التي تسيء إلى الدين والتدين والقيم الفاضلة.

- ومن الجهاد في هذا الميدان تفقيه الناس جميعًا في دينهم وتعليمهم أن الدعوة إلى الله واجب كل مسلم، يدعو إلى الله.

● وميدان التمكين لدين الله في الأرض.

وهذا أهم الميادين التي تحتاج جهاداً في سبيل الله، بل جهاداً متنوعًا في كل مجال من مجالات الحياة، الدينية والثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية، والخلقية، والعلمية، والعملية وكل مجال يحتاج إلى العمل فيه من أجل التمكين لدين الله في الناس.

- وهذا الميدان أهم ميادين الجهاد على الإطلاق، بل كل جهاد يفضي إليه ويعد خطوة نحو الوصول إليه، والجهود التي يحتاجها هذا الميدان لا يقادر قدرها.

- وكل عمل من أجل الإسلام في كل مجال من مجالات العمل ينبغي أن يوظف من أجل التمكين لدين الله في الأرض.

- وكل حركة إسلامية في أي قطر من الأقطار يجب أن تجعل التمكين لدين الله هو هدفها الرئيسي.

● وميدان المحافظة على التمكين بعد الوصول إليه.

وهذا ميدان للجهاد عظيم الأثر جليل الخطر، وذلك أن الوصول إلى التمكين يكلف جهداً ووقتاً ومالاً، وتضحيات قد تصل إلى التضحية بالنفس واختيار الشهادة في سبيل الله تعالى في إحدى معارك الوصول إلى التمكين.

- وعلى قدر الصعوبات والتضحيات التي تصاحب العمل على التمكين، فإن من اليسير ضياع التمكين والانتكاس فيه، وكم من دولة مسلمة مكن لها ثم انهارت لأنها لم تستطع أن تحافظ على التمكين الذي وصلت إليه!!!

- وانهيار التمكين لا يستغرق وقتاً كالذي استغرقه الوصول إلى التمكين - بل ولا ربعه أو خمسه أو عشره، فما هو إلا أن يدب الفساد في رأس الدولة ومنْ يحيطون به، حتي يشيع الفساد سريعاً في كل رجا من أرجاء الدولة فيكون الانهيار ويضيع التمكين.

- ومن علامات الفساد ظلم الحكام للمحكومين، وسكوت المحكومين على حكامهم الظالمين، وشيوع النفاق للحكام وتبرير أعمالهم الخاطئة، ومدحهم وإسناد المحامد إليهم دون أن يفعلوها، وكل هذا لا بد أن يؤدي إلى انهيار الدولة وضياع التمكين.

- ومن أسباب ضياع التمكين أن يتصور من وصلوا إليه أنهم حققوا أهدافهم ثم يستنيمون فلا يحافظون عليه.

- ومن مقولات العاملين في الحركة الإسلامية: «إن الاستمرار في أعمال الدعوة والحركة والتنظيم والتربية حتى بعد الوصول إلى التمكين واجب يفرضه الاستمرار في التمكين والمحافظة عليه» وهي مقولة صحيحة تدل على وعي واستفادة من حركة التاريخ ومن دراسة أسباب قيام الدول وأسباب انهيارها.

- والاستمرار في التمكين لدين الله في الأرض والمحافظة عليه واجب شرعي لا فكاك منه، وهو من أهم أنواع الجهاد وميدانه أصعب الميادين.

وبعد:

فإن النظر في موضوع الجهاد في سبيل الله وهدفه، وفي وسائله وميادنيه هو الذي يمكن المتدبر من أن يعرف سر مشروعية الجهاد وسر امتداده وبقائه إلى يوم القيامة، وهذا الامتداد والبقاء هو السر في اعتبار المسلم الذي لا يغزو ولا تحدثه نفسه بالغزو في سبيل الله ميتاً ميتة جاهلية أو على شعبة من النفاق.

● ولعل ما تحدثنا به في موضوع الجهاد ووسائله وميادينه ومشروعيته تهدئ من روع الذين يزعمون أنه شرع لمجرد رد العدوان، ثم يجهدون أنفسهم في البحث عن مبررات للجهاد حين لا يكون لرد العدوان أو الدفاع، لعل الصبح أسفر لذي عينين.

● إن الجهاد ماض إلى يوم القيامة لا يتوقف عنه المسلمون إلا أثموا وعطلوا ركناً من أركان الدين وسهماً من سهامه، بل عطلوا ذروة سنام الإسلام وهو الجهاد في سبيل الله.

● ولهذا الجهاد في سبيل الله أحكام فقهية تتعلق به، تلتمس في كتب الفقه الإسلامي ليتوسع فيها من أراد، وتلتمس مجملة في كتب السنة النبوية المطهرة تحت عنوان: كتاب الجهاد أو: كتاب السير.

وسوف نذكر من هذه الأحكام في هذا الكتاب ما نراه ملائماً لموضوع الكتاب وحجمه والله المستعان.

## ٧ ـ أحكام تتعلق بالجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، إما أن يكون فرضاً عينياً، وإما أن يكون فرضاً كفائياً، وهذه القسمة من أهم الأحكام التي تتعلق بالجهاد فهو قسمان:

● فرض عين على كل من يقدر عليه من المسلمين بقدر طاقته، وذلك إذا كان النفير عاماً.

ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ٤١]، روى محمد بن سيرين قال: كان أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه يقول: قال الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ فلا أحد من الناس إلا خفيف أو ثقيل.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

وهذا النوع من الجهاد لا يشترط فيه إذن الأبوين ولا السيد ولا الزوج، لأنه فرض عين على كل قادر عليه.

● وفرض كفاية، وهو ما إذا قام به بعض المسلمين سقط عن الباقين، لحصول المقصود وهو كسر شوكة المشركين، وإعزاز الدين، ودفع الأعداء وغزوهم في عقر دارهم وحماية ثغور المسلمين، وذلك لأنه لو جعل فرضاً في كل وقت على كل أحد عاد على موضوعه بالنقص.

والمقصود أن يأمن المسلمون ويتمكنوا من القيام بمصالح دينهم ودنياهم، فإذا

اشتغل كل المسلمين بالجهاد لم يتفرغوا للقيام بمصالح دنياهم، فلذلك كان فرض كفاية.

● وهذا القسم من الجهاد يشترط فيه إذن الأبوين والسيد والزوج.

● وفي سيرة الرسول ﷺ لنا أسوة، وقد كان ﷺ يخرج للجهاد، وتارة يبعث غيره للجهاد فيما يسمى بالسرايا، وكان يقول ﷺ فيما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه: «... **والذي نفسي بيده لولا أن يشق على المسلمين، ما قعدتُ خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل**».

● ومن امتنع عن الجهاد بماله ونفسه وهو قادر على ذلك فهو في عداد الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، حيث الجزاء على هذا القعود، بل هو غارق في لجج الشك والارتياب، بل هو منافق خالص النفاق يبحث عما يحقق له المنافع الدنيوية فحسب.

أما المؤمنون بالله واليوم الآخر فإنهم يقدمون على الجهاد بالمال والنفس، ولا يتعللون بشيء قد يثنيهم عن الجهاد في سبيل الله، ذلك هو ما دلت عليه آيات القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**﴾.

[التوبة: ٤٤، ٤٥]

● وإن الحقيقة التي تفهم من هذا أن الإقدام على الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس هو الإيمان أو من علامات الإيمان، وأن القعود عن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس مع القدرة على ذلك نفاق يحاسب عليه صاحبه أشد أنواع الحساب والعقاب.

إذا تبين لنا هذا، وهو بفضل واضح، أخذنا بعون الله تعالى في ذكر أحكام تتعلق بالجهاد في سبيل الله على النحو التالي:

## أ- لا يجوز لمسلم أن يفر من المعركة إلا في ظروف معينة:

وذلك أن الفرار من المعركة جريمة نهي الله تعالى عنها، لما فيها من التخلي عن نصرة الإسلام والمسلمين، ولما فيها من الجبن وإيثار الدنيا على الآخرة، ولما تدل عليه من ضعف الإيمان وزعزعة العقيدة.

● وفي حالتين اثنتين يباح للمسلم أن يفر من المعركة هما:

- أن يكون فراره عن خطة يعود بعدها لمواجهة العدو.

- أو أن يكون بفراره هذا سوف ينحاز لفئة من مقاتلي المسلمين إذا وصل إليهم دعمهم وشارك معهم.

- قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

- وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» - قيل يا رسول الله وما هن - قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**».

- وروى البخاري بسنده عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**».

● ففي هذه النصوص الإسلامية نهى عن الفرار إلا للسببين الذين ذكرتهما الآية الكريمة، ولا عبرة بقول من قال: يفر الرجل المسلم من ثلاثة فاكثر، ونحو ذلك. لأن النصوص خلت من هذا الاستثناء.

## ب- ولا يجوز قتل نساء العدو أو صبيانهم إلا إذا شاركوا في قتال المسلمين:

وهذا الحكم من أحكام الجهاد في سبيل الله دليل قاطع على رحمة الإسلام في الجهاد، وأنه لا يشن على العدو حرب إبادة كما تفعل بعض الدول التي تتشدق بالتحضر والمحافظة على حقوق الإنسان.

وتفصيل هذا الحكم أن النساء لا يجوز قتلهن إلا إذا حملن السلاح وقاتلن المسلمين، وأن الصبيان ما لم يبلغوا الحلم لا يجوز قتلهم إلا إذا شاركوا في قتال المسلمين.

وبعض العلماء يلحقون الشيوخ العاجزين عن المشاركة في الحرب بالنساء والصبيان في عدم جواز قتلهم، إلا إذا شاركوا في القتال ولو بالرأي.

- روى البخاري بسنده عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما أخبره أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة، فانكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان.

● فإن أصيب النساء والصبيان في المعركة عن غير قصد، أو بيَّت المسلمون أعداءهم - أي هاجموهم ليلاً - فاصيب النساء والصبيان فلا حرج في ذلك، كما ذكر ذلك العلماء.

## جـ - ويجوز قتل من عدا النساء والصبيان من المشركين:

قتل المشركين في الحرب مقاتلين أو غير مقاتلين، تجار، أو أجراء، أو شيوخ كبار - إذا كانوا من ذوي الرأي - أو فلاحين أو قسس أو رهبان، أو عميان أو مقعدين.

ويجوز استبقاؤهم إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين.

هذا هو رأى ابن حزم الأندلسي رحمه الله، وحجته في ذلك قول الله تعالى:

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فعمّ عز وجل كل مشرك بالقتل إلا أن يسلم[١].

وضعف ابن حزم سائر الأحاديث النبوية التي احتج بها مَنْ قالوا: إن أولئك لا يقتلون، بحيث لا يؤخذ بها، حيث قال في التعقيب على قول العلماء بقوله: هذا كل ما شغبوا به، وكل ذلك لا يصح... ثم أخذ يفند أدلتهم...»[٢].

وللعلماء في ذلك الحكم تفصيلات كثيرة تلتمس في كتب الفقه الإسلامي لمن أراد التوسع.

## د- ولا يحل عَقْر شيء من حيواناتهم البتَّةَ:

أعود فاذكر بما تفعله الدول المتحضرة اليوم عندما تحارب فتسمم الآبار وتحرق الحيوان والشجر، وتستعمل الغازات السامة القاتلة للأحياء والمفسدة للأشياء، وتستعمل غاز الأعصاب وقنابل «النابلم» والقنابل العنقودية، لا يستثنون من ذلك إنسانًا ولا حيوانًا ولا نباتًا ولا شيئًا ثم يتبجحون بدعواهم حماية حقوق الإنسان!!!

● أما الجهاد في الإسلام فلا يجوز فيه عقر الحيوانات من إبل وبقر وغنم وخيل، ودجاج وحمام وإوز ونحو ذلك من سائر هذه الحيوانات النافعة، لا يجوز عقر شيء من ذلك إلا للأكل فتذبح وتؤكل.

واستثنى العلماء من تلك الحيوانات الخنازير فإنها نجسة العين تقتل على كل حال.

واستثنى بعض العلماء الخيول لأنها من آلة الحرب.

---

(١) ابن حزم: المحلّى ٧/٢٩٧ ط المنيرية مصر ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م.

(٢) السابق: ٧/٢٩٨.

ولا يجوز عقر شيء من نحلهم فلا يغرق ولا تحرق خلاياه.

**هـ- ويجوز تحريق أشجارهم وزروعهم وأطعمتهم، ويجوز تركها:**

وهذا الحكم فيه مرونة تحكمها مصلحة المسلمين في تلك المعارك وتخضع لاجتهاداتهم.

وقد دل على جواز الإحراق والترك، النصوص الإسلامية.

- قال الله تعالى: ﴿**مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [الحشر: ٥]، فالخيار بين القطع والترك منصوص عليه في الآية الكريمة.

- وفي السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ أحرق نخل بني النضير - وهي في طرق المدينة - وقد علم أنها تصير إلى المسلمين في يومه أو غده، مما يدل على جواز الإحراق. كما جاء في السيرة النبوية أن الرسول ﷺ لم يحرق ولم يقطع نخل خيبر، فدل ذلك على أن القطع أو الحرق أو الترك جائز، ويترك فيه الأمر لما يراه المسلمون أصلح لهم.

**و- والإعداد والاستعداد للجهاد واجب على كل قادر عليه:**

وإنما وجب ذلك لأن القرآن الكريم قد أمر به، ولأن السنة النبوية المطهرة أوجبته، وذلك من أجل ألا يري العدو في المسلمين ضعفًا فيطمع فيهم ويعتدى عليهم.

- قال الله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: ٦٠].

فقد جاء الإعداد في الآية الكريمة بصيغة الأمر، والأمر يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة على صرفه من الوجوب إلى الندب.

- وروى مسلم بسنده عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**وأعدوا لهم ما استطعتم، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**».

- وروى مسلم بسنده عن عقبة بن عامر - أيضاً - رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ستفتح عليكم أرضون، ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه**».

- وروى مسلم بسنده عن عقبة بن عامر - أيضاً - رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ علم الرمي ثم تركه فليس منا، أو فقد عصى**».

● وكلمة الرمي هنا رمز لكل ما يحتاج إليه في الجهاد من آلة عسكرية، وما تحتاج إليه تلك الآلة من علوم وفنون وتقنية وفي ذلك تفصيلات كثيرة لا مجال هنا للإفاضة فيها.

● وكلمة القوة في الآية الكريمة تعني كل ما يتقوى به في الحرب فيدخل فيه الإعداد المعنوي للجنود إلى جانب الإعداد المادي، وهذا الإعداد المادي تدخل فيه كل آلات الحرب المتطورة الآن، وبخاصة أن كلمة «لهم» في الآية ضمير للعدو، ولا يكون الإعداد ملائماً إلا إذا روعي فيه ما وصل إليه العدو من مستوى في الآلة العسكرية، حيث يعد المسلمون للعدو ما يوازي هذه الآلة أو يتفوق عليها، فكل ذلك داخل في الإعداد، ولا يتم الإعداد للعدو إلا به، وقاعدتنا تقول: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» كما قرر تلك القاعدة علماء أصول الفقه.

وحسبنا في هذا المجال تلك الكلمات.

### ز- والمرابطة في ثغور المسلمين من أفضل العبادات:

وهذه المرابطة أو الرباط تعني ملازمة ثغور المسلمين مع أعدائهم والإقامة في هذه الثغور والسهر على حمايتها تحسبا لما يقوم به العدو من غارة أو عدوان.

وهذا الرباط من أفضل العبادات، وقد أثنى على الرباط رسول الله ﷺ، فيما

رواه البخاري بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
**«رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها...»**.

وهذا هو الرباط في الجهاد وذاك أجره عند الله وهو من أعظم الأجور إذ هو خير من الدنيا وما عليها.

ولكي لا يلتبس أمر الرباط على القارئ، فإن هناك رباط آخر ورد في السنة النبوية وهو الانتظار في المسجد من الصلاة إلى الصلاة، وقد سماه رسول الله ﷺ رباطاً أي أن أجره يعدل أجر المرابط في الجهاد.

- روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
**«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»**.

## ٨ ـ مكانة الجهاد في الإسلام

حسب الجهاد شرفًا ومكانة في الإسلام أن رسول الله ﷺ وصفه بأنه ذروة سنام الإسلام فيما رواه الترمذي بسنده عن معاذ رضي الله عنه، عندما سأله معاذ عن عمل يدخله الجنة ويباعد بينه وبين النار، في حديث مطول جاء فيه: «... ألا أخبركم برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد...».

● وبحسب الجهاد شرفًا وفضلاً أن سورا قرآنية كريمة جاءت بأسرها في الجهاد وأحكامه وآدابه، مما لم يحظ به ركن آخر من أركان الإسلام، ومن هذه السور الكريمة:

– سورة الأنفال كلها.
– وسورة التوبة كلها.
– وسورة القتال أو محمد.
– وسورة الفتح.
– وعشرات الآيات المتوالية من سورة آل عمران.
– وعديد من الآيات من سورة النساء.
– وعديد من الآيات من سورة البقرة.
– وعديد من الآيات من سورة الأحزاب.
– وعديد من الآيات من سورة الحشر.
– وعديد من الآيات من سورة الحج.
– وعديد من الآيات من سورة الصف.

وآيات من عدد من السور القرآنية الأخرى.

● ومما هو ثابت ومؤكد في القرآن الكريم أن الجهاد قد كتب على المسلمين ـ

أي فرض عليهم - كما كتبت عليهم الصلاة والصوم والقصاص، وكما كتب أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون.

- قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

حيث تقرر هذه الآية الكريمة أن الجهاد في سبيل الله فريضة مكتوبة على المسلمين، وتوضح أنها شاقة على النفس الإنسانية، ولكنها واجبة الأداء في ظروف بعينها لا يتم إيمان المؤمن إلا بها أي بأداء هذا الواجب الثقيل المكلف، لما في أداء هذا الواجب من خير للبشرية كلها، ولما فيها من إقرار وتأييد للحق والخيروالهدى والصلاح، ولما فيها من تأمين حياة الناس ضد أعدائهم.

● وعلى الرغم مما في الجهاد من مشقة وصعوبة على النفس الإنسانية، فإن الآية الكريمة تقرر بل تعترف بهذه المشقة على المسلم، ولكنها تبعث في نفسه الثقة في حكمة الله تعالى وهو يفرض هذه الفريضة التي تكلف الإنسان مشقة، فتنادى عليهم الآية: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وتعلل لهم ذلك ليزدادوا إيمانًا بحكمة الله التي قد لا تدركها عقولهم: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

● ومهما يكن الجهاد شاقًا ومكلفًا من المال والجهد والوقت أو النفس ذاتها، فإنه في تقدير الله عز وجل وفي حكمته البالغة خير للمسلمين مهما كرهته نفوسهم.

● كما توضح الآية الكريمة أن النفس الإنسانية في حبها أو كراهيتها قليلاً ما تدرك الحقيقة إذ عسى أن تحب هذه النفس شيئًا وهو شرٌ لها، وعسى أن تكره شيئًا وهو خير لها، ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

● إن النفس المؤمنة تطمئن بذلك إلى ما شرع الله وإلى ما فرض عليها، وتوقن بأن في شرعه وفيما فرضه، وفيما حبب فيه الخير كل الخير، خير الدنيا وخير الآخرة.

ويصبح مبدأ للنفس الإنسانية وهي تمارس ما فرض الله عليها أن توقن بأن الخير فيما فرض مهما بدا صعباً تكرهه النفس.

● وقد تكفلت بعض آيات القرآن الكريم ببيان فضل الجهاد وعظيم ثوابه عند الله، ونذكر من هذه الآيات مايلي:

- قال الله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٤ - ٧٦].

- وقال عز وجل: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٥].

ـ وقال جل شانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١، ١١٢].

وهذه الآيات الثلاث أكدت أجر المجاهدين العظيم عند الله تعالى.

● فالآية الأولى: أخبرت بان للمجاهد عند الله أجراً عظيماً سواء انتصر في المعركة التي قاتل فيها أو استشهد.

● والآية الثانية: ركزت على أجر الشهداء وهو الرزق العظيم والفرح بما أعد الله لهم في الآخرة من فضله، والاستبشار بان كل من لحق بهم من إخوانهم سينال هذا الأجر العظيم.

● والآية الثالثة: صفقة رابحة بين الله تعالى والمجاهدين في سبيله، يبيعون الله تبارك وتعالى أموالهم وأنفسهم فيكون الثمن هو أغلى ثمن وأحب ثمن وأدوم ثمن وهو الجنة.

صدق أسلافنا عندما علق أحدهم على هذه الصفقة، فقال: يا عجبا، أموال هو رازقها وأنفس هو خالقها فإذا قدمناها إليه كانت لنا الجنة، ربح البيع.

ـ وفي القرآن الكريم آيات أخرى كثيرة تتحدث عن فضل الجهاد وعظيم أجره، لكننا لسنا بصدد إحصائها.

● والأحاديث النبوية الشريفة في الجهاد مكانته وأجره وشرفه أكثر من ان أحصيها في هذا الكتاب. وللعلم والمعرفة فإن كتب السنة اشتملت منها على المئات.

● وجمع الإمام النووي منها في مختصره «رياض الصالحين» ثلاثة وسبعين حديثًا.

● وجمع منها الإمام البنا في رسالة له وجيزة عن الجهاد أكثر من ثلاثين حديثًا.

● وجمعت منها في هذا الكتاب أو في هذه النقطة الثامنة وهي: مكانة الجهاد في الإسلام عشرين حديثًا. أذكرها على النحو التالي، والله المستعان:

١- روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: **«إيمان بالله ورسوله»** قيل: ثم ماذا؟ قال: **«الجهاد في سبيل الله»** قيل: ثم ماذا؟ قال: **«حج مبرور»**. ورواه مسلم.

٢- وروى البخاري بسنده عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: **«الإيمان بالله والجهاد في سبيله»**. ورواه مسلم.

٣- وروى البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»** ورواه مسلم.

٤- وروى البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: أي الناس أفضل؟ قال: **«مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله»** قال: ثم من؟ قال: **«مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره»**. ورواه مسلم.

٥- وروى مسلم بسنده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه أُجْرِي عليه عمله الذي كان يعمل، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان»**.

٦- وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي**

وتصديق برسلي فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده، ما مِنْ كَلْم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم: لونه لون الدم وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل».

٧- وروى الترمذي بسنده عن معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة، ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت، لونها لون الزعفران وريحها ريحة المسك».

٨- وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فاقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى أستاذن رسول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، ويدخلكم الجنة؟ اغزو في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة».

٩- وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «لا تستطيعونه» فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه»، ثم قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله».

١٠- وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين

الدرجتين كما بين السماء والأرض».

١١- وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة، كان على متنه يبتغي القتل أو الموت مظانَّه، أو رجل في غنيمة أو شعفة من هذا الشعب أو بطن وادٍ من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير».**

١٢- وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم».**

١٣- وروى البخاري بسنده عن زيد بن خالد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا».**

١٤- وروى البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة»** وفي رواية: **«لما يرى من فضل الشهادة».**

١٥- وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدَّيْن»** وفي رواية: **«القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدَّيْن».**

١٦- وروى البخاري بسنده عن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأيت الليلة رجلين أتياني، فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها، قال: أما هذه فدار الشهداء...»** وهو جزء من حديث مطول.

١٧- وروى البخاري بسنده عن عبد الله بن أوفى رضي الله عنه أن رسول الله

ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال: «أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»، ثم قال: «اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم».

١٨- وروى الترمذي بسنده عن أبي يحيى خريم بن فاتك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف».

١٩- وروى أبو داود بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ لم يغز أو يجهز غازيًا أو يخلف غازيًا في أهله بخير، أصابه الله بقارعة يوم القيامة».

٢٠- وروى البخاري بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه، أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل لِيُرى مكانه. وفي رواية يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، وفي رواية: يقاتل غضبًا، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». ورواه مسلم.

وبعد فهذه النصوص الإسلامية التي توضح مكانة الجهاد في الإسلام.

● وهذا هو الفصل الأول من هذا الكتاب ألقينا فيه ضوءًا على مفهوم الجهاد في اللغة والكتاب والسنة وعند فقهاء المسلمين، وأوضحنا أن الجهاد ليس إكراهًا للناس على الدخول في الدين، وحددنا موضوع الجهاد ووسيلته وميدانه، ثم تحدثنا عن أهم الأحكام التي تتعلق به، وختمنا هذا الفصل بالحديث عن مكانة الجهاد في الإسلام.

● وقد كان هذا الفصل فَرْشًا وتمهيداً للفصل الثاني من هذا الكتاب الذي سوف نشرح فيه ونحلل كلمة الإمام البنا في الجهاد كما تضمنتها رسالة التعاليم، وجاء ترتيبه الرابع من بين أركان البيعة العشرة. سائلين الله العون والسداد.



# الفصل الثاني

## تحليل النص الذي كتبه الإمام البنا في الجهاد

**ويتنـــاول:**

١– نص ركن الجهاد في رسالة التعاليم.

٢– الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة.

٣– الجهاد هو المقصود بقول الرسول ﷺ **«من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية»**.

٤– مراتب الجهاد.

٥– لا تحيا الدعوة إلا بالجهاد.

٦– متطلبات الدعوة والجهاد، ويشمل:

أ– عظمة الجهاد في سبيل الدعوة.

ب– ضخامة الثمن الذي يطلب لتأييدها.

حـ– جزالة الثواب للعاملين فيها.

٧– معنى هتاف الدعاة «الجهاد سبيلنا».



## تحليل النص الذي كتبه الإمام البنا عن الجهاد

نعني بهذا النص، تلك الكلمات الوجيزة المركزة التي هي ركن من أركان البيعة العشرة وهي كلمات ـ على وجازتها ـ تشعر القارئ بأنها كتبت عن الجهاد العملي التنفيذي[1] الذي فرضه الله على كل مسلم، فرضًا لازمًا جازمًا، ورغب فيه وتوعد القاعدين عنه بعذاب عظيم، كما وعد من أدَّاها بالأجر العظيم.

وتلك الكلمة عن الجهاد وجيزة لا تتجاوز عشرة أسطر، ولكنها تحتاج إلى مزيد من الشرح والتفصيل، وهو ما نأمل التوفيق فيه في هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

والإمام حسن البنا رحمه الله مصلح مجدِّد من مجددي القرون الذين ذكروا في الحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو داود بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو: **«إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها دينها»**. ورواه الحاكم فيّ مستدركه.

● ولهذه الصفة في الإمام البنا ـ وهي الإصلاح والتجديد ـ كان تركيزه على كتابة «رسالة التعاليم» التي تمثل منهجًا شاملاً للإصلاح والتجديد عنده رحمه الله.

---

(١) للإمام البنا رسالة وجيزة في الجهاد تقع في سبع عشرة صفحة منشورة بين مجموعة رسائله: تعد دراسة علمية نظرية عن الجهاد تناول فيها: الجهاد فريضة على كل مسلم، واستشهد ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وحكم الجهاد عن فقهاء الأمة، ولماذا يقاتل المسلم، والرحمة في الجهاد الإسلامي، وما يلحق بالجهاد مما يشاع من أن الجهاد في سبيل الله هو الجهاد الأصغر وأن جهاد النفس أو القلب هو الجهاد الأكبر، ونفى أن تكون تلك المقولة حديثًا شريفًا كما قال بذلك أمير المؤمنين في الحديث ابن حجر في كتابه: تسديد القوس.

● ولهذه الصفة فيه عليه رحمة الله كان اهتمامنا بهذه السلسلة:

«في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا».

وكما شرحنا نصوص الأركان الثلاثة الأولى:

الفهم، والإخلاص، والعمل، سوف نشرح نص الركن الرابع وهو الجهاد، والله المستعان.

## ١ ـ نص الركن الرابع من أركان البيعة العشرة

### ركن الجهاد:

«وأريد بالجهاد الفريضة الماضية إلى يوم القيامة، والمقصود بقول الرسول ﷺ:

**«من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية».**

وأول مراتب الجهاد: إنكار القلب، وأعلاها القتال في سبيل الله، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر.

ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد، وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد في سبيلها، وضخامة الثمن الذي يطلب لتأييدها، وجزالة الثواب للعاملين فيها: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾ [الحج: ٧٨].

وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم: الجهاد سبيلنا».

## ٢ ـ الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة

الجهاد من الفرائض الإسلامية المطلقة المستمرة التي شرعها الله تعالى مشروعية غير مؤقتة بزمن بعينه، ولا بمكان بعينه كتلك الفرائض المقيدة بزمان بعينه كالصوم والزكاة، أو المقيدة بمكان بعينه كالحج مثلاً.

● فالصوم فرض مقيد بدخول شهر رمضان المكرم، وبزمن معين في هذا الشهر وهو من الفجر إلى الغروب، وبالإمساك في ذلك الوقت عن شهوتي البطن والفرج، وقد فرض شهراً من كل عام.

● والزكاة فرض مقيد بنصاب معين من المال أو الحيوان أو النبات أو نحوها، ومقيد بأن يحول عليه الحول فائضاً عن حاجاته الأساسية، ومقيد بقدر معين يبلغ ربع العشر غالبًا أو نصف العشر أحيانًا، يعطي لمستحقين معنيين، وقد فرضت الزكاة مرة واحدة في العام.

● والحج فرض مقيد بمكان معين هو مكة المكرمة وعرفة ومنى وبزمان معين، وبأعمال معينة كالإحرام والطواف والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة والمبيت بمنى ورمي الجمار...الخ وهو مفروض مرة واحدة في عمر المسلم وتسمى حجة الإسلام وهو فرض على من استطاع إليه سبيلاً.

● أما الجهاد في سبيل الله فهو فريضة مطلقة من قيود الزمان والمكان فهو واجب في كل حين مع استثناء الأشهر الحرم وبعض الأمكنة، ولكن ينتفي هذا الاستثناء إذا قوتل المسلمون في هذه الأزمنة وتلك الأمكنة.

ومعنى ذلك أن الجهاد في سبيل الله يشبه الصلاة - عمود الدين - في وجوبه في كل حال وفي كل حين، ولا يعفى منه إلا العاجز عنه.

● وهذا من معاني أن الجهاد في سبيل الله فريضة ماضية إلى يوم القيامة، لا تعرف التأقيت ولا التقييد إلا في أضيق الحدود، وإنما كان ذلك لأن الرسول ﷺ وصف الصلاة بأنها: عمود الدين أو عماده، ووصف الجهاد بأنه: ذروة سنام الإسلام، ومن أجل هذا وجبت الصلاة إلى يوم القيامة، ووجب الجهاد إلى يوم القيامة.

● ومن نظرة أخرى إلى الصلاة والجهاد يمكن أن نلمح تشابهًا بينهما فنستطيع أن نقول: إن الصلاة كما تحدث عنها القرآن الكريم تنهي صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وإن الجهاد في سبيل الله في بعض مراتبه ينهي صاحبه وينهي الناس عمومًا عن الفحشاء والمنكر كذلك، إذ يجاهد الإنسان نفسه وهواه وشيطانه، ويجاهد أهل البدع والمنكرات بل أهل الشرك، وهذا ينهي كل أولئك عن الفحشاء والمنكر.

● فالصلاة والجهاد يشتركان في النهي عن الفحشاء والمنكر، ويسهم كل منهما في تطهير المجتمع من أهل الفواحش والمنكرات.

● فمن وظائف الجهاد النهي عن الفحشاء والمنكر، وهي وظيفة لا يجدي أداؤها نفعاً إن قيدت بزمن معين أو مكان معين، وذلك أحد معاني: أن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة.

● والصورة المجملة لإسلام المسلم، أن الإنسان يدخل في الإسلام بالنطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما، ويستمر في الإسلام بإقامة الصلاة، وممارسة الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وبأداء الزكاة والحج في أوقاتهما المحددة.

ومعنى ذلك أنه لا إسلام بغير جهاد في سبيل الله، ومن ترك الجهاد، مات ميتة جاهلية، أو مات على شعبة من النفاق، كما جاء ذلك في السنة النبوية المطهرة.

● ومن المسلم به أن الحياة الإنسانية لا يستقيم أمرها إلا بالجهاد بمراتبه المتعددة:

- جهاد النفس والهوى والشيطان.

- وجهاد أهل المنكرات والبدع.

- وجهاد المشركين والكفار، والذين لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب.

- وجهاد الأعداء عموماً.

فكيف يتصور مع هذا أن يكون الجهاد موسمياً أو محلياً، أو مرهوناً بان يشن أعداء الإسلام على المسلمين عدواناً؟

● إن الحياة الإنسانية لا تستقيم إلا بتطبيق شرع الله ومنهجه، وهذا لا يكون إلا إذا كانت فريضة الجهاد مستمرة إلى يوم القيامة، بحيث لا تتوقف فريضة الجهاد حتى تتوقف الحياة الإنسانية نفسها بان يصبح كل من عليها فانياً، ثم يقوم الناس لرب العالمين، إن الغاية التي ينتهي عندها الجهاد في سبيل الله أو يتوقف هى يوم القيامة.

وذلك أن الصراع بين الحق والباطل، بين الشرك والإيمان، بين الضلال والهدى، قائم ومستمر ما دام على الأرض حياة إنسانية أي إلى يوم القيامة، فكيف يواجه جند الحق والإيمان والهدى جند الباطل والشرك والضلال، ما لم يجاهدوهم في تلك المعارك العديدة التي يتسلح لها جند الباطل والشرك والضلال بكل ما يستطيعون من عدة وعتاد.

● وفي كل عصر يتنوع أعداء الحق والإيمان والهدى، وتتنوع أسلحتهم وآلتهم في حرب المؤمنين، ومن هنا كان على المؤمنين أن يجاهدوا في الله حق جهاده، وأن يكون جهادهم مستمراً إلى يوم القيامة لأن عدوهم مستمر في توجيه الضربات إليهم.

- قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

● وإن التدبر في الآية الكريمة ليوحي للمسلمين بكثير من الملامح التربوية النافعة لهم في دينهم ودنياهم، مما نذكر بعضه فيما يلي:

- أن الجهاد بكل أنواعه ومراتبه يجب أن يكون في سبيل الله، لا في سبيل جاه أو مال أو منفعة من أي نوع شخصي، إذ الجهاد مقيد بأنه في الله ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ أي في سبيله.

- وأن الخطاب جاء بصيغة الأمر، والأمر يقتضي الوجوب ما لم يرد ما يصرفه عن الوجوب إلى الندب.

- وأن المعيار في أن يكون الجهاد مرضيًا لله تعالى، هو أن يجاهد الإنسان المسلم في الله حق الجهاد، حيث لا يضن بمال أو جهد أو وقت أو نفس، لأن الأمر جاء بذلك ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ ومن قصر في الوصول إلى حق الجهاد، فإن الله تعالى يعلم هذا التقصير ويحاسب عليه.

- وأن هذا الجهاد ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ الذي قد يضحي فيه المسلم بنفسه في سبيل

الله فضلاً عن ماله وجهده ووقته ليس تفضلاً من المسلم ولكنه في مقابل نعمة كبرى أنعم الله تعالى بها عليه وهي الإسلام واجتباء المسلمين ليكونوا ناشري دينه ودعاته وحماته، وهذا الاختيار تشريف للفرد وللأمة التي جعلها الله تعالى وسطًا ﴿هُوَ اجْتَبَاكُم﴾.

ـ وأن هذا الجهاد حق الجهاد مهما بلغت التضحيات فيه، ليس فيه تضييق ولا تشديد على المسلمين ولا تكليف لهم بما لا يطيقون، لأن الله تعالى لا يكلف عباده بما يشق عليهم، وإنما قد تكرهه بعض النفوس المتمردة على أمر الله ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، فليس في شرع الله تعالى كله ما يشق على المكلفين القيام به، وكل ما يتوهمه الغافلون في هذا المجال من مشقة وهم باطل يكذبه القرآن الكريم في تصريحه بأن الله ما جعل على الناس في الدين من حرج.

● وكيف لا يكون الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة، مع أن أعداء الأمة الإسلامية باقون إلى يوم القيامة؟ وأعداء الدعوة إلى الله مستمرون في عدائهم إلى يوم القيامة؟

● إن قول الإمام حسن البنا: «وأريد بالجهاد الفريضة الماضية إلى يوم القيام» يستهدف أن يبين للدعاة إلى الله والعاملين في مجال الحركة الإسلامية عدداً من الحقائق التي أحَسَّ بها وعايشها في مجال عمله في الإصلاح والتجديد، ومن هذه الحقائق ما يلي:

ـ أن الجهاد فريضة لا يملك أحد من الإخوان أن يتخلى عن أدائها إلا بعذر يقبله الله تعالى، ومعنى ذلك أنه لا تصح أخوة واحد من الإخوان إلا إذا أدى فريضة الجهاد في سبيل الله وكل يجاهد بما يستطيع، وبما يعلم الله أنه في حدود استطاعته من وقت وجهد ومال، ومن جهاد نفس وشيطان وهوى، ومن جهاد أعداء.

ـ وأن الجهاد في سبيل الله ليس مرحلة من مراحل العمل من أجل الإسلام

تتوقف عند بلوغها غايتها كبعض أنواع العمل الإسلامي في الدعوة والحركة والتنظيم مثلا، وإنما هو عمل مستمر يمضي به المجاهد في حياته حتى يلقى ربه سبحانه وتعالى.

- وأن استمرار الجهاد في سبيل الله ضرورة تمليها على المسلمين ظروف أعدائهم المستمرين في عداء الإسلام والمسلمين، ولذلك كانت الغاية التي يتوقف عندها الجهاد هي يوم القيامة.

- وأن الجهاد في سبيل الله عمل وتنفيذ مبني على فهم وإخلاص، وقد مارس الإخوان هذا الجهاد بصورة عملية مرتين في حياة الجماعة مرة في الحرب مع اليهود سنة ١٩٤٨م من أجل فلسطين، ومرة في الحرب مع الانجليز في قناة السويس سنة ١٩٥١م، ثم حالت حكومة الانقلاب العسكري سنة ١٩٥٢م بين الإخوان وبين الجهاد، وتعاقبت من بعد ذلك الحكومات المتولدة عن هذا الانقلاب تحول بين الإخوان وبين الجهاد بالنفس أو المال أو حتى كلمة الحق عند سلطان جائر، ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

- وأن الجهاد في سبيل الله هو مصدر عزة الأمة المسلمة على مر الأيام لا يتخلى عنه إلا من فتن عن دينه ودعوته، وما كان أولئك إلا قلة نادرة بفضل الله، لأن الدين دين الله والدعوة دعوته، والمجاهدون عباده وأولياؤه.

## ٣ ـ الجهاد هو المقصود بقول الرسول ﷺ

«مَنْ مات ولم يغز، ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية».

● الجهاد في هذا الحديث النبوي الشريف هو مرتبة من مراتب الجهاد في سبيل الله، وهي جهاد الأعداء وغزوهم، إذ على كل مؤمن أن يجاهد هؤلاء الأعداء فعلاً، أو أن تحدثه نفسه بغزوهم، ويعيش على هذا الأمل.

**● وهؤلاء الأعداء كثيرون نذكر منهم:**

**أ- الأعداء التقليديين للإسلام والمسلمين:**

وإنما كانوا تقليديين لأننا ألفنا عداءهم ولم نعد محتاجين إلى ما يدل عليه أو يؤكده، وهؤلاء أصناف نستطيع أن نعُد منهم ما يلي:

ـ الأعداء الذين يحتلون أرض المسلمين بالقوة المادية أو المعنوية ويتخذون في بلاد المسلمين القواعد العسكرية ونحوها كاليهود في فلسطين.

ـ والأعداء الذين يمالئون هؤلاء المحتلين ويقدمون لهم العون ويؤيدون احتلالهم لأراضي المسلمين.

ـ والأعداء الذين يسيطرون على كثير من بلدان العالم الإسلامي سيطرة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية.

ـ ودعاة الحركات الهدامة الضالة التي تفتن المسلمين عن دينهم وتغريهم بالفساد والانحلال، وتزين لبعضهم الإلحاد والفسق والخروج على القيم الإسلامية.

**ب- والأعداء الغافلين الذاهلين:**

وإنما سميتهم غافلين ذاهلين لأنهم مسلمون يعادون الإسلام والدعوة إلى الله، ويقفون بالمرصاد للصحوة الإسلامية يوجهون إليها الضربات المادية والمعنوية.

وتلك غفلة ليس كمثلها غفلة أن يعادي الإنسان دينه ومعتقده جريًا وراء سراب خادع من فكر زائف أو مذهب سياسي أو منفعة مادية أو معنوية، إذ سريعًا ما تذهب الغفلة وتنقشع الغيوم، وتعرف حقيقة السراب، فإذا بهؤلاء الأعداء الغافلين يدركون أنهم بهذا العداء لدينهم قد أساءوا لأنفسهم ولأوطانهم، ووقفوا عقبة في طريق تقدم كان فيه إنقاذهم من التبعية والتخلف.

ومن هؤلاء الأعداء الغافلين الذاهلين ما نشير إليهم فيما يلي:

- كل مسلم يعتنق فكرًا أو مذهبًا مخالفًا لما جاء به الإسلام ولما عليه جماعة المسلمين المعتصمين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

- والذين يقومون على رأس أنظمة حكم تعادي الإسلام والدعوة إلى الله، وتتصدى للدعاة إلى الله وتحول بينهم وبين عملهم، أو تتحداهم ببث العراقيل أمامهم، وتعريضهم للمحن والسجون والمعتقلات والتعذيب والحرمان من التعبير عما يؤمنون به، بل حرمانهم من حقوقهم السياسية باسم الديموقراطية.

### حـ- والأعداء الذين يتحدون القيم الإسلامية:

وهؤلاء يعد عداؤهم أخبث وأضرى، لأنهم بهذا يهيئون للناس البعد عن الإسلام وخلقه ويقربونهم من العادات والتقاليد الضارة بهم في دينهم ودنياهم، ونذكر من هؤلاء ما يلي:

- المجاهرين بفعل المنكرات والمجترئين على ارتكاب المحرمات في سلوكهم الشخصي أو في حياتهم العائلية.

- والمستهزئين بقيم الإسلام الذين يصفون هذه القيم بأنها رجعية أو متخلفة أو غير ملائمة للعصر ومتغيراته.

- والذين يدعون إلى عرى المرأة بكشفها ما أمر الله بستره، أو يدعون إلى إفسادها وترجلها وخروجها عن طبيعتها وفطرتها التي فطرها الله عليها، وعلى الاحترام والتقدير الذي أحاطها به الإسلام بنتًا وأختًا وزوجةً وأمًّا وجدة وعمة وخالة.

- والذين يدعون الى تخنث الشباب وتمردهم على سلطة الابوين والمدرسة والمجتمع، ويغرونهم بالعنف والانحراف بما يقدمون إليهم من أفلام ومسرحيات وتمثيليات تعلم هذا وتحض عليه من طرف خفي.

- والذين يحبون الفساد ويعيشون عليه من أهل الرشا والوساطات والنفاق للمسئولين.

كل أولئك يتحدون القيم الإسلامية ويعملون على تعطيها وإحلال القيم الضالة محلها. هم أعداء أصلاء للإسلام والمسلمين.

## د- والصهيونية العالمية:

فهذه من الد أعداء الإسلام منذ زمن باكر في تاريخ الإسلام إذ لا فرق بين الصهيونية واليهودية - كما يزعم بعض الغافلين - على الأقل في عداء الإسلام والمسلمين.

● إن الصهيونية ضربت الأمة الإسلامية في مقتل يوم عاونها العالم كله على إقامة دولتها على أرض فلسطين!!!

● والصهيونية تضمر للأمة العربية - وهي جزء من العالم الإسلامي - كل شر، وتعد لها من الفخاخ والشباك ما يسيء إلى حاضرها ومستقبلها بالصلح ومعاهدات السلام، وتطبيع العلاقات وهي لا تزال تحتل الأرض وتنتهك العرض، والأسواق المشتركة الشرق أوسطية، واقتسام المياة والنفط والغاز والهواء - عما قريب - وتعد للمسلمين وللصحوة الإسلامية ما تستطيع من وسائل الفتك والدمار وتغري بها حكاماً غافلين.

● تفعل الصهيونية كل هذا وغيره مما هو أسوأ وأخفى يعاونها في ذلك ويؤيدها المجتمع الدولي كله شرقه وغربه، حتى لو وصلت إلى كل ما تريد في هذه المرحلة:

- احتلت الأرض وأقامت دولة.

- وشردت أهل البلاد الأصليين وحولتهم إلى لاجئين في عديد من بلدان العالم.

- وتوسعت في الأرض على حساب الأرض العربية.

- ورفضت كل قرار شكلي أصدره مجلس الأمن ولم يكن جاداً في تطبيقه كما جد في تطبيق القرار الخاص بالعراق مثلاً.

- وفاوضت العرب دولة دولة كما أرادت!!!

- وعقدت مع مصر معاهدة صلح وتطبيع للعلاقات.

- ومع الأردن معاهدة إنهاء حرب.

- وابتلعت منظمة التحرير، وأدخلتها تحت سيطرتها تماماً حتى إنها لو أرادت القضاء على الفلسطينين في الداخل ما تحرك أحد من المجتمع العالمي، وإنما يسكتون كما سكتوا على مسلمي البوسنة الذين لاقوا من الفظائع ما لا يخطر على بال.

● وقد يقول بعضهم إن المجتمع العالمي لا يؤيد إسرائيل تأييداً مطلقاً كما أقول، ولهؤلاء أسوق هذه الشواهد لعلهم يفيقون:

- كان أول المعترفين بإسرائيل غداة أقامت دولة على أرض عربية ليست لها هو ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي المنهار.

ثم توالت اعترافات دول الغرب انجلترا صانعة المأساة وفرنسا و... والولايات المتحدة الأمريكية.

- ثم توالى مد إسرائيل بالمال والسلاح المتطور والرجال والعلماء وأعلنت أمريكا بكل صراحة أو وقاحة أنها سوف تسلح إسرائيل بحيث تصبح أقوى من الدول العربية مجتمعة!!!

- وأين وقعت معاهدة كامب ديفيد مع مصر؟

- وأين وقعت معاهدة الحكم الذاتي المحدود مع منظمة التحرير الفلسطينية؟

- وأين التقى الملك حسين بإسحاق رابين لتوقيع معاهدة إنهاء الحرب بين البلدين؟

ـ وكيف سارعت انجلترا بمكافأته على معاهدته مع إسرائيل بإعفائه من ديون قدرها تسعون مليونًا من الدولارات؟

ـ وكذلك فعلت فرنسا!!!

ـ وكذلك فعلت أمريكا!!!

ـ وأين سيكون لقاء سوريا وإسرائيل ثم لبنان وإسرائيل؟

هؤلاء هم الأعداء الحقيقيون للإسلام والمسلمين، فهل يصح أن يكون جهادهم مؤقتًا أو مرحليًا، أم يكون مستمرًا، تُحدِّث المسلمين به أنفُسهم ويتمنونه ويسعون إليه حتى يردوا عن أنفسهم هذا العدوان المستمر؟

### هـ- الصليبية الحديثة:

ارتكس الغرب الذي يدعي التحضر ورعاية حقوق الإنسان، وناقض نفسه، وانقلب على تعاليم المسيحية وهو يتعامل مع الإسلام والمسلمين اليوم، وعادت تطل برأسها صليبية حديثة لا تقل سوءاً ـ على أحسن الفروض ـ عن الصليبية القديمة التي شنها أمراء أوربا وحكامها تقودهم كنيسة نسيت المسيحية الحقة حينئذ، وقادت الحملات الصليبية المعروفة في تاريخ المسلمين، والتي استمرت قرنين من الزمان من ٤٩٢هـ ـ إلى ٦٩٢هـ خرج فيها الغرب الصليبي عن كل قيمة مسيحية.

● هذه الصليبية الحديثة في تصوري هي النظام العالمي الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ومعها دول الغرب وهيئة الأمم ومجلس الأمن، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، والدول الصناعية، ودول الشمال، وغير ذلك من الأتباع والأذناب للولايات المتحدة الأمريكية حتى ولو كان بعض هؤلاء الأتباع من الدول المسلمة!!!

● هؤلاء جميعًا يعادون الإسلام والمسلمين ويترصدون الدعاة، ويتحدون الصحوة الإسلامية، ويسيئون لكل ما هو إسلامي حتى إلى صناديق الاقتراع الديموقراطية إذا أتت بالإسلاميين كما حدث في الجزائر!!!

● هؤلاء الأعداء الذين لم نستوعبهم في هذه العجالة جميعًا، لا بد أن يجاهدوا في الله حق جهاده، كل بما يناسبه، ومن لم يجاهدهم أو تحدثه نفسه بجهادهم فقد مات ميتة جاهلية، كما أوضح ذلك كلام الرسول ﷺ.

**● وما معنى: «الميتة الجاهلية»؟**

يفهم من سياق الحديث الشريف أن من لم يجاهد هؤلاء الأعداء أو تحدثه نفسه بأن يجاهد في سبيل الله كل عدو لله، فإنه يموت كما لو كان لم يدخل في الإسلام أصلاً، فمات ميتة أهل الجاهلية الذين بلغهم الإسلام ولم يتبعوه، فيكون جزاؤهم في الآخرة جزاء من مات على الجاهلية وما فيها من عناد لله تعالى وإفساد في الأرض مع فساد في العقيدة وضلال في العمل.

● ومعنى ذلك - كما يفهم من الحديث الشريف - أن الفرق بين الموت على الإسلام والموت على الجاهلية هو ترك الجهاد وترك حديث النفس به وانتظار فرصته، لأن الأصل في المؤمن أن يجاهد في سبيل الله عمليًا، أو أنه يمني نفسه بالجهاد إن لم يتح له الممارسة العملية له.

● ومن أجل أن يستقر هذا المعنى في نفوس الدعاة إلى الله، في الجماعة، ومن أجل أن يتأكد ما نادى به الإمام حسن البنا وما كتبه في رسائله، كان أفراد الجماعة يتسابقون إلى الجهاد في المعركتين اللذين أتيح الجهاد فيهما فلسطين ١٩٤٨م وقناة السويس ١٩٥١م، ومن لم يتح له من الإخوان أن يمارس الجهاد عمليًا كان يمني نفسه به في معركة لاحقة، وعاش حياته يعد نفسه روحيًا وعقليًا وبدنيًا وماليًا لهذه المعركة، وما أشهد إلا بما علمت ولا أزكي على الله أحدًا.

● ولقد كان ذلك من أفراد الجماعة هو الفقه الصحيح للإسلام وللجهاد في سبيل الله، وللحديث النبوي الشريف الذي نشرحه في هذه الكلمات.

● إن حديث النفس بالجهاد حين تنقطع السبل عن ممارسته مع العدو له دلالات على قوة إيمان هذه النفس ويقظتها في التجاوب مع متطلبات الإيمان، ومع

المسارعة إلى أداء فرائض الإسلام، ويمكن أن نذكر من هذه الدلالات ما يلي:

- يدل على صفاء هذه النفس التي تتحدث بالجهاد، ونقائها وخلوها من شوائب كراهية الموت في سبيل الله، لإقبالها على الدنيا إقبالاً غير محمود، وذلك أن من تحدثه نفسه بالجهاد في سبيل الله يقبل بذلك على طاعة الله، وعلى التقرب إليه بإحياء فرائضه، وفي ذلك ما فيه من خير الدنيا والآخرة.

- ويدل كذلك على أن هذه النفس تؤثر ما عند الله على ما عند الناس،وذلك من صفات المؤمنين الذين تغلغل الإيمان في قلوبهم، وتطبع على حواسهم وجوارحهم، فآثروا الباقية على الفانية.

- وذاك دليل على كرم هذه النفس وسخائها، فما من كريم أفضل عند الله ممن يجود بنفسه في سبيل الله، فضلاً عن جوده بماله ووقته وجهده.

- ودليل على أن هذه النفس صادقة مع الله ومع منهجه وشريعته، إذ عندما تتاح فرصة عملية للجهاد، فإن أسرع الناس للاستجابة إليها هو ذلك الذي حدثته نفسه بالجهاد في سبيل الله.

وبعد: فلعلي بذلك أكون قد أوضحت تلك الكلمة النبوية الشريفة التي استشهد بها الإمام البنا على المقصود بالجهاد في سبيل الله.

## ٤ ـ مراتب الجهاد

تحدث الإمام البنا عن هذه المراتب بأوجز عبارة وأشملها لكل مراتب الجهاد، فلقد لخص المراتب كلها ـ وقد أشرنا إليها في الفصل الأول من هذا الكتاب، غير أن للفقهاء فيها توسع كبير ـ لخص تلك المراتب في سطرين اثنين حيث يقول:

«وأول مراتب الجهاد إنكار بالقلب، وأعلاها القتال في سبيل الله، وبين ذلك الجهاد باللسان والقلم واليد، وكلمة الحق عند السلطان الجائر»

● وفي توضيح هذا الجهاد وتفصيله نقول والله المستعان:

إن هذه الكلمات الوجيزة البليغة تدلنا على أن ميدان الجهاد في سبيل الله أفسح مما يتصور الناس، وأرحب مما يظنون.

وما هذا الانفساح وتلك الرحابة إلا ليجد كل مسلم فرصته في الجهاد في سبيل الله، فلا يحرم أحد مهما كانت قدراته من أداء هذه الفريضة ـ التي تحمي الإسلام والمسلمين من عدو الله وعدو المسلمين والعدو المنتظر غداً ـ ولا يحرم أحد من نيل الثواب في أداء فريضة الجهاد.

● **إن أول مراتب الجهاد هي: الإنكار بالقلب.**

وهذه المرتبة لا يعجز عن أدائها أحد، والإنكار: إنما يكون لكل باطل ومنكر، وكل عداء لله ورسوله ومنهجه ونظامه.

وهذا الإنكار لا ينبغي أن يكون مجرد امتعاض وانطواء على الذات مع ترك مَنْ أنكر عليه القلبُ باطلَهُ وضلاله سادرا فيما هو فيه من باطل وضلال، وإنما هو إنكار إيجابي يحمل مرتكب المعصية والمنكر على أن يقلع عما هو فيه، لأنه بهذا الإنكار يواجه مقاطعة ورفضاً لمجالسته ومؤاكلته، والتضييق عليه بهذا الحصار الاجتماعي الهادف، الذي لا يحتمله أحد، وبخاصة إذا كان المنكرون عليه

بقلوبهم كثرة، بحيث لا يجد لنفسه بينهم مساغاً ولا تقبلاً.

وهذا الإنكار نوع من التربية للضالين والمنحرفين عن الحق قد يكون أجدى من غيره من أساليب التربية، إنه نوع من المقاطعة يفرضه الرأي العام المسلم، وليس سجناً أو عقوبة تفرضها الحكومة وهكذا ندرك أن كل موقف يوجبه الإسلام على المسلمين ينطوي على أسلوب من أساليب التربية الخلقية والاجتماعية.

● وفي هذا الإنكار بالقلب ورد حديث نبوي شريف يُعلِّم ويربيٍّ روى أبو داود بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض**»، ثم قال: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَاسِقُونَ**﴾ ثم قال: «**كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم**».

● وإن في مستهل الحديث النبوي الشريف: «**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل**» درس عميق يوضح كيف يدخل النقص على المجتمع وعلى الأمة، وهو ترك أهل الباطل والضلال دون الإنكار الإيجابي عليهم وحصارهم ورفضهم: تلك بداية الانحراف عن الحق وعن الطريق الصحيح الذي حدده منهج الله ونظامه.

هذاأول النقص، أما التالي وما يليه فسلسلة متماسكة الحلقات إذا كسرت منها حلقة كسرت تاليتها وهكذا...

إن في ذلك تعليماً وتحذيراً يفيد منه المسلمون الذين يمارسون العمل من أجل الإسلام، البداية ترك إنكار القلب لأهل الضلال، وقد تكون النهاية ممارسة الضلال!!!

● وإن المجتمع المسلم إذا تواصى بأن ينكر كل واحد فيه بقلبه ـ على الأقل ـ على من يفعل معصية لحوصر أهل المعاصي وحوصرت المعاصي نفسها، وسلم المجتمع من الخطايا والمخطئين، وإن ذلك لمن فعالية المنهج الإسلامي في مقاومة الانحراف والفساد، وإنه لمن الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا.

● وإن الدعوة إلى الله، وما تعج به من أعمال عديدة لهي مجال حيوي لمواجهة دخول النقص على العاملين فيها، بأن ينكر كل أحد ولو بقلبه على من يراه على خطأ أو تقصير، بل يهجره الهجر الجميل ـ أي على نية المواصلة لو أقلع ـ والمعاودة والمناصحة والموادة، في إطار الحب في الله والبغض في الله.

● وألوان القصور والتقصير في مجال الدعوة والحركة والتنظيم والتربية كثيرة وكل منها يحتاج إلى أن ينبه المقصر ثم ينكر عليه ما هو فيه ـ وهو نوع من الجهاد في سبيل الله بل هو أولى مراتب هذا الجهاد ـ.

**وسوف أشير إلى بعضها فيما يلي:**

### أ- الفتور والكسل:

وهو يؤدي إلى القعود عن واجب من واجبات الدعوة أو الحركة أو التنظيم أو التربية، وذلك أن القعود عن هذا الواجب إفساد للعمل أو إعاقة له عن بلوغ هدفه.

وهذا الذي يفتر أو يكسل عن عمل من أجل الإسلام يجب أن يواجهه إخوانه بإنكار القلب ـ على الأقل ـ ثم يعالج بما يزيل عنه هذا الفتور والكسل، بدفعه إلى المشاركة في العمل، أو وصله بعناصر ذات نشاط وحيوية وقدرة على العمل والمواصلة[1]. إلى غير ذلك من أسباب إزالة الفتور والكسل.

---

(١) تحدثنا بالتفصيل عن أسبابه وعلاجه في كتابنا: فقه الأخوة في الإسلام ص ٢٢٩ وما بعدها ـ نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية. ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

● ولو وجد الفاتر الكسول نفسه محاصراً بإخوانه الذين ينكرون عليه ما هو فيه من قصور، لكان ذلك كافياً بإذن الله لأن يعود إلى النشاط والحيوية، إذ هو من العناصر الصالحة أصلاً، وليس من أهل الضلال.

### ب- والإقبال الزائد على الدنيا:

متاع الدنيا وزينتها مما أحل الله تعالى لعباده أن يستمتعوا بها في حدود ما أحل الله دون إسراف أو مخيلة: كما علمنا ذلك رسولنا ﷺ فيما رواه النسائي بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلوا واشربوا، وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة**».

● أما الإقبال على الدنيا ومتاعها بغير هذا الهدي النبوي فإنه يحمل الإنسان فوق ما تحتمله إنسانيته السوية، وهذا من شأنه أن يصرف المسلم من واجبه، ويبدد جهده ونشاطه فيما ليس من الأعمال التي ترضي عنه ربه سبحانه وتعالى.

● وهذا المقبل على الدنيا ومتاعها بأكثر مما ينبغي، يجب أن يواجه من إخوانه بالإنكار، وتوضح له الأبعاد الحقيقية للإقبال على الدنيا في ضوء النصوص الإسلامية، وهي نصوص معروفة عند المشتغلين بالدعوة الإسلامية من مثل قوله تعالى: ﴿**أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾ [التوبة: ٣٨]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ [فاطر: ٥]، وقوله جل شأنه: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران: ١٤].

وما رواه مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء**».

وما رواه البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبيّ فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

### حـ - وخوف الظالم وخشية العنت والمشقة:

وكل صفة من هاتين الصفتين جديرة بأن تصرف المسلم عن العمل في مجالات الدعوة والحركة والتنظيم والتربية، وذلك أن التحدي الذي يواجهه من الظالمين قد يراه أكبر من أن يحتمل، لأن الظالم غالبا ما يشتط في ظلمه ويتجاوز الحدود الإنسانية بما يمارسه من أعمال البطش والتعذيب والتضييق والعنف الذي يصل إلى السجن والقتل، وقد يكون المسلم خائفًا على نفسه من مشقة العمل من أجل الإسلام وفتنة المحن التي قد يتعرض لها.

وكل ذلك الخوف ما هو إلا من وسوسة الشياطين، لأن الإنسان في هذه الحياة لن يجري عليه إلا ما كتبه الله له من يوم كان جنينًا في بطن أمه ونفخت فيه الروح.

● هذا الخائف يجب أن يواجه بالإنكار بالقلب على الأقل، ثم يبصر بما يجب أن يكون عليه المؤمن من إيمان بالله وقدره وبأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن عليه أن ينطلق في أداء عمله مؤمنًا بالله متوكلاً عليه آخذًا بكل الأسباب التي يجب أن يأخذ بها.

● إلى غير ذلك من أنواع التقصير في العمل من أجل الإسلام، أيا كانت أسبابها، وفي كل الأحوال فإن أضعف الإيمان وأقل مراتب الجهاد هو إنكار بالقلب على هؤلاء المقصرين، في ضوء ما أوضحناه من ظروف الإنكار بالقلب وملابساته.

● غير أنه ما ينبغي أن يتخذ بعض العاملين من أجل الإسلام ذلك الإنكار بالقلب ذريعة للتهاجر والتقاطع وسوء الظن بالناس، إذ الأصل عند المسلمين أن يجتنبوا كثيراً من الظن لأن المؤكد أن بعض الظن إثم.

وبعد: فإن المرتبة الأولى أو الدنيا من مراتب الجهاد في سبيل الله بالقلب، هي أن ينكر المسلم بقلبه - إذا لم يستطع أن يغير بلسانه أو بيده - كل عمل لا يرضي الله

تبارك وتعالى، مهما ترتب على الإنكار من متاعب للمُنكِر، حين يجد نفسه، وقد هجر أخاه في الله أو قريباً له، لأن ذلك تربية للمنكر نفسه لتستقيم أعماله على المنهج، كما هي تربية لمن وقع في الخطأ، حتى يعود إلى الصواب.

● إن المعنى الكامن في مرتبة الجهاد بالقلب هو أن يعيش المؤمن حياته كلها قادراً على رفض المنكرات والضلالات والأباطيل، رفضها بقلبه إذا لم يستطع أن يغيرها بلسانه أو بيده كما قلنا آنفاً.

وهذا هو الذي يطهر المجتمع المسلم من هذه الأباطيل، وهو نفسه الذي يجعل أهل الضلال والتقصير في حق الله يفكرون طويلاً قبل أن يقدموا على المنكر، وتلك تربية للمجتمع كله ما كان ليصل إليها إلا بالجهاد في سبيل الله ولو في أولى مراتبه.

**● والمرتبة الثانية من مراتب الجهاد:**

**وهي كما يقول الإمام البنا مرتبة الجهاد باللسان والقلم.**

وتلك المرتبة أكثر أهمية وأدخل في الإيجابية من سابقتها، حيث تتعدد فيها الأعمال، وتصبح أكثر قدرة على ردع أهل الباطل وتنوير الطريق أمامهم ليحيا من حيّ عن بينة ويهلك من هلك في باطله عن بينة كذلك.

ويمكن أن نشير إلى بعض أعمال هذه المرتبة فيما يلي:

أ- الخطبة بأنواعها العديدة.

ب- والمحاضرة العامة والخاصة.

حـ- والدرس المسجدي.

د- والحوار والجدال بالتي هي أحسن.

هـ- والندوة.

و- والدورة.

ز- والمؤتمر.

ح- والمقال بأنواعه العديدة.

ط- والأقصوصة.

ى- والقصة.

ك- والرواية.

ل- والمسرحية.

م- والعمل السينمائي.

ن- والدراسة العلمية الميدانية.

س- والكتيب والكتاب.

كل هذه الأنواع من أعمال اللسان والقلم التي تعد مرتبة ثانية من مراتب الجهاد في سبيل الله، وهي أعمال جليلة الأثر عظيمة الخطر في مجالات العمل من أجل الإسلام، بل هي تسهم في تذليل العقبات في هذا الطريق.

● ولقد كان لهيئة الإخوان المسلمين سبق في إدراك أهمية جهاد اللسان والقلم، بما ورد في قانون نظامها الأساسي الذي أخرج للناس سنة ١٩٣١م بعد إنشاء الجماعة بثلاث سنوات فقط، حيث كانت قد أسست سنة ١٩٢٨م.

- فقد جاء في الفقرة «أ» من المادة الثانية من القانون ما يلي:

«شرح دعوة القرآن الكريم شرحًا دقيقًا يوضحها، ويردها إلى فطريتها وشمولها، ويعرضها عرضًا يوافق روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات».

ولتفصيل هذه الفقرة التي جمعت بين جهاد اللسان والقلم، نقول:

- «شرح دعوة القرآن الكريم شرحًا دقيقًا يوضحها».

● دعوة القرآن هي الدعوة إلى الله إلى الحق إلى دين الإسلام الذي أوحاه الله تعالى إلى خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ.

● والشرح هو البسط والتفسير، وإظهار ما يخفى من المعاني، والشرح من أساليب البحث العلمي الرئيسة المعتمدة التي لا غنى عنها.

● وعن طريق هذا الشرح تُعرف العوامل المؤثرة، والعلاقات التي تربط بين هذه العوامل.

● ودعوة القرآن الكريم اشتملت على أمور رئيسة في حياة الإنسان على هذه الأرض بحيث لا تستقيم حياته عليها إلا إذا أخذ بهذه الأمور.

وأهم تلك الأمور ما نشير إليه فيما يلي:

- تصحيح العقيدة في الله سبحانه ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله.

- وتصحيح العقيدة في ملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر وما يكون فيه، والقضاء والقدر.

- وتصحيح العبادة لله وحده، وفق ما شرع، العبادة بمعناها العام - وهي كل عمل قصد به وجه الله تعالى -، والعبادة بمعناها الخاص - وهي كل ما فرض الله على عباده أداءه من عبادات: كالنطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج للمستطيع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعدل، والجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا.

- وتصحيح العمل بحيث يكون صالحًا وخالصًا لوجه الله تعالى، وموافقًا لما شرع الله لعباده من معاملات لا تستقيم الحياة الإنسانية إلا بالتقيد بها.

- وتصحيح القيم الخلقية التي تحكم سلوك الناس، بحيث يلتزم الناس بالفضائل التي أوضحها منهج الله وأمر بها، وينتهي عن الرذائل التي حددها المنهج ونهى الله عنها.

وكل تلك ثوابت لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولا بتغير الناس وإنما هي باقية على ما شرعها الله عليه إلى يوم القيامة.

● ذلك هو الشرح الدقيق الذي يوضح دعوة القرآن الكريم توضيحًا دقيقًا، وهذا الشرح إما باللسان ووسائله من خطبة، ومحاضرة ودرس... إلى آخر ما ذكرنا، وإما بالقلم ووسائله من مقال وقصة وكتاب... إلى آخر ما ذكرنا آنفًا.

- «ويردها إلى فطريتها وشمولها».

● إن شرح دعوة القرآن الكريم شرحًا دقيقًا يوضحها لا يتم على وجهه الصحيح إلا إذا ردّ هذه الدعوة إلى مرتكزيها الأساسين وهما:

- فطرية هذه الدعوة القرآنية أي تجاوبها مع فطرة الإنسان.

- وشمول هذه الدعوة القرآنية لكل ما يحتاج إليه الإنسان.

ولنوضح ذلك بإيجاز فيما يلي:

● أما فطرية الدعوة أو الدين:

فمعناها أن هذا الدين هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأنه هو الذي يلائم ما أودع الله هذه الفطرة من طاقات وقدرات روحية وعقلية وبدنية واجتماعية، وما ركز فيها من قدرة على معرفة الله تعالى والإيمان به سبحانه وتعالى.

● وكل نظام تضمنه منهج الإسلام في حياة الإنسان ملائم لتلك الفطرة وصالح لحياة الإنسان في دنياه وآخرته.

- قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.

[الروم: ٣٠]

- وفطرة الله التي فطر الناس عليها هي طبيعة هذه النفس البشرية التي خلقها الله ونفخ فيها من روحه، وأودع فيها من الحب والكراهية والرضا والغضب والأمن والخوف والصبر والجذع، وبما أعطاها من حرية وقدرة على الإيمان أو الكفر والطاعة أو المعصية.

وما منَّ الله به على الإنسان من نعمة العقل يفكر ويتدبر ويهتدي إلي الحق أو يضل عنه بوسوسة الشيطان، وما منَّ الله به عليه من نعمة إرسال الرسل وإنزال الكتب ليعينه ذلك على الهدى.

● وذلك كان أمر الله تعالى لنبيه محمد ﷺ وكل من آمن به واتبعه أن يقيم وجهه لهذا الدين الحنيف، أي يتجه إليه مستقيماً معه، لأن هذا الدين هو الذي يعصم الإنسان من كل ما يضره أو يسيء إلى حاضره ومستقبله.

● إن هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها ما لم تستقم مع هذا الدين الحنيف، فتعرف منه الحق وتلتزم به، وتستمد منه العلم والمعرفة، وتهتدي به إلى الإيمان، فإن لم تستقم مع هذا الدين، فإنها تكون قد اتبعت شهواتها وشياطينها، فتردى وتضل وتخزى في دنياها قبل آخرتها.

● وإقامة الوجه على الدين أو استقامته عليه هو بإيجاز شديد: الالتزام بكل ما أمر به، والانتهاء عن كل ما نهى عنه، وفي هذا وذاك نجاته وسعادته في الدنيا والآخرة.

● وهذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لا يستطيع أحد أن يبدل فيها أو يغير منذ خلق الله تعالى آدم أبا البشر، وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾.

وإذا انحرف الإنسان عن تلك الفطرة بتغلب شيطانه أو هواه عليه فضل، فإن علاجه إنما يكون بالتمسك بهذا الدين القيم الذي يرد الإنسان إلى فطرته، وكلمة «قيم» تعني أنه دين ثابت مقوم لأمور معاش الناس وأمور معادهم.

● والقرآن الكريم الذي جاء بدين الإسلام الخاتم التام الكامل القيّم هو مجمع لثمرة كتب الله جميعاً التي سبقته في النزول.

● إن الدعاة إلى الله المجاهدين في سبيل الله باللسان والقلم عليهم أن يوضحوا للناس فطرية هذا الدين فيما يقولون وفيما يكتبون، عسى أن يرد ذلك بعض الغافلين عن غفلتهم حين يتصورون أن منهجاً آخر غير الإسلام يلائم فطرة الإنسان.

● وأما شمول الدعوة أو الدين:

فمعناه أن هذا الدين شامل لكل ما يحتاج إليه الإنسان في معاشه ومعاده، من

قيم ونظم تضبط حياته في كل جانب من جوانبها، وتحقق له الأسباب التي تتيح له الحياة الإنسانية الكريمة التي تليق بتكريم الله تعالى له.

● وهذه القيم والنظم جميعًا يشملها الإسلام، بل يشمل أكثر منها باحتوائه على ما يحقق للإنسان سعادة الحياة الآخرة السرمدية الأبدية.

● ويخطئ من يظن أو يتصور أن منهج الإسلام للإنسان عني بشأن الحياة الآخرة وحدها، وترك له شأن الحياة الدنيا ينظمه لنفسه، عن طريق علمائه أو حكمائه أو ملوكه أو رؤسائه، يخطئ خطأ جسيمًا من تصور ذلك، ويؤكد أنه لم يفهم جوهر الدين ولا عرف كيف ينظم الدنيا.

● إن فهم الدين على الوجه الصحيح، الدين القيم الذي به قوام حياة الإنسان في دنياه وآخرته، يقتضي التعمق في معرفة مقاصد الدين الذي جاء من عند الله خاتمًا للأديان.

وإن مقاصده منحصرة في خطين رئيسين:

- خط الحياة الدنيا، بنظام ومنهج من عند الله يحفظ للإنسان إنسانيته كاملة دينه وعقله وماله وعرضه من خلال منهج لا يعرف المحاباة ولا الكيل بمكيالين، ولا تقسيم الناس إلى سود وبيض أو دول شمال ودول جنوب.

وهذا الخط قد اشتمل على كافة القيم والنظم التي ترعي وتحفظ للإنسان: روحه وخلقه ودينه وعقله وجسده، وحقوقه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتنظم له حياته الجهادية، ولا تنسى له النظم الجمالية لحياته.

● إن جميع هذه النظم قد وضع الإسلام أسسها، ودلت دعوة القرآن على معظم أهدافها ووسائلها، وجاءت السنة النبوية لتفصل ما أجمل منها.

وما على المجتهدين من العلماء المسلمين بعد ذلك إلا أن ينظروا في المتغيرات في أبعاد الزمان والمكان، ليقيسوها على سواها أو يجمعوا عليها أو يروا أن فيها مصلحة عامة، أو دفعًا لضرر أو شر، لتستقيم على الدين القيِّم كل شعب الحياة دون استثناء

لأن خالق الحياة هو خالق الإنسان هو الذي وضع له منهج الحياة.

- وخط الحياة الآخرة، وهو يقوم على أساس أن الحياة الآخرة، حق لا مرية فيه، وأن الذي خلق الناس سوف يميتهم ثم يحييهم ويحاسبهم ويجازيهم على الخير خيراً وعلى الشر مثله، وأن الناس جميعاً إما إلى جنة أو إلى نار.

● والحياة الآخرة يقوم الإيمان بها على جملة حقائق نشير إلى بعضها فيما يلي:

- معرفة الله تبارك وتعالى والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

- والإسلام لرب العالمين بتوحيده وعبادته، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

- والعدل مع الله ومع النفس ومع الناس.

- والإحسان بمعانيه الشرعية المعروفة.

- والإقبال على الله بالنوافل.

بذلك وبغيره مما لم نذكره - وهو كثير - تستقيم للإنسان الحياة الآخرة التي هي الحياة الحقة الباقية كما وصفها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

● وبهذا الوعي وتلك المعرفة يتجنب الإنسان الخطأ في فهم الدين.

● وإن الاعتدال في فهم الدنيا دون اعتساف يقتضي التعمق في معرفة مكان الحياة الدنيا ومكانتها من الدين، وإنما يستقيم فهم الدنيا دون اعتساف إذا روعيت الحقائق التالية:

- الدنيا دار عمل بما أمر الله به واجتناب لما نهى الله عنه.

- وهي دار جهاد في سبيل الله بكل مراتبه لتكون كلمة الله هي العليا.

- ودار ابتلاء واختبار ليميز الله الخبيث من الطيب، كما قد يكون الابتلاء بنفس

الحياة والموت، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]، كما قد يكون الابتلاء في الدنيا بالخير والشر، قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقد يكون الابتلاء بنعم الله في الدنيا، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧]، وقد يكون الابتلاء بان يتعرض الإنسان للأذى من أعداء الله، قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

- «وعرض دعوة القرآن عرضاً يوافق روح العصر».

وهذا العرض لدعوة القرآن الموافق لروح العصر يقوم في تصورنا على دعامتين:

فقه الموازنات:

وفقه الأولويات المترتب على فقه الموازنات.

**● أما فقه الموازنات:**

فهو نوع من الفقه مارسه أسلافنا عليهم رحمة الله، وهو فقه يقوم على الموازنة بين المصالح من جانب، والموازنة بين المضار من جانب آخر.

- فالموازنة بين المصالح، لأسلافنا فيها تقسيم لا يزال نافعًا حتى اليوم - مع حق علماء المسلمين اليوم بان يوازنوا كما تملي عليهم الظروف والمتغيرات - حيث قسم الأسلاف الأمور التي فيها مصالح للناس إلى ثلاثة أنواع:

- مصالح ضرورية: أي لا بد منها لتستقيم حياة الإنسان، بحيث إذا فقدت أو ضاعت تعطلت حياة الإنسان أو تعطل ما يجعلها صالحة له.

إذ الضروري هو ما لا بد منه، ولا حياة إلا به، ومثلوا لذلك بالعقيدة الصحيحة والعبادة السليمة وحفظ الحقوق والقيام بأداء الواجبات، وممارسة الحريات التي كفلها الله للإنسان.

- ومصالح حَاجِيَّة: وهي ما يفتقر إليه الإنسان ويطلبه من أجل التوسعة ورفع الضيق والحرج، وذلك أن الضيق والحرج إذا حدثا فاتت المصلحة غالبًا، سواء أكانت هذه المصلحة دينية أم دنيوية، غير أن فواتها لا يبلغ بالإنسان حد الفساد الذي يؤدي إليه فوات الضروارت.

ومثال ذلك الرُّخَص المخففة كالفطر في الصوم بسبب سفر أو مرض، وكقصر الصلاة، ومثل إباحة الصيد، وإباحة التمتع بالطيبات مما أحل الله من مطعم وملبس ومسكن بشرط البعد عن الإسراف والمخيلة، ونحو ذلك.

والمجتمع المسلم حريص بنظمه وآدابه وما يسوده من قيم على أن يحقق للناس هذه الحاجات، ويرفع عنهم الضيق والحرج.

- ومصالح تحسينية: وهي أمور يكون فيها ويتحقق بها ما هو الأحسن والأليق بالناس في محاسن العادات، وتجنب الأمور التي تانفها العقول الراجحة، ويندرج ذلك تحت عنوان «مكارم الأخلاق».

ومثال ذلك: أخذ الزينة عمومًا، والتقرب إلى الله تعالى بالنوافل والأخذ بآداب الطعام والشراب واللباس ونحوها، ومنع المرأة من إنكاح نفسها، ومنع بيع الفضل من الماء والعشب لدفعه إلى الناس دون مقابل.

● وكذلك الشأن في الموازنة بين المضار، فإنها تقوم على أساس إتيان أخف الضررين إذا لم تكن هناك مندوحة من الضرر.

وهذه الموازنة بين المضار، منها ما هو ضروري ومنها ما هو حاجي وما هو تحسيني، على نحو ما أوضحنا في الموازنة بين المصالح والخلاصة من تلك الموازنة أن يلجأ الإنسان إلى أخف الضررين، أو يتحمل ضرراً خاصًا لتفادي ضرر عام، أو أن يقبل بمفسده صغرى دفعًا لمفسدة كبرى.

**● وأما فقه المقاصد:**

فيعني أن هناك مقاصد ثابتة مستقرة، ومقاصد متغيرة، ومعرفة الفرق بين هذه

الثوابت وتلك المتغيرات من المقاصد، فقه مطلوب ونافع للمسلمين للاستمساك بالثوابت وإحسان التعامل مع المتغيرات والمستجدات.

وعلى سبيل المثال: فإن الشريعة الإسلامية فرضت شهر الصوم على المسلم البالغ العاقل الصحيح المقيم، وهذا الصوم إنما يكون إذا دخل شهر رمضان، ودخول الشهر مرتبط بدخول هلاله، والنص على ذلك ثابت بالسنة النبوية: «صوموا لرؤيته...» غير أن هذه الرؤية تختلف من عصر إلى عصر، فقد كانت في الماضي تدرك بالعين المجردة، وأصبحت في الحاضر - في وقتنا هذا - تدرك بوسائل علمية غير العين المجردة، إذ أصبح في الإمكان رصد منازل القمر ومطالع الشهور بوساطة أجهزة علمية دقيقة، فلا مانع إذن من أن تكون الرؤية للهلال بوساطة هذه الأجهزة.

● وهذا القبول للرؤية بهذه الأجهزة من فقه المقاصد والأهداف فما دام المقصد أو الهدف أن يدخل شهر رمضان ليجب الصوم فلا مانع من أن تكون رؤية الهلال بالعين المجردة أو بغيرها من وسائل الرؤية، وبخاصة عندما تكون هذه الوسائل ليست محرمة شرعًا، وليس فيها ما يغضب الله تعالى.

● **وأما فقه الأولويات:**

فإنه يعني الاجتهاد فيما يجب أن يبدأ به أولاً ثم ما يتلوه، وهكذا في كل أمر من الأمور التي تهم المسلمين في دينهم أو دنياهم.

وفقه الأولويات مرتبط ارتباطًا وثيقًا بفقه الموازنات وفقه المقاصد.

- وقد يتصور بعض الناس أن تحديد الأولويات لا يحتاج إلى فقه وتعمق، وأن ذلك واضح للناس في كل عصر، وهذا تصور سطحي للأمور، وتفويت للأسلوب الصحيح في تحديد الأولويات.

- وقد يبسط الناس هذه القضية - على الرغم من أهميتها - فيقول:

. أولوية العلم على العمل.

. وأولوية الفكر والنظرية على التنفيذ والتطبيق.

. وأولوية الدعوة على الحركة.

. وأولوية التربية على التنفيذ.

. وأولوية التنفيذ على التمكين، وهكذا...

● وعلى الرغم من أن هذا الترتيب لتلك الأولويات منطقي ومقبول إلا أن تبسيطه على هذا النحو يحتاج إلى إعادة نظر وإلى مرونه وترتيب آخر للأولويات أحياناً، وعلى سبيل المثال:

- فإن أولوية العلم على العمل من المسلمات، ولكن تحتاج إلى ترتيب أولويات داخلي للعلم.

. فالعلم بالدين مثلاً يقفز إلى بداية أولويات العلم ولكنه قد يحتاج إلى أولويات تجعل العلم بالعقيدة أولاً ثم يتلوه العلم بعبادة الله تعالى، ويصاحب ذلك العلم بمعاملة الناس، والعلم بالسياسة الشرعية، وغير ذلك من أنواع العلوم الدينية التي تحتاج إلى ترتيب أولويات فيما بين مفرداتها وهكذا.

- والعلم بأمور الحياة الدنيا يحتاج إلى ترتيب وأولويات يصفها الخبراء والمتخصصون في العلوم بصفة عامة، والمتخصصون في فروع من هذه العلوم وهكذا.

- وكذلك الأمر في ترتيب أولويات الدعوة والحركة والتنظيم والتربية، إنها تحتاج إلى ترتيب أولويات تتم على يد أهل الخبرة ورسوخ القدم من أهل الدعوة والحركة والتنظيم والتربية.

- وكذلك الأمر في ترتيب أولويات التنفيذ والتمكين وما وراء التمكين كل ذلك يحتاج إلى جهود العلماء والخبراء، ولا يمكن أن يقبل تبسيط هذه الأولويات على ذلك النحو السطحي الذي تعوده الناس.

● والذي أريد أن أنتهي إليه في فقه الأولويات عدة أمور، منها:

ـ أن يقوم بتحديد هذه الأولويات خبراء متخصصون في المجال الذي يحددون أولوياته.

ـ وأن يعاد النظر في هذه الأولويات على فترات منتظمة خضوعاً لما يستجد، ثم يعاد ترتيب الأولويات إذا دعت إلى ذلك حاجة.

ـ وأن يكون هناك تنسيق بين هؤلاء وأولئك من الخبراء حتى يكون تحديد الأولويات أحكم وأسَدَّ.

● وفقه الموازنات وفقه المقاصد وفقه الأولويات هو نوع من الجهاد في سبيل الله وسيلته البحث العلمي والدراسة المتأنية العميقة، وهو جهاد بالقلم، أشار إليه الإمام البنا في قوله:

«عرض دعوة القرآن الكريم عرضاً يوافق روح العصر».

ـ «ويرد عنها الأباطيل والشبهات»:

● الأباطيل جمع باطل: وهو ضد الحق ونقيضه، الذي لا يثبت له عند الفحص عنه، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

والأباطيل التي وجهت إلى دعوة القرآن كثيرة سنشير إلى بعضها فيما بعد.

● والشبهات جمع شبهة: وهي خلط أمرين أو أكثر ببعضها بحيث لا يتميز أحدها عن الآخر، وقد جمع بين الأباطيل والشبهات لما بينها من تشابه.

● والأباطيل والشبهات الموجهة إلى دعوة القرآن كثيرة نذكر منها ما يلي:

ـ حملات التضليل التي شنها أعداء الإسلام على القرآن الكريم، التي تدعي أن القرآن الكريم ليس من عند الله وإنما هو من تاليف محمد ﷺ[1].

---

(١) انظر في ترديد هذه الفرية ما يلي:

ـ مجموعة من المستشرقين: دائرة المعارف الإسلامية: ٤/٢٤٥ط الشعب القاهرة =

● والرد على هذه الفرية من صميم الدفاع عن دعوة القرآن الكريم، وهو نوع من الجهاد لا يقل عن جهاد الأعداء بالقتال.

- وحملات تضليل وإثارة للشبهات حول شخص الرسول ﷺ، وقد ولغ في هذا الباطل عدد غير قليل من المستشرقين تحدثنا عنهم بالتفصيل في كتابنا «الغزو الفكري...»[1] وذكرنا أسماء مؤلفاتهم التي خاضوا فيها في النبي الخاتم ﷺ ونكتفي هنا بذكر بعضهم وهم:

١- وليم موير. W.MUIR

٢- وهنري لامنس. H. LAMANS

٣- وألفريد جيوم. A.GEOM

٤- وصمويل زويمر. S.M.ZWIMER

٥- ود. س. مرجليوث. .D. S. MARGOLIUTH.

٦- ويوسف شاخت. J.SHAEHT

٧- وفيليب حِتيّ. P.H.HITI

- وحملات تشوية وإثارة شبهات حول التاريخ الإسلامي، وقد خبَّ في هذه الحملات ووضع عدد من المستشرقين منهم:

١- هـ. ج. ويلز في كتابه: معالم تاريخ الإنسانية، حيث شوه سيرة كبار الصحابة رضي الله عنهم.

---

= «حديث ماكدونالد عن القرآن وأنه من عند محمد» ٤/٢٤٦ - ٢٤٨.

- هاملتون جب: المذهب المحمدي: ص ٢٥ وما بعدها.

- هـ. ج. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية: ٣/٦٢٦ وما بعدها ط ١ لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر ١٩٥٠م.

(١) نشرته في طبعته الثالثة: دار المنار بالقاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢- وكارل بروكلمان في كتابه: تاريخ الشعوب الإسلامية.

٣- و.ج. فون جروبناوم في كتابه: إسلام العصور الوسطى.

٤- وإدوار فرمان في كتابه: تاريخ المسلمين وفتوحاتهم.

● إن الرد على هذه الأباطيل والشبهات بالبحث العلمي والدراسة الموضوعية، والمؤلفات: جهاد بالقلم واللسان لا يقل أهمية عن سائر أنواع الجهاد، وهي ردود واجبة ينبغي أن يتصدي لها بعض علماء المسلمين.

● وبعد: فلا بد من رصد لجهود هيئة الإخوان المسلمين في مجال الجهاد باللسان والقلم في العشرين عاماً الأولى من حياتها - في حدود ما أتيح لنا من معلومات.

وسوف أشير هنا إلى مجمل هذه الأنواع من الجهاد باللسان والقلم أما تفصيل ذلك فقد تحدثت عن ذلك في عدد من كتبي[١].

● فقد كان للجماعة جهد معروف في الجهاد باللسان والقلم في المجالات التالية:

١- الخطب وكانت المسجدية منها منظمة على مستوى القطر المصري معظمه.

٢- والمحاضرات، وكانت منظمة وأسبوعية في المركز العام للجماعة وفي أغلب شعب الجماعة ومناطقها.

---

(١) عالجنا ذلك في كتبنا:
- فقه الدعوة إلى الله..
- ومنهج التربية عند الإخوان المسلمين.
- وفقه الأخوة في الإسلام.
- والمرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله.

٣- والدروس المسجدية والدروس في شعب الجماعة.

٤- والمناظرات والندوات.

٥- والرسائل الخاصة والعامة.

٦- والمقالات الصحفية.

٧- والحوارات والمناقشات والمدارسات.

٨- والدورات، والمؤتمرات العامة سنوية وموسمية.

● وقد كان ذلك الجهد والجهاد لإيمان الجماعة بوجوب رد هذه الشبهات والأباطيل، لذلك أخذت الجماعة على عاتقها إصدار النشرات والرسائل، وإصدار الصحف والمجلات - يوم كان من حق كل مواطن مصري أن يصدر مجلة أو جريدة - قبل قيام الانقلاب العسكري في يوليو ١٩٥٢م الذي كمم الأفواه وحطم الأقلام وأغلق الصحف والمجلات واستولى عليها استيلاء دون تعويض، وجعل إصدار مجلة أو جريدة نوعاً من المستحيل، بل نوعاً من الجريمة إذا كانت الجريدة أو المجلة ذات توجه إسلامي!!!

● وقد أبلت الجماعة بلاء حسناً في هذا المجال، فكانت لها هذه الإصدارات الآتية:

١- مجلة «الإخوان المسلمون» في إصدارها الأول شهر صفر ١٣٥٢هـ - يونيه ١٩٣٣م، وسميت جريدة، واستمرت حتى شهر رمضان ١٣٥٧هـ - نوفمبر ١٩٣٨م.

٢- جريدة النذير التي صدرت في ربيع الأول ١٣٥٧هـ - مايو ١٩٣٨م.

٣- جريدة الخلود التي صدرت في شوال ١٣٥٧هـ - ديسمبر ١٩٣٨م.

٤- مجلة المنار بإشراف الأستاذ البنا من جمادي الآخرة ١٣٥٨هـ - يوليو ١٩٣٩م.

٥- مجلة «الإخوان المسلمون» الأسبوعية في إصدارها الثاني شعبان ١٣٦١هـ - أغسطس ١٩٤٢م إلى المحرم ١٣٦٨هـ - نوفمبر ١٩٤٨م.

٦- جريدة «الإخوان المسلمون» اليومية التي صدرت في جمادي الآخرة ١٣٦٥هـ - مايو ١٩٤٥م.

٧- مجلة «الشهاب» التي صدرت في شهر المحرم سنة ١٣٦٧هـ - نوفمبر ١٩٤٧م.

٨- جريدة «الكشكول الجديد» التي صدرت في شهر صفر نسة ١٣٦٧هـ - الموافق ديسمبر ١٩٤٧م.

● هذا عن مجال الصحافة، وقد كان للجماعة فيها ذلك الجهد الذي حصرناه في دائرة العشرين سنة الأولى من تاريخ الجماعة، وأما جهدها الصحافي في غير هذا الوعاء الزمني فكثير، بلغ عدداً من الصحف والمجلات والدوريات وغيرها.

● وفي مجال الخطابة والدروس والمحاضرات والندوات والدورات والمؤتمرات:

كان للجماعة في هذا المجال أثر بارز وعمل ملحوظ، ونكتفي هنا بالإشارة الدالة، والله المستعان:

١- عدد هائل من الخطباء والمحاضرين دربتهم الجماعة في مدارسها في العشرين سنة الأولى من تاريخها، وكانت هذه المدارس تسمى مدارس الدعاة، وقد تعددت على نحو كبير في الأماكن التالية:

- في المركز العام للجماعة بالقاهرة.

- في مقر المكتب الإداري «المحافظة» في أغلب المحافظات.

- في مقر كل منطقة من مناطق القاهرة وكانت مقسمة إلى أربع مناطق.

- في مقر عدد كبير من مراكز الجهاد، والشعب.

ولهذه المدارس مناهج وأساتذة وخطة دراسية، تتضافر كلها في تكوين الدعاة

وإعدادهم علميًا وعمليًا.

٢- وضع رسالة لتكوين الأخ المسلم المثقف القادر على ممارسة الدعوة إلى الله في مجالات العمل الدعوي المتعددة.

وهذه الرسالة من أجمع الرسائل في مجال التثقيف، والدليل على ذلك هو قراءة أغراضها التي استهدفت تحقيقها وهي:

- «إعداد الإخوان إعدادًا يؤهلهم لأن يكونوا دعاة منتمين، يحملون عبء دعوة الإخوان المسلمين.

- وتوجيه الإخوان ثقافيًا.

- وإكمال النقص العلمي.

- وتقوية المواهب والاستعدادات الفطرية في نواحي الإنتاج المختلفة اللازمة للنهوض بالدعوة والوصول بها إلى النصر المؤزر عن أقرب طريق»[1].

● وفي مجال الكتاب:

بذلت الجماعة من أجل الكتاب - بوصفه نوعًا من الجهاد بالقلم - جهودًا كبيرة، وأولته من العناية ما يليق به.

- والإمام البنا عليه رحمة الله، وإن كان داعية ومربيًا شغل بإعداد الرجال والدعاة وقيادات العمل الإسلامي في مجالاته العديدة، شغل بذلك عن تأليف الكتب، كما قال هو نفسه عندما وجه إليه سؤال: لماذا لا تؤلف كتبًا موسعة في الإسلام والدعوة؟[1].

غير أنه رحمه الله ترك في مجال تأليف الرسائل والكتيبات ما يغني عن الكتب والأسفار.

---

(١) انظر الرسالة بكافة مشتملاتها في كتابنا: منهج التربية عند الإخوان المسلمين: ١/٦٤٦ط دار الوفاء ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

وسوف أسرد هذه الرسائل والكتيبات، لأدل به على عناية الجماعة بالكتاب:

١- رسالة المرشد الأولى شهر رمضان ١٣٤٩هـ - يناير ١٩٣١م.

٢- رسالة عقيدتنا ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م.

٣- رسالة المؤتمر الأول «مجلس الشورى العام» الأول، في شهر صفر ١٣٥٠هـ - يونيه ١٩٣١م.

٤- رسالة المرشد الثانية شهر رمضان ١٣٥١هـ - ديسمبر ١٩٣٢م.

٥- رسالة المؤتمر الثاني «مجلس الشورى العام» الثاني، في شوال سنة ١٣٥٠هـ - فبراير ١٩٣٢م.

٦- رسالة المؤتمر الثالث «مجلس الشورى العام» الثالث، في ذي الحجة ١٣٥٣هـ - مارس ١٩٣٥م.

٧- رسالة المؤتمر الرابع «مجلس الشورى العام» الرابع، في ذي الحجة ١٣٥٤هـ - مارس ١٩٣٦م.

٨- رسالة دعوتنا ١٩٣٦م.

٩- رسالة إلى أي شيء ندعو الناس ١٩٣٦م.

١٠- رسالة نحو النور ١٩٣٦م.

١١- رسالة إلى الشباب ١٣٥٧هـ - ١٩٣٦م.

١٢- وثيقة: «المطالب الخمسون» ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

١٣- رسالة: إلى مؤتمر طلاب «الإخوان المسلمون» ١٩٣٨م.

١٤- رسالة المؤتمر الخامس ١٩٣٨م.

(١) كان هذا السؤال في حديث الثلاثاء من عام ١٩٤٥م على ما أذكر وكان حديث الثلاثاء أسبوعياً يجتمع له الإخوان من كثير من محافظات القطر القريبة من القاهرة.

١٥- رسالة الإخوان المسلمين تحت راية القرآن صفر ١٣٥٨هـ - إبريل ١٩٣٩م.

١٦- رسالة المنهج الثقافي ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.

١٧- رسالة المؤتمر السادس «مجلس الشورى العام» السادس، في ذي الحجة ١٣٥٩هـ - يناير ١٩٤١م.

١٨- رسالة بين الأمس واليوم ١٩٤٢م وهي تسمى:

- رسالة النبي الأمين كما تسمى:
- من تطورات الفكرة الإسلامية.

١٩- رسالة التعاليم ١٩٤٣م. وهي التي أوالى شرح أركان البيعة العشرة فيها في سلسلة: من فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا.

وقد صدر منها ثلاثة كتب عن: الفهم والإخلاص والعمل وهذا هو الكتاب الرابع عن الجهاد، ونسأل الله ان نوفق لإكمالها.

٢٠- رسالة نظام الأسر سنة ١٩٤٣م.

٢١- رسالة إلى مسئولي الشعب ومراكز الجهاد والمناطق، سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م.

٢٢- رسالة: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ١٩٤٧م.

٢٣- رسالة في: الجهاد.

٢٤- رسالة في: العقائد.

وهاتان لم أستطع تحديد تاريخ كتابتهما، فمن لديه بذلك علم فليتكرم عليّ برسالة وجزاه الله خيراً.

٢٥- رسالة: هل نحن قوم عمليون.

٢٦- رسالة: الله في العقيدة الإسلامية ١٣٦٧هـ.

٢٧- رسالة: المناجاة.

٢٨- رسالة: المأثورات.

٢٩- إلى إخوان الكتائب.

٣٠- نظرات في كتاب الله.

٣١- نظرات في السيرة.

٣٢- مقدمة في التفسير.

٣٣- مجموعات مقالات البنا.

٣٤- أحاديث الجمعة.

٣٥- أحاديث الثلاثاء.

٣٦- مذكرات الدعوة والداعية.

٣٧- دستورنا.

وأؤكد أني لم أستوعب ما كتبه الإمام البنا في هذه السطور، لأن كثيراً مما كتب يحتاج إلى جهد في البحث عنه لا أستطيع أن أتوفر عليه في هذه المرحلة من العمر، وأرجو أن يتوفر عليها من يستطيع محتسباً جزاءه عند الله.

● وأما ما كتبه علماء الإخوان وأدباؤهم في مجال تاليف الكتب فهو كثير كثرة تضيق عنها صفحات هذا الكتاب، فكثير منهم زادت مؤلفاته في شرح دعوة القرآن عن عشر كتب، أما أصحاب الكتاب والكتابين والثلاثة إلى العشرة، فاكثر من أن يتسع هذا الكتاب لمجرد سرد أسمائهم.

وهؤلاء الكتّاب ليسوا من مصر وحدها، ولكن من كثير من بلدان العالم الإسلامي.

● وبعد: فهذا جهد جماعة الإخوان المسلمين في الجهاد باللسان والقلم، نسأل الله تعالى أن يتقبل منهم ومن كل مخلص للإسلام حريص على شرح دعوة القرآن، ورد الأباطيل والشبهات عن هذا الدين العظيم.

**● والمرتبة الثالثة من مراتب الجهاد:**

**وهي: كلمة الحق عند السلطان الجائر.**

وتلك مرتبة من الجهاد تكلف صاحبها أبهظ التكاليف في بعض الأحيان وبخاصة أنها ستكون موجهة إلى إمام جائر أو سلطان جائر، والجائر لا يتورع عن جريمة أو كبيرة.

● وهذه المرتبة تعني التصدي للجور والظلم والاستبداد وتضييع حقوق الناس، التصدي لها بكلمة الحق وكلمة الله وهدي رسوله ﷺ.

● وهي مرتبة عالية من مراتب الجهاد في سبيل الله لا يعلوها إلا مرتبة الجهاد بالنفس وقتال أعداء الله، وتعرض المجاهد في هاتين المرتبتين للتضحية بنفسه في سبيل الله تعالى.

● وهذه المرتبة واجبة على كل مسلم قادر عليها، أوجبتها نصوص إسلامية كثيرة، فقد تحدث رسول الله ﷺ عن هذه المرتبة ووصفها بأنها من أفضل الجهاد.

- روى النسائي بسنده عن أبي عبد الله طارق بن شهاب البجلي الأحمس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ - وقد وضع الرسول ﷺ رجله في الغرز -: أي الجهاد أفضل؟ قال: **«كلمة حق عند سلطان جائر»**.

- وفي رواية لأبي داود بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان»**.

- ورواه الترمذي أيضاً بسنده.

● وهذا النوع من الجهاد بكلمة الحق أو كلمة العدل عند السلطان الجائر يعد من ضرورات الإيمان، ومن مكملات الإسلام، ومن معالم شخصية المسلم الملتزم

بأحكام الإسلام وقيمه وأخلاقه.

ـ وعلى قدر ما هي ضرورة للحياة الاجتماعية الصحيحة المستقيمة التي لا يضيع فيها حق لصاحب حق، والتي يأمن الناس بها على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وأبنائهم وأبشارهم، فهي تسهم إسهامًا حقيقيًا في بناء الشخصية المسلمة التي لا تخاف في الحق لومة لائم، وبناء هذه الشخصية هدف من أهداف الإسلام ومقصد هام من مقاصده، إذ بها وبأمثالها تحفظ الحقوق، ويطمئن الناس على أن المجتمع سوف يدافع عن حقوقهم ويواجه كل ذي سلطان جائر.

ـ وعلى قدر ما تحقق كلمة الحق أو العدل عند السلطان الجائر من هذه الفوائد الشخصية والاجتماعية لو استجاب إليها وخشي الله وكف عن جوره، فإنها تحقق هدفًا آخر يتصل بسياسة الحكام المسلمين وتعاملهم مع المحكومين، إذ تؤكد لهؤلاء الحكام على وجه اليقين أنهم عندما يجورون على أحد في إهدار حق من حقوقه سيجدون من الناس من يتقرب إلى الله بالوقوف في وجه جورهم فيصدع لهم بكلمة الحق والعدل.

وفي هذا فائدة للحكام أنفسهم ـ فضلاً عن فائدة المحكومين ـ إذ يشعرون أن عليهم رقابة في عملهم من أفراد الناس، لا من أجهزة الحكم التي يديرون.

ـ وليس معنى ذلك أن الحاكم المسلم الذي انعقدت له البيعة، مُبَرَّأٌ عن أن يظلم أو يجور، ولا أن المسلمين المحكومين لا يملكون أن يقولوا كلمة الحق والعدل عند هؤلاء الحكام إذا جاروا، ولكن معناه: أن الحاكم المسلم والمحكوم المسلم يتمتعان بحقوق وواجبات تضمن للمجتمع كله الحياة الإنسانية الكريمة الخالية من أي جور أو ظلم أو هضم لأي حق من حقوق الإنسان.

● ولقد نظم الإسلام جهاد المنكر كله أيا كان مصدره، الحاكم أو المحكوم في الحديث النبوي الشريف الذي رواه مسلم بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط

والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم) ورواه البخاري أيضاً.

- وروى مسلم بسنده عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: **«إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون منهم وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع»** قالوا يا رسول الله: ألا نقاتلهم؟ قال: **«لا ما أقاموا فيكم الصلاة»**.

- وروى مسلم بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريُّون وأصحاب يأخذون بسنته ويعتقدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**.

● ولقد مارست الجماعة الجهاد بكلمة الحق أو العدل عند السلطان الجائر باستمرار، فما تركت لحاكم أن يظلم أو يجور إلا نبهته الجماعة، واعترضت على ظلمه وجوره، بل وجهت اعتراضاً ضد رموز الظلم والجور - وهم المستعمرون في مصر وفي العالم الإسلامي كله.

● وقد أدى موقف الجماعة في تمسكها بكلمة الحق عند السلطان الجائر إلى أن تتحمل كثيراً من ظلم الحكام مواطنين وأجانب، وتعرضت لكثير من المحن منذ زمن يسبق زمن قيام الانقلاب العسكري في مصر عام ١٩٥٢م.

● وكثير من وثائق الجماعة وأوراقها التاريخية أكدت أن الجماعة جهرت بكلمة الحق والعدل في وجه السلطان الجائر، ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة:

- رسالة نحو النور التي كتبت سنة ١٩٣٦م.

وهذه الرسالة كلها تعد كلمة حق عند سلطان جائر هو الملك فاروق، وإلى

رئيس حكومته آنذاك مصطفي النحاس باشا، بل وجهت إلى الملوك والأمراء في العالم الإسلامي كله، وإلى سائر الحكام وكل من بأيديهم السلطة في أي مكان.

ـ وكلمة الحق في هذه الرسالة جاءت على النحو التالي:

● مطالبتهم بضرورة تخليص الأمة الإسلامية من القيود السياسية التي فرضت عليها من المستعمر وغيره.

● ويطالبهم ببناء الأمة الإسلامية من جديد لتسلك طريقها الصحيح بين الأمم.

● ويؤكد لهم أن العلاج في الأخذ بمنهج الإسلام وحده.

● ويوضح لهم زيف المدنية الغربية.

● ويحذرهم من الانخداع بما يردده بعض الغافلين من الربط بين أخطاء بعض المسلمين، والإسلام نفسه.

ـ وثيقة: «المطالب الخمسون».

وهذه الخمسون مطلبًا مصنفة عندي أصنافًا ثلاثة:

● صنف من عشرة مطالب في إصلاح النواحي السياسية والقضائية والإدارية، ومن هذه المبادئ على سبيل المثال:

«إصلاح القانون حتى يتفق مع التشريع الإسلامي وخاصة في الجنايات والحدود».

● «وتقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعًا، وبخاصة العربية منها، تمهيداً للتفكير الجدي العملي في شأن الخلافة الضائعة».

● وصنف ثان من ثلاثين مطلبًا جاءت في إصلاح النواحي الاجتماعية، والعلمية والعملية.

ومنها على سبيل المثال:

● «تنظيم الزكاة، دخلاً ومصرفًا، بحسب تعاليم الشريعة الإسلامية السمحة، والاستعانة بها في المشروعات الخيرية التي لا بد منها كملاجئ العجزة والفقراء واليتامى، وتقوية الجيش».

● «وتحريم الربا وتنظيم المصارف تنظيماً يؤدي إلى هذه الغاية، وتكون الحكومة قدوة في ذلك بالتنازل عن الفوائد في مشروعاتها الخاصة، كبنك التسليف، والسلف الصناعية وغيرها».

● «والقضاء على الروح الأجنبية في البيوت من حيث اللغة والعادات والأزياء والمربيات والمرضعات، وتمصير ذلك كله، وبخاصة في الطبقات الراقية».

● «ووضع سياسة ثابتة للتعليم تنهض به وترفع مستواه...».

● «والصنف الثالث من عشر مطالب في إصلاح النواحي الاقتصادية ومنها على سبيل المثال ما يلي:

● «تشجيع المشروعات الاقتصادية، والإكثار منها، وتشغيل العاطلين من الوطنيين فيها، واستخلاص ما في أيدي الأجانب منها للناحية الوطنية البحتة».

● «وتشجيع الإرشاد الزراعي والصناعي، والاهتمام بترقية الفلاح والصانع من الناحية الإنتاجية».

- رسالة «الإخوان المسلمون تحت راية القرآن» التي كتبت في إبريل ١٩٣٩م.

وقد وجهها الإمام البنا إلى الإخوان المسلمين أنفسهم وإلى الناس جميعًا حكامًا ومحكومين.

ومما جاء فيها من إعلان كلمة الحق والعدل والصدع بها ما يلي:

● «كل النظم التي تسيرون عليها في شئونكم الحيوية نظم تقليدية بحتة لا تتصل بالإسلام، ولا تستمد منه، ولا تعتمد عليه:

نظام الحكم الداخلي.

ونظام العلاقات الدولية.

ونظام القضاء.

ونظام الدفاع والجندية.

ونظام المال والاقتصاد للدولة والأفراد.

ونظام الثقافة والتعليم.

ونظام الأسرة والبيت، بل نظام الفرد.

والروح العام الذي يهيمن على الحاكمين والمحكومين، ويشكل مظاهر الحياة على اختلافها، كل ذلك بعيد عن الإسلام وتعاليم الإسلام.

وماذا بقي بعد هذا؟».

- والرسالة الموجهة إلى مسئولي الشعب ومراكز الجهاد والمناطق.

● وهذه الرسالة كلمة حق عند سلطان جائر في داخل العالم العربي والعالم الإسلامي والعالم كله.

● ومما جاء فيها - مما يعد سابقًا لأوانه آنذاك -.

- «أن تجلو الجنود الأجنبية عن مصر وكل وطن عربي أو إسلامي محتل».

«وأن ترتفع هذه القيود والأغلال التي فرضت على تجارتنا وزراعتنا وصناعتنا إبّان الحرب (يقصد الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م - ١٩٤٥م) وقبلها.

«وأن تعود قناة السويس إلى أصحابها الشرعيين».

«وأن تعود للسودان حريته واستقلاله فهو جزء من الوطن الإسلامي، فهو مصر الجنوبية، ومصر هي السودان الشمالي».

«وأن تؤمن حدودنا الغربية بأن تُسَلَّم ليبيا المحتلة من إيطاليا إلى أهلها الليبين».

«وأن تؤمن حدودنا الشرقية بتحرير فلسطين من نفوذ الإنجليز واليهود».

«وأن تؤمن حدودنا الجنوبية بحفظ حقوقنا في أريتريا وزيلع ومصوع وهرر».

«وأن تتاح فرصة نهوض الجامعة العربية بين دول العالم».

«وأن تحرر البلاد الإسلامية والأقليات المسلمة من كل سلطة، وبخاصة:

● إيران المحتلة من بريطانيا.

● وأن تحرر أندونيسيا من هولندة.

● وأن تحل مشكلة الهند بحفظ حقوق المسلمين في كل الولايات.

● وأن تعود ألبانيا إسلامية كما كانت.

● وأن تعطى الأقليات الإسلامية في بلغاريا ويوغسلافيا واليونان حقوقها.

- ورسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي.

● وهي كلمة حق وعدل وجهت - كما جاء في صدرها - إلى رئيس الحكومة باعتباره المسئول الأول، وإلى أعضاء الهيئات النيابية - على اختلافها - باعتبارهم الدعاة الرسميين لنظام الإسلام. كما وجهت إلى رؤساء الهيئات الشعبية السياسية والوطنية والاجتماعية باعتبارهم قادة الفكر وموجهي الجماهير، وإلى كل محب لخير العالم وسيادة بني الإسلام.

ثم قال: أوجه هذه الكلمات أداءً للأمانة وقيامًا بحق الدعوة ألا قد بلغت. اللهم فاشهد.

وهذه الرسالة تعد أطول الرسائل إذ توشك أن تكون كتابًا وجيزًا إذا قورنت بسواها من الرسائل.

● وهذه الرسالة كلها - على طولها - كلمات حق وعدل عند سلاطين جائرين لا يلتزمون بالإسلام فيما يقومون به من أعمال تتصل بالناس وبمصالح دنياهم وأخراهم.

● والجدير بالتأمل والنظر في هذه الرسالة أن كثيرًا مما اقترحه فيها من أوجه الإصلاح كان يطرح على الساحة السياسية لأول مرة في تلك الحقبة من تاريخ مصر والعالم الإسلامي المحتل آنذاك، ومن الجدير بالعجب والتعجب أن يدعي المغرورون الذين قاموا بانقلاب عسكري في مصر سنة ١٩٥٢م أنهم الذين ابتكروا هذه الأنواع من الإصلاح وفكروا فيها ابتداء، يدعون هذا والرسالة مكتوبة قبل قيام انقلابهم بأكثر من خمس سنين!!!

وعلى سبيل المثال:

ـ عودة قناة السويس إلى أصحابها الشرعيين.

ـ وتقليل حجم الملكيات الزراعية.

ـ وتشجيع الملكيات الصغيرة.

ـ وتمصير الشركات بتحريرها من النفوذ الأجنبي.

غير أنهم أساءوا إلى كثير مما أخذوا به من مقترحات الإمام حسن البنا رحمه الله، كتحديد الملكية التي لم يعوض أصحابها، فتحولت إلى غصب لا يجوز.

كما أنهم جعلوا الدولة ـ أي الحكام أي هم أنفسهم ـ يملكون وسائل الإنتاج، بحيث يتصرف فيها الحكام كما لو كانت ملكًا خاصًا دون رقابة من مجلس نيابي أو نحوه، دون أن يجرؤ أحد على التفوه بكلمة، فإن فعل فمصيره وراء الشمس ـ كما جرى هذا التعبير على ألسنة المصريين الذين اضطهدوا في أموالهم وأعراضهم وحرياتهم وحقوقهم بل في أنفسهم بالقتل أثناء التعذيب في صورة وحشية غير إنسانية بهذا الانقلاب العسكري المشئوم الذي أغرق البلاد في الديون والتبعية، بما لم يحدث مثله حتى في ظل الحكم الأجنبي المحتل للبلاد!!!

● وقد ظلت الجماعة تجهر بكلمة الحق عند السلطان الجائر، وتدفع لذلك أفدح الأثمان ولا تبالي وإنما تحتسب ما تلقي عند الله، حتى قام الانقلاب العسكري في مصر في يوليو ١٩٥٢م.

- وحسب الانقلابيون أنهم يستطيعون شراء ولاء الإخوان المسلمين لهم ببعض أغراض الحياة الدنيا من مناصب أو نحوها، وكان لذلك قصة معبرة أرويها ولا يستطيع أحد ممن يعرفون أن ينكرها فهي ثابتة في تاريخ الجماعة وأوراقها التاريخية وثابتة في تاريخ مصر إذا برئ من محترفي التزوير والتضليل من منافقي الحكام، وتلك القصة كانت في بدايات حكم العسكر وخلاصتها:

«أرسل طاغوت الانقلابيين - جمال عبد الناصر - إلى المرشد العام للإخوان المسلمين المرحوم المستشار حسن الهضيبي - وكان الطاغية بصدد تشكيل حكومة ورقية من تلك الحكومات التي لم تكن تملك من أمر نفسها شيئًا وإنما تشكل وتقال دون ذكر الأسباب أرسل يطلب من المرشد العام تحديد عدد من أسماء الإخوان الذين يتولون مناصب وزارية، ظانًا أنه بذلك العرض يغري الإخوان بالحكم ويصرفهم عن كلمة الحق عند السلطان الجائر!!!

فكان رد الأستاذ المرشد عليه واضحًا حاسمًا يعد كلمة حق عند سلطان جائر إذ قال له مع رسوله الذي أرسله:

ليست العبرة في عدد الوزراء الذين يشاركون في الحكم من الإخوان، ولكن العبرة في الدستور الذي ينفذه الوزراء فإن كان الدستور إسلاميًا فما على الجماعة من بأس إذا لم يشارك منها أحد في الوزارة فقد تحقق الهدف وهو الحكم بالإسلام، وإن ظل الدستور غير إسلامي فما ينفع ولا يجدي أن يكون كل الوزراء من الإخوان المسلمين».

فكانت تلك كلمة حق عند سلطان جائر، خلاصتها أن يغير الدستور أو يعدل، وذلك المطلب هو الذي كان يلدغ الطاغية إذ يحول بينه وبين الاستبداد.

● ومن أجل كلمة الحق التي لم تعجب السلطان الجائر تحدى الطاغية الجماعة وعمل ما وسعه على أن يشق كلمتها ويمزق وحدتها، وفي قصة طويلة لا مجال للحديث فيها الآن، لأنها تحتاج إلى كتاب مستقل أرجو أن يقوم بكتابته أحد

المخلصين لدينه وللحق وللتاريخ ولا بد أن ينكشف ذلك يوماً، وتظهر الحقائق من بين ركام النفاق الذي لا يزال يسيطر على ضعاف النفوس ممن يكتبون ليعيشوا في كنف الحكام.

وبعد:

فتلك هي المرتبة الثالثة من مراتب الجهاد كما حددها الإمام حسن البنا رحمه الله.

وإلى الحديث عن المرتبة الرابعة والأخيرة من مراتب الجهاد في سبيل الله، والله المستعان.

● والمرتبة الرابعة من مراتب الجهاد:

وهي مرتبة القتال في سبيل الله، وهي أعلى مراتب الجهاد؛ لأنها تضحية بالنفس لتكون كلمة الله هي العليا، ولكي ينتقل الناس من الضلال إلى الهدى، ومن التيه والضياع إلى الانتماء والالتزام.

● ولا بد أن نقرر أن جهاد المسلمين لأعدائهم بالقتال ليس عملا حتميا في كل حين، ولكن قد يكون كذلك في بعض الأحيان، وعلى قدر التحدي الذي يوجهه الغرب للإسلام والمسلمين، وعلى قدر تمكين المسلمين من العلم والتقنية، وعلى قدر إعدادهم واستعدادهم تكون هذه المواجهة القتالية أو يكون توقيتها الصحيح.

● وأسوأ ما يواجهه المسلمون من كيد وتحدٍ هو ما يقوم به الغرب من تخطيط وتدبير وأعمال ضد الإسلام والمسلمين، منذ تلك الحروب التي اتخذت من الصليب شعارا وقاداتها الكنيسة وبعض المغامرين من حكام أوربا وأمرائها.

● وأسوأ ما واجهه المسلمون من الغرب هو تلك الوحشية التي مارس بها الغرب حربه ضد المسلمين فيما يعرف بالحروب الصليبية وما واجهوه من وحشية في القضاء على المسلمين في الأندلس مما لا يمت إلى القيم الأخلاقية ولا إلى القيم المسيحية بأدنى صلة!!!

● ولا يستطيع المسلمون أن ينسوا تحدي الغرب لدولة الخلافة العثمانية وتحالف جميع دوله على إسقاط تلك الدولة المسلمة في صورة تآمرية مورست فيها الأعمال القذرة.

● كما لا ينسى المسلمون أبداً أن الغرب هو الذي زرع إسرائيل في موضع القلب من الأمة العربية والإسلامية فلسطين، وأنه يدعم إسرائيل بالمال والعتاد والرجال، ويمكنها في كل يوم من التوسع على حساب الأرض العربية الإسلامية.

● ولا يستطيع المسلمون أن ينسوا أن الغرب ومعه الشرق الممثل فيما كان

يسمى بالإتحاد السوفييتي هو الذي أغرق العالم الإسلامي في الفتن والقلاقل، والانقلابات العسكرية، التي تستهدف إقصاء الإسلام عن الحياة لتحل محله علمانية غربية معادية للدين، أو استبدادية غاشمة تبطش بالصحوة الإسلامية وتتحدى أن يكون لها وجود حتى في ظل الديمقراطية وصناديق الانتخاب كما حدث في الجزائر عام ١٩٩٢م مع جبهة الإنقاذ الإسلامي.

● ولا يستطيع المسلمون أن يتجاهلوا أن الولايات المتحدة الأمريكية أو النظام العالمي الجديد بقيادتها تضمر للإسلام والمسلمين كل شر ليس لمجرد مجاملة إسرائيل أو جعلها دائما أقوى من الدول العربية جميعا، وإنما لما تمارسه أمريكا من تناقض في موقفها مع المسلمين وغيرهم من الناس.

- فهي تسكت على أبشع ما عرفت البشرية من انتهاك لحرمة الإنسان في البوسة والهرسك على أيدي الصرب - خنازير أوربا كما يسمون -

- وتسكت عن حماية الديموقراطية - كما تزعم - في الجزائر خشية أن يصل المسلمون إلى الحكم.

- وتتحدى أنظمة الحكم التي تعلن أنها إسلامية كإيران والسودان.

- وتهرع إلى انقاذ الديمقراطية من الحكم العسكري في هايتي بجيش تشارك فيه عشرون دولة تابعة لأمريكا.

● ولا يستطيع المسلمون أن ينسوا شيئا من ذلك إلا إذا استكانوا وخضعوا للنظام العالمي الجديد، والصهيونية العالمية والصليبية الحديثة في صورها العديدة الخادعة.

● لا يستطيع المسلمون أن ينسوا أن بعض الكتاب الغربيين يعترفون بأن هناك تحيزا ضد الإسلام أكثر من أي تحيز ضد دين آخر، وأن هذا التحيز يصرح به عدد من الكتاب وعدد من الساسة وعدد من رؤساء دول الغرب، وأنهم يتصورون أن الإسلام أو الأصولية الإسلامية - كما يقولون - أو الصحوة الإسلامية، تأخذ من

الغرب موقف الاتحاد السوفيتي السابق!!!

● وكل هذا يجعلنا أن نتساءل قائلين:

لماذا كل هذا العداء للإسلام والمسلمين؟

ونحاول أن نجيب على هذا التساؤل، من خلال ما أوتينا من معرفة عن الغرب وعن العالم الإسلامي ـ وما يؤتى الإنسان من العلم إلا القليل ـ وتلك الإجابة عندي ترتكز على عدد من المسلمات أسوقها فيما يلي:

● **المسلمة الأولى:**

ـ أن بسط نفوذ الغرب على أي دولة مسلمة صغيرة أو كبيرة لم يعد محتاجا إلى القوة العسكرية التقليدية التي تحتل الأرض وتمسك بزمام الحكم بأيدغربية ـ كما كان الحال في الماضي ـ وإنما أصبح الاحتواء وبسط النفوذ بل فرض التبعية على أي دولة مسلمة يحتاج إلى ما هو أقل تكلفة من ذلك، وإلى ما هو أكثر دهاء من ذلك أيضاً.

● يحتاج إلى أن تفقد هذه الدولة ثقتها في نفسها وفي اقتصادها وثقافتها بإغراقها في هذه المشكلات ثم مد يد العون الخادع إليها وهي تغرق، بديون ذات فوائد ربوية متفاقمة، ومعونات مشروطة.

ـ على الرغم من تصريح كثير من الحكومات بأنها غير مشروطة ـ فما هو إلا أن تصبح الدولة الغربية هي المنقذة وهي الصديق الذي يقدم بغير مقابل، وهي الأنموذج الذي يحاكي في فكره وثقافته ونظمه السياسية والاجتماعية ـ فيما عدا الحريات والديمقراطية والمحافظة على حقوق الإنسان ـ وما يفعل الغرب ذلك إلا ليقينه بأن مواطني تلك الدولة المسلمة يرفضون الوجود الأجنبي المسلح في بلادهم، فلا يجد الغرب أفضل من هذا البديل، تحركه إلى ذلك حاجته إلي المواد الأولية في هذه البلد أو جعلها سوقا لمنتجاته، أو خشية أن يوجد فيها نظام حكم إسلامي يتحدى مصالح الغرب.

## ● والمسلمة الثانية:

أن الغرب يدرك أن الإسلام دين ومنهج يستعصي على الذوبان في منهج آخر لديهم، أي يجعل أبناءه مستعصين على تلك التبعية، ومن هنا يكون العداء للإسلام نفسه بوصفة عقبة في طريق مصالح الغرب.

ومن أجل هذا؛ فإن رعباً شديداً يصيب دول الغرب عندما تتنامى الصحوة الإسلامية الداعية إلى الإحياء والتجديد؛ لأن في نجاح تلك الصحوة أو الحركة خطرا يهدد مصالح الغرب، فإذا ما وصلت إحدى الحركات الإسلامية للحكم وأخذت بنظام الإسلام ومنهجه فإن الهجوم الإعلامي عليها من الغرب وأذنابه من المسلمين يتوالى ويتواصل، ويلحق به حصار اقتصادي، وحرب وتحد لكل شيء من النجاح الذي تحققه هذه الدولة المسلمة، ويحالف الغرب في ذلك ويتابعه على هذا التحدي كل الدول المسلمة التي تمشي في ركابه.

أو تبيع له النفط أوتشتري منه القمح، أو تعتمد عليه في التسلح لتحارب معارك ضد أخواتها من دول المسلمين، معارك يكون الغرب هو الذي أغرى بها وقدم أسبابها!!!

## ● والمسلمة الثالثة:

أن الإسلام والمسلمين كثافة سكانية لا بد أن يعمل لها ألف حساب وحساب، وأنه مع هذه الكثافة السكانية التي فاقت خمس سكان العالم وتجاوزت ألف مليون إنسان يشهدون جميعا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويتجهون جميعا نحو قبلة واحدة، ويشتركون في إدراك ما يحاك لهم من مؤامرات، ولا تملك حقائق التاريخ والجغرافيا إلا أن تعترف بهم، وهذه الكثافة السكانية سوق يسيل لعاب التجار، وهذه الكثافة السكانية وتقيم على أرض غنية بالموارد والثروات النفطية والمعدنية والحيوانية والزراعية، وكل ذلك مما يحمل الغرب على بسط نفوذه على تلك الأرض وعلى أولئك السكان، والمسلمون يعرفون هذا ويدركون أبعاده، ويحول الغرب بينهم وبين أن يفعلوا شيئاً للتخلص من نفوذه عليهم وكثير من

الحكام يمارون ويرددون: حرية القرار السياسي وحرية رسم السياسة وحرية الاقتصاد، وأحيانا يقول بعضهم: حرية بيع النفط لمن يريدون!!!

وما يدرك هذه القالات ويعلم أنها أكاذيب أحد مثل أبناء الصحوة الإسلامية، ولهذا يعادي الغرب وأتباعه من حكام البلاد المسلمة الصحوة الإسلامية وأبناءها ويوجهون إليها الضربات تلو الضربات بعد حملة تشويه بالغة الكذب والإساءة!!!.

**● والمسلمة الرابعة:**

أن العالم الإسلامي بهذا الكم البشري لديه قدرة على أن يتحول إلى كيف فاعل مع هذا الكم الهائل، في زمن وجيز، وبخاصة بعد أن أصبح العلم والتقنية في مجاليها في السلم والحرب في إمكان بعض الدول المسلمة، أو صارت منه على مرمى قريب.

بل إن بعض التحليلات الرياضية التي قام بها بعض علماء الغرب مخلصين في تحليلاتهم أو مغرضين ينبهون لخطر العالم الإسلامي - أكدوا أن معدل التنمية الحقيقي في كثير من بلدان العالم الإسلامي فاق في أقل من نصف قرن ما حققه المجتمع الغربي من تنمية خلال القرن الماضي كله!!!

● إن الغرب ينظر بهلع إلى الزيادة السكانية التي يعيشها العالم الإسلامي في آسيا وإفريقيا، حيث يقول خبراؤهم: إن كل أوربي بعد أقل من ربع قرن سوف يجد في مواجهته ستة مواطنين من الملونين!!!

● وهذه نذر خطر عندهم إذ إن معدلات التنمية سوف تحولهم إلى أقلية، أو سوف تدفع بالملايين الهائمين على وجوههم فارين من قسوة الظروف السياسية والاقتصادية ليستوطنوا بلاد الغرب عمالاً وأجراء وكادحين، مما يخشى معه أن يكون لهم في بلاد الغرب كيان.

ومن أجل ذلك وضعت خطط لنقص معدلات الإسكان في العالم الثالث -

واختير له المكان الملائم لانعقاده قلب العالم العربي وبلد الأزهر القاهرة؛ ليحول بين تلك البلدان وبين النمو فعقد في سبتمبر ١٩٩٤م ومهما أسرف الغافلون عن هذه الحقائق، وبالغوا في إحساسهم بحسن نية الغرب في عقد هذا المؤتمر؛ فإن خطر مواجهة الأوربي الواحد بستة من الملونين هي التي تحرك رغبة الغرب في عقد مؤتمر السكان لإيقاف هذا النمو، وتبرير هذا الإيقاف بحجج أوهى من خيوط العنكبوت!!!

● ولقد رد عليهم من بني جنسهم من فند باطلهم وهو العالم المفكر: روجيه جارودي، حيث كتب تحت عنوان: «القنبلة السكانية خدعة لترسيخ الاستقلال» فقال:

«إن برنامج الأمم المتحدة للتنمية في سنة ١٩٩١م يقرر أن خمس سكان العالم من الأغنياء يسيطرون على ٨٤,٧٪ من موارد العالم ويستهلكونها.

وهكذا يأتي أغنياء العالم إلى القاهرة تحت غطاء الأمم المتحدة ليقولوا للفقراء ما نصه:

«لا تنجبوا أطفالا بعد، حتى نستطيع أن نستمر في نهبنا لمواردكم وإفراطنا في استهلاكها».

هذه الإبادة الجماعية للمحرومين من أهل العالم الثالث الذين توجه إليهم سهامكم من خلال هذا المؤتمر المشبوه إذا كنتم تزعمون أن الأرض لن تستطيع إطعامكم، فلم تجبر الولايات المتحدة وأوربا على تبوير ١٥٪ من أراضيها الصالحة للزراعة إذا لم تكن تريد الإبقاء على صادرات وأسعار القمح الأمريكي في مستواها على حساب الجياع من أهل الجنوب.

ولماذا تكدس أوربا الجبال من اللحم والزبد والحليب المجفف إذا لم تكن تريد الإبقاء على أسعار هذه المواد الغذائية ومنعها من الوصول إلى الجياع أهل الجنوب؟

● ولماذا تستهلك الولايات المتحدة التي تمثل ٥٪ من سكان العالم الربع من

الإنتاج العالمي من البترول لسد حاجتها الصناعية ومحركاتها وسياراتها وطائراتها.

ومن أجل ذلك تحاول الاستيلاء بالقوة على مصادر البترول في المكسيك والخليج والعراق ونيجيريا والصومال، كما تبذر بذور الفتنة ضد الأهداف المتبقية في إيران وليبيا والسودان؟

● إن تكلفة حاملة الطائرات الواحدة المجهزة بست وثمانين طائرة جاهزة للطيران ومعطلة فعلا وهي ١,٢ بليون دولار لكافية لإخصاب الصحراء من داكار في غرب إفريقيا إلى مقديشو في شرقها!!!

● هكذا تستمر الشعوب المحرومة الجائعة في شرب ماء المستنقعات الملوث كي تستمر أحواض السباحة الباهظة التكاليف في أداء مهمتها لدى المترفين من أهل الشمال!!.

● من الذي يتسبب في ازدياد فجوة الأوزون حول الأرض سوى مداخن مصانعكم وغاز المحركات في سياراتكم وطائراتكم وزجاجات العطر الثمين عندكم؟

● ومن الذي يقض على رئة الأرض التي تتنفس منها بالقضاء على غابات الأمازون وغيرها من غابات أفريقيا، سوى شركاتكم الجشعة التي لا تشبع.

● وهكذا يزعمون أنهم قادرون على السير في حرب الإبادة على مستوى الكرة الأرضية بالسير في طرق الانحراف المختلفة الهادفة إلى القضاء على الأسرة النواة الأولى للمجتمع، بإيقاف معدل النمو بتلك الطرق الشيطانية، ومنع الحمل بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة.

وأقرب مثل؛ ما فعلوه في نساء البرازيل حين عقموا خمسا وعشرين مليون امرأة.

وهكذا يعقمون ملايين غيرهم في آسيا وإفريقيا.

● والمسلمة الخامسة:

أن العالم الإسلامي جغرافيا يمتد من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي في كثافة سكانية معروفة، وثروات طبيعية كثيرة، وهو بهذا الامتداد يمثل حدا فاصلا بين دول الشمال «الغرب» ودول الجنوب «كثير من دول إفريقيا وآسيا» فهو بهذا الوضع قادر على أن يحقق وظائف عديدة، كل وظيفة منها تتحدى مصالح الغرب في دول الجنوب، ومن هذا ما نشير إلى بعضه فيما يلي:

- منع التدفق البشري من أهل الشمال الطامعين في ثروات أرض الجنوب وإمكاناته الطبيعية - كما فعلت عشرات الشركات الغربية التي استغلت الجنوب ثم استوطنته، بل أقامت فيه دولا لها كجنوب إفريقية التي لم تنل استقلالها إلا منذ عام على الرغم من الوجود الغربي المكثف فيها.

هذا العالم الإسلامي يستطيع منع هذا التدفق البشري من أهل الغرب، أو يعوقه على الأقل.

- والقدرة على التحكم في وسائل الاتصال والمواصلات، والمواصلات الجوية والبحرية والاتصالات السلكية التي تصل أوربا بسائر أجزاء العالم غير الغربي.

- والقدرة على السيطرة على منافذ روسيا وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي في حدوده الجنوبية، مع القدرة على السيطرة على منافذ الولايات المتحدة الأمريكية في غربي إفريقية، حيث أقصر مسافة بين أمريكا وإفريقيا.

● هذه الإمكانات للعالم الإسلامي التي لم يمارس منها شيئًا حتى الآن، يمكن أن يمارس بعضها عند الضرورة أو الحاجة إليها إذا كان متمسكًا بدينه الذي يطالبه بأن يستعد ويعد مااستطاع من أسباب القوة لعدوه الحاضر وعدوه المرتقب، والغرب يدرك هذا تماما؛ ولذلك يحاول أن يجهض كل عمل إسلامي يجعل المسلمين يفيقون من هذا الوهم الذي يعيشون.

● والمسلمة السادسة:

أن الإسلام منهج حياة، ونظام حضاري متقدم ملائم للفطرة البشرية، وأن الشعوب التي تحمل هذا المنهج عانت طويلا من جرائم الغرب في أوطانها، في ظل ما كان يعرف غلطا بالاستعمار، أو الحماية أو الوصاية أو الانتداب أو سد الفراغ، أو التبعية الثقافية والاقتصادية أو الضغوط السياسية والعسكرية أو إثارة الفتن والقلاقل وإذكاء نار الفتن والخلافات والحروب، أو اصطناع الأولياء للغرب وحضارته الذين يصرح أحدهم بأنا يجب أن نأخذ حضارة الغرب بحلوها ومرها وخيرها وشرها!!!

● ولقد تكونت لدى هذه الشعوب المسلمة على مر أجيال الظلم والقهر وسوء استغلال الغرب لمواردها، تكونت لديهم خبرة تجعلهم أقرب إلى الإسلام ومنهجه ونظامه من مناهج الغرب الظالمة المستبدة القائمة على التفرقة اللونية، ولعل الغرب وهو يضغط علي دول العالم الإسلامي ويسقيها المر ويجرعها العلقم ويعبث بإنسانيتها وكرامتها ويحول كثيراً من هذه الشعوب إلى حيوانات تجارب معملية لبواكير ما ينتج من دواء، لعله بذلك قد أزكى في نفوس المسلمين هذه الصحوة وأوجد هذه الحركات الإسلامية في معظم أقطار العالم الإسلامي، فأفاق الغرب على ذلك فأخذ يكيل التهم جزافا لكل حركة إسلامية من إرهاب - وهو الإرهابي على مستوى دولة - وتطرف - وهو الذي بلغ أقصى حدود التطرف في حقده على الإسلام والمسلمين، ثم أخذ يكيل الضربات بيده حينا وبيد أوليائه حينا، ولكن الله غالب على أمره.

● والإسلام بمنهجه الحكيم العادل وقيمه الإنسانية العامة التي تعتبر الناس جميعا لآدم عليه السلام يمثل جاذبية خاصة لدول إفريقية وآسيا، بل ولبعض دول أمريكا اللاتينية، إذا ما قارنوه بما يعانون منه من نظام غربي مقيت يحاسب الناس على أن لوحت الشمس أبشارهم. فكان إقبال الناس على الإسلام يدخلون فيه دون أن يحملهم على ذلك أحد، هاجرين الوثنية المنتشرة في بلادهم، وهاجرين أديان

العنصرية، والتفرقة اللونية وهذا من فضل الله الذي يزيد في كراهية الغرب للإسلام.

● ولقد شاهدت ذلك الإقبال على الإسلام بنفسي في جولة لي في إفريقيا طالت نسبيا عما يمكث به السائح في بلد ما.

حيث يقبل الناس هناك على الإسلام دون أن يقدم لهم أحد من المسلمين خدمة أو منفعة أو رشوة، في حين ينفرون من الغرب ومسيحيته التي يدعيها لما يرون من التفرقة بينهم وبين البيض.

● إن الإسلام يجتذب الأفارقة بلمسة يد مخلصة أو بكلمة هادئة أو عظة حسنة، بحيث أقول مطمئنا معاينا إنه لم تعد بلد في إفريقيا ليس فيه من المسلمين عدد غير قليل، بالإضافة إلى دول كثيرة معظم أهلها من المسلمين على الرغم مما تقول إحصائيات هيئة الأمم المتحدة!!!

● ومن أجل هذا يضاف إلى الغرب سبب آخر يجعله يعادي الإسلام ويحقد عليه، ويكيد للمسلمين ويوقع بينهم الفتن والحروب ويدبر في بلادهم انقلابات عسكرية غاشمة.

**● والمسلّمة السابعة:**

أن الإسلام دين يقوم على أن الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا فريضة ماضية إلى يوم القيامة، سواء أكان الجهاد فرض عين أم فرض كفاية على نحو ما بينا آنفا، إذ الإسلام حق لا بد أن تحميه قوة، وجهاد لا بدأن تواكبه تضحية ـ إذ لا جهاد بغير تضحية كما يقول الإمام حسن البنا رحمه الله.

● والحضارة الإسلامية تقوم في جانب منها على أن الجهاد يعني قدرة المسلم على أن يقدم وقته وجهده وماله ونفسه لتحقيق أهداف الإسلام التي من أبرزها نشر دعوة الإسلام في الناس، ومقاومة الظلم والفساد وعبادة العباد للعباد، والاستقامة على الدين القيم الذي أكمله الله سبحانه وأتمه ورضيه للبشرية كلها دينا، ولم يقبل منها سواه.

● لكل هذا يقف الغرب من الإسلام والمسلمين هذا الموقف المعادي، الذي يستوجب الجهاد، ويسهم في تحديد زمانه ومكانه.

● وبعد: فإذا كنا قد أوضحنا بعض الأسباب التي جعلت الغرب يضمر بل يظهر كل هذا العداء والشر والحقد والإضرار بالمسلمين، واعتبرنا ذلك من المسلمات التي لا يختلف عليها منصف يراقب الأمور؛ فإن ذلك يضاف إليه ضرباتهم المسبقة للحركات الإسلامية، أي قبل أن تنمو وتأخذ وضعها الفاعل، بحملات التشويه ووصف الحركيين الإسلاميين بالإرهاب والتطرف والعنف على أمل أن يصرفوا الناس عنهم، وعن الانضمام إليهم والتعاطف معهم، تعاونهم في ذلك حكومات توهمت أن الصحوة الإسلامية تعمل ضدها غاضين النظر عن أولئك الذي يقتلون الناس في الطرق العامة فهؤلاء لا يمكن أن يحسبوا على الإسلاميين وهم يستبيحون قتل الأطفال والنساء والشيوخ في حملاتهم العمياء على الآمنين.

● إذا كنا قد أوضحنا ذلك فعلا ـ من أجل إكمال الصورة ـ فلا بُدَّ أن نوضح كيف خلط الغرب عن قصد أوراق الجهاد في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا بالتطرف والإرهاب والعنف.

وفي هذا المجال أود أن أسوق هذه الحقائق:

**أولا:**

● المحاولة المستميتة من الغرب، ومن الدول المسلمة الدائرة في فلكة للربط بين الإسلام والأصولية، مع أن الأصولية بزمنها التاريخي لها دلالة كنسية لا علاقة لها بالإسلام، وهي عند الغرب تعني الجمود والرجعية والتخلف بل تعني مناهضة الحياة الإنسانية المتقدمة، فهم يريدون سحب هذه الظلال البغيضة على الإسلام ما داموا قد صنفوه أصولية كنسية بغيضة!!!

● والإسلام بريء من ذلك كل البراءة، والأصوليون في تراثنا الفكري هم علماء أصول الفقه وهؤلاء أبعد ما يكونون عن الجمود والرجعية والتخلف إذ هم الذي يفتحون أبواب الاجتهاد ويوضحون أبعاده وشروطه وأهدافه ووسائله.

**ثانيا:**

الربط بين بعض الأعمال الإرهابية الفردية التي يقوم بها أفراد تدفعهم إليها مفاهيم خاطئة بعيدة عن الإسلام، وتحثهم عليها ظروف اجتماعية وسياسية واقتصاديه، وشعور بقهر سياسي غير محدود، هم يربطون بين هذه الأعمال وبين الإسلام، والإسلام من كل ذلك براء.

● وعند التأمل والتدبر نجد الإرهاب الحقيقي المعادي للإنسانية وهو ما يمارسه الغرب في فترات طويلة في تاريخه.

- مارسوه مع الهنود الحمر في امريكا.

- ومارسوه مع مَنْ خطفوهم من إفريقيا وغيرها؛ ليعيشوا عبيدا أو أقنانا لدى أصحاب الإقطاعات.

- ومارسوه في الصين والهند وجزر أندونيسيا وتايلاند وغيرها في آسيا.

- ومارسوه في إفريقية من قهر لأهل البلاد الأصليين، حتى أصبحت بعض بلاد أفريقيا تحمل أسماء إنجليزية أو فرنسية أو هولندية أو غيرها.

- وحسبنا من بشاعة إرهاب الغرب أن يقيموا دولة للبيض في جنوبي إفريقية، وأن تقول فرنسا فيما مضى إن الجزائر العربية المسلمة أرض فرنسية أو امتداد لأرض فرنسا!!!ذلك هو الإرهاب الحقيقي وقهر الناس بالحديد والنار.

- ومارسه الغرب في دول العالم العربي والإسلامي بعد أن أسقطوا دولة الخلافة العثمانية عن قصد وسبق إصرار وترصد، وحسب انجلترا ما فعلته في مصر والسودان من بشائع وحسب فرنسا ما فعلته في سوريا وحسب بلجيكا والبرتغال وإسبانيا وإيطاليا وهولاندا وما لا أحصي في هذه الصفحات، حسبهم ما فعلوه في البلاد التي احتلوها.

- وما تمارسه إسرائيل من إرهاب دولي جماعي يؤيدها فيه العالم الغربي دون مواربة، ودون مراعاة لشعور دول عربية أو إسلامية تقوم بينها وبين الغرب علاقات

يقولون إنها طيبة هذا هو الإرهاب الغربي لا ما يزعم من أن الحركات الإسلامية إرهابية!!!

**ثالثا:**

الربط بين أى حركات تحررية في أي بلد مسلم للتخلص من النفوذ الغربي، أو من استبداد أنظمة الحكم فيها، وبين الإرهاب ـ الذي وصفوه بأنه إسلامي أصولي ـ كما يقولون. وهذا باطل ومخالف للواقع.

ـ واستغلال هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها لتدبير أعمال الإرهاب والعنف الذي مارسه الغرب وإسرائيل فيمن يريدون أن يجعلوه موضعا للعنف والإرهاب وتكسير العظام والضرب بالقنابل المحرمة دوليا تحت اسم إقرار السلام أو الدفاع عن الحريات وحقوق الإنسان، أو ما يشاءون من أسماء مغلوطة ومبررات كاذبة.

● وكيف يستطيع أي إنسان في العالم أن يخدم هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها إذ اكانت تلك المؤسسات تسمح لدولة هي أمريكا بان تعتقل رئيس دولة في بلده وتحمله إلى بلدها لمحاكمته!!!

وتسمح لانجلترا بما سمحت به لها في جزر الفوكلاند!!!

وتسمح لفرنسا بأن يسيطر جيشها على رواندا!!!

وأي هيئات تلك التي بدلا من أن تؤدب حاكما طائشا هو صدام حسين أدبت شعب العراق وحرمته من بيع نفطه وفرضت عليه حظرا جويا ومنعته من الطيران في شمال العراق وجنوبه.

هذا هوالإرهاب الحقيقي الذي يستهدف الشعوب المسلمة، وحركات التحرر الإسلامية، في كل مكان من الوطن الإسلامي!!!

**رابعاً:**

لا يستبعد على الغرب والصهيونية ـ وتلك أعمالهم الظاهرة ضد الإسلام والمسلمين ـ أن يجندوا بشكل مباشر أو غير مباشر أعداءاً من أتباعهم، ويغرونهم

بإحداث هذا القلق والاضطراب، في بعض البلدان الإسلامية ثم إلصاق التهم ونسبة هذه الأعمال الشائنة إلى الإسلاميين، كما حدث في مصر في أكثر من عمل إرهابي أدين فيه بعض اليهود، ثم سكتت أجهزة الإعلام سكوتا مطبقا كان شيئا لم يحدث، وتبرعت بعض الأجهزة الإعلامية الغافلة بأن تلصق التهم بالإسلاميين، وكما حدث في غير مصر من البلدان الإسلامية أو الغربية أحيانا ثم إلصاق التهم بالإسلاميين ثم تتبين الحقائق، ويبرأ المجرمون ما داموا من اليهود أو من الغربيين، بينما يُدان الإسلاميون على أعمال لم يرتكبوها!!!

**وبعد:**

فتلك قصة الجهاد في العمل الإسلامي، وهذه مراتبه، وتلك هي التحديات المشوهة له، والمتحدية للإسلام والمسلمين.

وهذا هو الجهاد في سبيل الله كما عرضه الإمام حسن البنا في هذه الكلمات الوجيزة: «وأول مراتب الجهاد إنكار القلب، وأعلاها القتال في سبيل الله، وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد، وكلمة الحق عند السلطان الجائر».

وقبل أن أنهي الحديث عن الجهاد في مراتبه، أحب أن أوضح بعض الحقائق المتعلقة بالجهاد في إيجاز فيما يلي:

- الجهاد في الإسلام يجب أن يكون في سبيل الله، وأن يستهدف أن تكون كلمة الله هي العليا.

- والجهاد بكل مراتبه يجب أن يستعد له المسلمون ويعدوا لعدوهم ما يستطيعون من قوة.

- والجهاد يجب أن يأخذ فيه المسلمون بكافة الأسباب، من إيمان وعمل صالح وفهم وإخلاص وعمل.

- والجهاد يجب أن يختار المسلمون زمانه ومكانه بعد الإعداد والاستعداد، حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة، ولا يجرون إلى معركة يختار عدوهم زمانها ومكانها.

وإلى الحديث عن ارتباط الجهاد بالدعوة، والله المستعان.

## ٥- لا تحيا الدعوة إلا بالجهاد

● ما دامت الدعوة إلى الله تستهدف في النهاية إقامة شرع الله مقام تشريعات الناس، وتحاول الوصول إلى بناء كيان إسلامي يحكم بين الناس بما أنزل الله، متخذة طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن عندالاقتضاء..

● وما دامت الدعوة إلى الله تتضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة العدل والإحسان، ودفع الناس إلى الخير، وأطر الناس على الحق أطرا، إذا رفضوا الاستجابة للدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة أو تعنتوا في الجدال بالتي هي أحسن.

● ما دام الأمر كذلك فلا بد أن يدخل في مراحل الدعوة مرحلة هي الجهاد في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، أي يعلو صوت الحق ويقبل الناس على الخير والهدى، بل إن الدعوة بغير جهاد من نوع ما من أنواعه، قد تكون مجرد هرطقة أشبه ما تكون بأعمال عشوائية غير موظفة ولا هادفة.

● والجهاد أساس ركين تقوم عليه الدعوة، يضاف إلى أسسها المعروفة في مصطلح الدعاة، بل يأتي الجهاد بين هذه الأسس في قمتها وذروتها، بل لا تنجح الدعوة إلا به، ومن هنا ندرك عمق كلمة الإمام حسن البنا التي تقول: «ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد».

● والسؤال الدقيق هو: ما مكانة الجهاد من الدعوة، تلك المكانة التي تجعل الدعوة لا تحيا إلا به؟

هذا التساؤل يجعلنا نذكر بالأسس التي تقوم عليها الدعوة إلى الله، منذ انطلق بها خاتم الأنبياء ﷺ، وتابع السير في طريقه صحابته الكرام وتابعوهم، ومن جاءوا بعدهم في ذلك الموكب المهيب من رجال الدعوة في الأزمان المتعاقبة، وفي الأزمان الآتية في مسيرة متواصلة الخطى، حفظت للمسلمين على مر الأجيال معالم دينهم ودعوتهم.

● هؤلاء هم الذين تعلمنا منهم أسس الدعوة التي لا تقوم إلا بها، وتلك

الأسس ـ كما استقرأنا تاريخ الدعوة، ونظرنا بإجلال وتقدير وحب إلى موكب الدعاة ـ لم تخرج في صورتها العامة عن ثلاثة أسس ركينة، نشير إليها في إجمال ثم نعود عليها بنوع من التفصيل فيما يلي:

## أسس الدعوة ومبادئها التي تقوم عليها

إن أسس الدعوة في أجمال ثلاثة هي:

- المبدأ الذي تقوم عليه الدعوة.
- والرجال ـ الدعاة ـ المؤمنون بهذا المبدأ الداعون إليه.
- والجهاد بكل أنواعه من أجل تحقيق هذا المبدأ.

ولكل أساس من هذه الأسس حديث نفصله بعض التفصيل، ومن مجموع هذه الأحاديث يتبين لنا: كيف لا تحيا الدعوة إلا بالجهاد، ونكون قد بلغنا هدفنا من شرح كلمة الإمام البنا وتحليلها، ونسأل الله التوفيق والسداد.

### أولا:

المبدأ الذي تقوم عليه الدعوة إلى الله، وصفاته:

● ما من دعوة إلى شيء تنجح في جذب الناس إلى ما تدعوا إليه، وتمهد لهم طريق الإيمان به، وتقنعهم بضرورة هذا الإيمان وأهميته لهم، إلا إذا كان ما تدعو إليه صحيحا وسليما وملائما لفطرة الإنسان وقادرا على التعامل مع المتغيرات والمستجدات.

وتلك الصفات الأربعة هي التي نحاول الآن أن نلقي عليها ضوءا يوضحها ويكشف عما تحتويه:

### ١- صحة هذا المبدأ:

● والصحيح من المعاني والناس والأشياء هو البرئ من العيوب كما أن الصحيح هو الموثوق به ـ كما تقول كتب اللغة.

● والمبدأ هو القاعدة أو المعيار.

وهو أيضاً: ما يتركب منه الشيء، أو يكون ـ كما تقول كتب اللغة أيضا.

ـ والمبدأ الصحيح هو: القاعدة أو المعيار البريء من كل عيب الذي هو موضع ثقة عند الناس.

ـ ولا يستطيع السوي أن يعيش حياته الإنسانية دون مبدأ يعتنقه ويعمل من أجل تحقيقه ونشره بين الناس، بل الدفاع عنه أمام الذين لا يرضونه ولا يؤمنون به، أو يقفون في طريقه، وإلا كانت حياته خاوية تشبه حياة الحيوان، وتلك الحقيقة من سنن الله تعالى لا تتخلف في عباده من يوم جعل على الأرض حياة إنسانية.

● ودين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ من عند ربه كاملا تاما رضيه الله للبشريه كلها دينا ولا يقبل منهم سواه.

هذا الدين هو المبدأ الصحيح البريء من كل عيب الموثوق به الذي يصلح أساسا جيدا لحياة الناس.

● وهذا المبدأ بهذا الوصف هو وحده الجدير بان يؤمن به العقلاء المنصفون من بني الإنسان، وأن يعملوا على تحقيقه في أنفسهم ونشره في الناس، والدفاع عنه أو الجهاد في سبيله، حى يصبح هو المبدأ الأعلي المحكمّ في حياة الناس.

● وإنما كان شان هذا المبدأ الإسلامي كذلك، متفردا بين المبادئ لأسباب عديدة نذكر منها ما يلي:

ـ أنه من عند الله، رب الناس وملك الناس وإله الناس، الذي شرع لهم ما يصلحهم في حياتهم الدنيا وما يضمن لهم الفوز برضاه في حياتهم الآخرة.

ـ ونسبة هذا المبدأ إلى الله وصدوره منه سبحانه ورفضه لأي دين سواه ووصفه له بأنه الدين القيم وبأنه دين الله ودين الحق كل ذلك يقطع ببراءته من كل عيب وبالثقة فيه وفي كل ما جاء به.

ـ وقد تفرد هذا المبدأ بالكمال؛ لأنه من عند الله، وكل مبدأ يضعه الناس

ليلتزموا به لن يكون على درجة الكمال بحيث يكون بريئا من العيوب أو موثوقا به؛ لأنه من وضع الإنسان، والإنسان بحكم فطرته لا يستطيع أن يأتي بالكمال في شيء من الأشياء، إذ الكمال لله وحده.

ـ ولقد عاشت البشرية حياتها على تلك الأرض تتنكر لما يجيء به الأنبياء والرسل، ولا يؤمن به إلا القليل من الناس، محاولة من خلال قادتها ومفكريها والمنشغلين بالإصلاح فيها أن يضعوا لها مبدأ صحيحاً جديراً بالثقة، ولكنها فشلت في ذلك فشلا ذريعاً، ابتداء من أحلام أفلاطون بمدينة فاضلة أو سعيدة «يوتوبيا» وانتهاء بأحلام النظام العالمي الجديد الذي دعت إليه الولايات المتحدة الأمريكية في تسعينيات هذا القرن الميلادي العشرين.

ـ عجزت تلك الأحلام الأفلاطونية، وسوف تعجز، بل عجزت فعلا هذه الأحلام الأمريكية عن أن تكون مبدأ صحيحا موثوقا به يقبل عليه الناس بمحض إرادتهم لا بجرهم إليه رغيف الخبز وقطعة السلاح والترهيب والتخويف بالحصار الاقتصادي، والحصار الجوي ـ كما هو الشأن مع ليبيا كلها وشمال العراق وجنوبه، والغزو المسلح: الفوكلاند وهاييتي، والاختطاف والقرصنة كما كان الحال مع «نرويجا»!!!

ـ وقلما تجد مؤمنا بهذه المبادئ التي يضعها الناس للناس، إيمانا يدفعه إلى نشر المبدأ والدفاع عنه والتضحية في سبيله وتحمل أعباء الجهاد من أجله إلا أن يكون الإنسان راغبا في نفع دنيوي أو راهبا من عقاب دنيوي أيضا.

ومعنى ذلك أن هذا المبدأ لا ثقة فيه ولا براءة له من عيوب المنافع الدنيوية التي لو حرم منها تهددت حياته وتعرضت للغزو أو الخطف أو الحصار

ـ وعلى العكس من ذلك تماما المبادئ الدينية يهودية كانت أو مسيحية أو إسلامية؛ فإنها تدفع الناس إلى الإيمان بها والثقة فيها والدفاع عنها والتضحية في سبيلها، بل إلى الاستشهاد من أجلها.

والتاريخ الإنساني حافل بصور البطولة في التضحية من أجل المبدأ، ولو شئنا

أن نضرب الأمثال لاتسع بنا الحديث، ولكن نكتفي ببعض الشواهد والأمثال:

- ليست قصة أصحاب الأخدود إلا صورة من صور البطولة والتضحية بالنفس من أجل المبدأ الديني الذي آمنوا به: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٤ - ٩].

- روى البخاري بسنده عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُرْدَةً له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتي بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه».

- تلك صورة من صور الصبر على المبادئ الدينية عموما، الديانات التي بقيت صحيحة كالإسلام ؛ لأن الله تعالى تكفل بحفظه، والتي عبث بها العابثون وحرفها المحرفون كاليهودية والنصرانية.

- ولقد ضرب المسلمون في التمسك بدينهم والصبر على ما يصيبهم من أجله أروع الأمثال.

فعذب منهم من عذب وقتل من قتل وطرد من بلده من طرد، ولقد كانت رموز هذا الصبر والتحمل منذ بواكير الدعوة ياسر وسمية وبلال وصهيب رضي الله تعالى عنهم علامات بارزه في طريق الدعوة والدعاة.

وما خلا قرن من القرون من معذبين وشهداء من أجله هذا المبدأ العظيم الذي آمنوا به وهو دين الإسلام، واستمر ذلك إلى يوم الناس هذا.

- وإن كان لا بد من مثل على هذا في عصرنا هذا فهو هيئة الإخوان المسلمين التي قدمت في سبيل التمسك بدينها ومبدئها عشرات الضحايا من الشهداء

ومئات بل ألوفا من الذي عذبوا وشردوا وضيق عليهم في العيش، واضطروا إلى هجر ديارهم وأوطانهم وأموالهم وما يحبون.

وكان ذلك في حكم أنظمة عديدة اختلفت مشاربها وتوجهاتها، ولكنها اتفقت على حرب الدعاة إلى الله والقعود لهم بكل مرصد، ابتداء من الملك فاروق والدمى الذي كان يحركها الإنجليز ويطلق عليها اسم حكومات ووزراء، ومرورا بطغاة الانقلاب العسكري في مصر سنة ١٩٥٢م الذين زعموا أنهم وطنيون فأرعبوا وأرهبوا وأفسدوا الوطن والمواطنين، ثم اتضح أنهم كانوا أيضا دمى في أيدى الغرب حينا وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي أحيانا يحركهم ضد الإسلام والمسلمين وضد أوطانهم كما يشاء. وسوف يكشف الغد القريب كثيراً من الحقائق التي يحاول تجاهلها أو طمسها من لا يزالون يعيشون على الانتفاع من هذا الانقلاب.

● هذا المبدأ الصحيح ؛ لأنه من عند الله المبرأ من كل عيب الموثوق بصحة نسبته إلى الله تعالى هو الذي جعل المسلمين يؤمنون به ويعملون على نشره في الناس، ويضحون في سبيله بكل ما يمكن التضحية به.

هذا المبدأ هو الإسلام هو: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من قول الرسول ﷺ وفعله وتقريره. القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي يهدي للتي هي أقوم، والذي هو غير ذي عوج.

والسنة النبوية المطهرة التي هي وحي يوحى لا ينطق صاحبها ﷺ فيها عن الهوى، والتي شرحت القرآن وفصلته واضافت إليه.

هذا المبدأ الصحيح هو الذي يستحق الجهاد من أجله والتضحية في سبيله بالمال والنفس.

**٢- سلامة هذا المبدأ:**

● ومعنى ذلك سلامته من الخلل بنوعيه الظاهر والباطن، أي أنه سليم من أي

خلل في شكله ومظهره، وفي تنظيمه وجوهره، وسليم في اشتماله على ما يصلح الدنيا والآخرة، وليست هذه السلامة لمبدأ غير مبدأ الإسلام.

● وسلامة المبدأ من الخلل، تعني عند التفصيل ما يلي:

- أنه شامل لكل ما يحتاج إليه الإنسان في دنياه وآخرته من نظم وأحكام وأخلاق وآداب.

- وأنه متكامل تحتاج مفرداته بعضها إلى بعض ولا يغني بعضها عن بعض، ولابد منها جميعا لتستقيم بها الحياة.

- وأنه مرن يتسع للتعامل مع المتغيرات والمستجدات ويستطيع أن يواكبها أو يغيرها أو يقاومها عند اللزوم.

- وأنه لا يتجاهل جانبا من جوانب حياة الإنسان فرداً رجلاً أو امرأة كبيرا أو صغيرا، وأسرة وجماعة ومجتمعا ودولة وأمة وعالما إنسانيا بأسره، وإنما يعالج كل جانب من هذه الجوانب بما يحقق للإنسان سعادة الدنيا والآخرة.

- وأنه مبدأ يعترف بالآخر، وبما يعتقده، ويعطيه من الحقوق الإنسانية ما يمكنه من ممارسة حياة كريمة في ظل الدولة المسلمة، طالما هو ملتزم باحترام قيم هذه الدولة غير مجاهر بشيء يسيء إليها.

- وأنه مبدأ يحترم السلام ولكنه لا يمنع الحرب إذا دعت إليها ضرورة، وأن حربه لا تتجاهل القيم الإنسانية العامة مع الأعداء أو أسراهم وقتلاهم، لا كما تفعل الصهيونية والصليبية الحديثة في التنكر عند الحرب لكل قيمة إنسانية والتعامل مع الأسرى والقتلى بوحشية وحيوانية ضارية على الرغم من توقيعهم على المواثيق الدولية الخاصة بحقوق الإنسان في السلم والحرب!!!

● وانظر في ذلك ما يلي:

- ما فعلته أمريكا في هيروشيما وناجازاكي في الحرب العالمية الثانية.

- وما فعلته في ڤيتنام، وشيلي، ونيكاراجوا، فقد أسقطت حاكم شيلي

المنتخب ديموقراطيا؛ لأنه كان شيوعيا آنذاك، وحيث قبضت على «نرويجا» من بلده بنما وكان هو الحاكم لها آنذاك وحاكمته وسجنته في أمريكا نفسها.

- وما فعله النظام العالمي الجديد بقيادة أمريكا في حرب عاصفة الصحراء، وما فعلته في الصومال، وما فعلته في هاييتي.

- وما فعلته فرنسا في الصين وحرب الأفيون.

- وما فعلته هولندا في أندونيسيا.

- وما فعلته بريطانيا في الهند ومصر - ودنشواي بالتحديد - وما فعلته في السودان، وفي الفوكلاند.

- وما فعله ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي في مجاهل سيبيريا، وفي الولايات الإسلامية التي اغتصبها وضمها إلى رقعتها السياسية.

- وما فعلته الصين في عهد طاغيتها «ماو» وما لا تزال تفعله في أعداء نظامها.

- وما فعلته هيئة الأمم ومجلس أمنها مع مسلمي البوسنة حيث حظرت عليها شراء السلاح، وترك الصرب والكروات يبيدون المسلمين إبادة ويسحقونهم سحقا حتى زاد عدد القتلى عن مائتي ألف قتيل، وهتكت أعراض النساء بالاغتصاب، بتلقيح أرحامهن بأجنة الكلاب، وشرد الأطفال وبيعوا بيع العبيد ولا يزال أمر مسلمي البوسنة أكبر دليل على وحشية الغرب وخروجه على كل القيم الإنسانية!!

- وما تفعله حكومات بعض دول العالم الثالث عربية ومسلمة ومسيحية ووثنية من إهدار لحقوق الإنسان.

- وما فعلته ولا تزال تفعله إسرائيل من عدوان وحشي منكر على البلدان العربية التي تحيط بها، وكيف تعامل المعتقلين وتدفنهم أحياء أو تكسر عظامهم، وتحصدهم حصدا وهم يؤدون الصلاة في الحرم الإبراهيمي!!!

● إن معظم هذه الدول «أمريكا والصين وبريطانيا وفرنسا وروسيا» من الدول

التي لها حق نسف أي قرار يصدر من هيئة الامم؛ لأن لها حق الاعتراض على أي قرار!!!

● إن مقارنة المبدأ الإسلامي في أثناء السلم والحرب بهذه المبادئ الورقية الهشة، لتؤكد سلامة المبدأ الإسلامي من أي خلل يتعرض به الإنسان لأي نوع من أنواع الظلم والاضطهاد.

هذا هو المبدأ الإسلامي الإنساني الذي يستحق أن يجاهد أبناؤه في سبيله.

### ٣- ملاءمة المبدأ لفطرة الإنسان:

من تكملة صفات المبدأ الصحيح السليم أن يكون ملائما لفطرة الإنسان، قادرا على الاستجابة لمطالب هذه الفطرة، وهي مطالب الروح والعقل والبدن.

● فالروح في حاجة إلى الإيمان بخالق رازق هو الذي يحي ويميت وإليه المرجع وهو المحاسب المجازي، فتلك فطرة الروح التي فطر الله الإنسان عليها.

● وليس كدين الإسلام دين أشبع مطالب الروح، وغمرها بالرضا وعمرها بالإيمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وعلمها كيف تصفو من الشوائب بأداء الفرائض وكيف تزكو بالنوافل وكيف تسعى في الطريق إلى الله بالأذكار والأوراد وتلاوة القرآن الكريم.

● والعقل بحاجة إلى التأمل والتدبر والنظر والاقتناع بما يحيط به من منهج ونظام وناس وأشياء، ويرغب في الاستفادة مما قدمته البشرية في موكبها الطويل لهذا الإنسان من فائدة. إن تلك فطرة العقل.

● وليس كالمبدأ الإسلامي مبدأ يشبع كل هذا الحاجات، فآيات القرآن الكريم التي تشجع العقل على النظر والتأمل والتدبر والسير في الأرض، بل التي تأمره بذلك، كثيرة جدا، نذكر قليلا منها على سبيل الاستشهاد فيما يلي:

- قال الله تعالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾.

[آل عمران: ١٣٧]

وقال: ﴿ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾.

[الانعام: ١١]

وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾.

[الحج: ٤٦]

وقال: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾.

[ص: ٢٩]

● وهكذا يستجيب المبدأ الإسلامي لحاجات العقل المشروعة دون أن يجمح أو يشتط فيفتن به صاحبه، ودون أن يكسل ويخجل فيسقط في أسن التقليد والتبعية على نحو ما قال بعض الغافلين فيما يحكي عنهم القرآن الكريم: ﴿ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [المائدة: ١٠٤]. أو فيما يحكى عن بعضهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

● والبدن بحاجة إلى أن يعبر عن حاجته ويشبعها، وأهم حاجاته كما جاء على لسان المعصوم ﷺ: شهوة البطن والفرج، وتليها حاجات الملبس والمسكن والترويح ونحوها.

● وهذه الحاجات منها الضروري ومنها الحاجي ومنها التحسيني، على نحو ما أوضحنا آنفا، وجميعها تعد من حقوق البدن أو من حقوق الإنسان غير أن الإنسان لو ترك يحقق هذه الحاجات كما يهوى؛ فإن مطامعه لن تقف عند حد معقول، حتى إنه وهو يمارس التعبير عن هذه الحاجات قد يضر نفسه أو غيره من الناس عن طريق الإسراف في تناول هذه الحاجات أو الاختيال بها، أو التقتير فيها.

● وقد حاول الإنسان على مر تاريخه، وحاول المفكرون والساسة أن يلائموا بين حاجات الإنسان البدنية المادية وحاجات غيره من الناس، حتى لا يحدث صراع في تصادم الرغبات لتحقيق الحاجات بين الناس، فما وفقوا في إحداث هذه الملاءمة إلا قليلا!!!

● وما يقال عن الحاجات المادية والبدنية للإنسان، يقال كذلك عن الجماعات والدول، حيث تحرص كل جماعة أو كل دولة على أن تحقق لنفسها حاجاتها المادية، ومن هنا يحدث الصراع بينها عندما تتصادم الرغبات في الحصول على تلك الحاجات وهي لا بد حادثة، وتقوم الحروب المدمرة للإنسان وما حول الإنسان.

● وما يفتش أحد عن أسباب هذه الحروب صغيرة أو كبيرة إلا ويجد من ورائها تصادم الحاجات وتصارع الرغبات في الحصول عليها، غير أن هذه الحاجات للدول كثيرة ومتنوعة، وقد تكون أرضا أو ثروة أو ممرا بريا أو بحريا أو نحو ذلك.

● ولم تستطع البشرية أن توقف هذه الصراعات ولا أن تمنع تلك الحروب مع محاولاتها العديدة، من المعاهدات والمصالحات وعصبة الأمم وهيئة الأمم ومجلس الأمن..

● والمبدأ الصحيح السليم الملائم لحاجات البشر، هو وحده القادر على وضع حد لهذه المصادمات والصراعات، بما يلزم به أفراده من قيم تحرم الظلم والطمع والتطلع لما في أيدى الغير، وذلك هو الإسلام ومنهجه ونظامه، الذي يرسم لهذه الحاجات إطاراً تعبر عن نفسها في داخله هو إطار الاعتدال واحترام حقوق الآخرين في أن يعبروا عن حاجاتهم.

● إن المبدأ الإسلامي لم يقف من حاجات البدن موقف من يتجاهل الفطرة التي فطر الله الناس عليها ـ كما فعلت بعض النظم التي سحقت البدن وحرمته من كثير من مطالبه، واعتبرت بعض حاجاته رجسا ودنسا، أو كما فعلت بعض النظم التي أطلقت لشهوات البدن العنان حتى أباحت شرب الخمر والزنا واللواط والسحاق وتزوج الإنسان من البهيمة، وجعلت الإسراف في الطعام كما ونوعا أحد همومها الكبار!!!

لم يفعل الإسلام ذلك وإنما اعترف لهذا الدين بحاجاته وبحقه في التعبير عنها وتحقيقها دون إسراف أو مخيلة، في ظل شرعية تحل للإنسان كل ما يصلح دينه ودنياه، وتحرم عليه كل ما يفسد دينه ودنياه.

● إن الحلال والحرام بمفهومها الواسع هما الترجمة الحقيقية لكل حاجات الإنسان، الروحية والعقلية والبدنية والاجتماعية والسياسية، وما يفشل الإنسان في تحقيق مشروع لكل حاجاته أو لبعضها إلا إذا خرج عن دائرة ما أحلّ الله وما حرّم.

## ٤- قدرة المبدأ على التعامل مع المستجدات:

المتغيرات والمستجدات في حياة الإنسان كثيرة ومستمرة طالما هو حي يرزق، وهي تتأثر تأثراً كبيراً بتغير الزمان وتغير المكان ـ أي البيئة التي يعيش فيها الإنسان والظروف المحيطة به، ـ وكل ذلك في تغير مستمر ـ والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم كما يقال.

● وتغير الإنسان في نفسه وعقله وبدنه ومشاعره، بل تغيره في إيمانه وكفره، أمر اعترفت به نصوص القرآن الكريم، وجعل التغير سببا في تغير نعم الله على الناس، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

[الرعد: ١١]

وقال جل شانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الانفال: ٥٣].

● وعلى قدر تغير الناس من الخير إلى الشر، ومن الفطرة التي فطرهم الله عليها إلى الإنحراف عنها يكون تغيير الله لنعمه عليهم من حسن إلى سيء.

وما دامت نفس الإنسان ومشاعره في تغير، فإن ما يحيط به لا بد أن يكون في تغير كذلك، تلك مسلمات لا تحتاج إلى أدلة أو أسانيد.

● والمبدأ الصحيح السليم الملائم لفطرة الناس هو القادر بهذه الميزات على أن يواكب المتغيرات ويتعامل مع المستجدات مع احتفاظه بأصالته ومحافظته على صالح الإنسان في دنياه وآخرته، مع قدرته على تعديل ما ينافي هذه المصالح.

● والإسلام بما فيه من ثوابت كالعقائد والعبادات والأخلاق يستطيع أن يواجه المتغيرات وأن يروزها ويقبل منها مالا يتعارض مع ثوابته ويرد ما عداه.

وعندما يجد الإسلام مستجداً في حياة الناس لا يخل بشيء من هذه الثوابت ويراه محققا لإحدى مصالح الناس؛ فإنه يقبل هذا المستجد يتبناه ويجعله مصلحة مرسلة للناس، أو يجد في الأخذ به سدا لذريعة من الذرائع ودفعا للشر.

● والقدرة على مواكبة المستجدات أو مواجهتها، تؤكد ما في مبدأ الإسلام من مرونة وسعة، و تلك المرونة وهذه السعة هي التي جعلت من الإسلام دينا صالحا لكل زمان ومكان، وقادراً على مواكبة المتغيرات، وقبولها أو رفضها.

● وإذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يمثلان المرجعية العليا لكل لما اشتمل عليه الإسلام من نظم وأحكام وأخلاق وآداب فإن هذين الأصلين الكبيرين ـ الكتاب والسنة ـ هما اللذان فتحا أمام فقهاء المسلمين وعلمائهم باب الإجماع[1] والقياس والاجتهاد والمصالح المرسلة وسد الذرائع؛ ليجعلا من هذا الباب أوسع الأبواب في تقبل المستجدات في حياة الناس أو رفضها وفق الشروط التي يعرفها علماء المسلمين، والتي أهمها ألا يتعارض شيء من هذه المستجدات مع شيء من الإسلام مما هو في القرآن الكريم أو في السنة النبوية المطهرة أو مع شيء مما أجمع عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

وليست هذه المرونة إلا دليلا قاطعا وعمليا على أن الإسلام هو دين الحياة في أحسن صورها تجددا وأقدرها على تحقيق مصالح الإنسان.

● ومن أجل ذلك نقول مطمئنين:

إن الدعوة إلى الله تقوم على أسس ركينة وأصيلة من المبدأ الصحيح السليم القادر على التلاؤم مع الفطرة الإنسانية القادر على مواجهة المستجدات بالقبول المشروع أو الرفض المشروع كذلك.

وكذلك كان يفقه الإمام حسن البنا قيمة المبدأ الذي تقوم عليه هيئة الإخوان

---

(١) على اعتبار أن الإجماع ليس هو إجماع الصحابة رضي الله عنهم وحدهم، إنمايتسع ليشمل إجماع علماء المسلمين في أي عصر على أمر من الأمور.

المسلمين، ويعلم عليم اليقين أن هذا المبدأ أو تلك الدعوة تحتاج إلى جهاد من كل نوع ليحميها حتى تبلغ الناس جميعا، ويدافع عنها ضد أعداء حقيقيين وآخرين متربصين لا يعلمهم إلا الله. ومن أجل ذلك قال: ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد.

● وهذا الجهاد ليس كلاما يقال ولا خطبا تلهب الحماس، ولكنه عمل وتنفيذ يسبقه فكر وتخطيط، ومع هذا وذاك لا بُدَّ من الرجال المؤمنين بهذا المبدأ الذين يتميزون بصفات الإخلاص والتضحية وما إليها من صفات.

فماذا عن هؤلاء الرجال المؤمنين بهذا المبدأ؟.

* * *

## ثانيا: الرجال الذي يؤمنون بهذا المبدأ، وصفاتهم

كل مبدأ مهما كان شريفا عالي المكانة، يستجمع من الأسس أحسنها وأبقاها وأقواها، ومهما كان لدى هذا المبدأ من قدرات على تحقيق مصالح الناس في دنياهم وأخراهم؛ فإنه قد لا يستطيع شيئا بذاته وإنما يستطيع برجاله المؤمنين به.

● إن هؤلاء الرجال المؤمنين هم الذين يتم على أيديهم إخراج المبدأ من النظرية إلى التطبيق، ومن القول إلى العمل، وبغير هؤلاء الرجال يظل المبدأ حلما لا حقيقة وخيالاً لا نصيب له من الواقع.

● هؤلاء الرجال المؤمنون بهذا المبدأ العظيم، ما صفاتهم التي تؤهلهم لإخراج المبدأ من النظرية إلى التطبيق؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه بتحديد ابرز هذه الصفات والله المستعان.

وإجمال هذه الصفات في إيمان هؤلاء الرجال بهذا المبدأ، وتجاوبهم مع متطلبات هذا المبدأ، وثباتهم عليه وتجردهم له، وتواصيهم فيما بينهم بالحق والصبر في أخوة في الله.

● وتفصيل هذا الإجمال فيما يلي:

### أ ـ الإيمان الصحيح السليم بهذا المبدأ:

إن الرجال الذين ينقصهم الإيمان الصحيح السليم من كل عيب من عيوب الإيمان، كالنفاق، والتردد، والنفعية وعدم الاستمرارية، لا يستطيعون أن يقدموا للمبدأ شيئا، ولا يقدرون على إخراجه من حيز النظرية إلى حيز التنفيذ.

إن إيمانهم يجب أن يكون خالصا لله تعالى مقصوداً به وجهه الكريم بعيد عن الرياء والنفاق.

● ولا يكمل الإيمان إلا إذا كان صاحبه بعيدا عن التردد، وما يجره هذا التردد من إحجام عند وجوب الإقدام، وإمساك عند وجوب العطاء، وتخاذل وكزازة عند

وجوب التضحيات.

● هذا الإيمان يجب أن يكون بعيدا عن النفعية والبحث عن المكاسب المادية، وتوظيف هذا الإيمان توظيفا يرضي الله تبارك وتعالى.

● ويجب أن يكون كالنبع الفياض الذي لا يتوقف عن العطاء، وليس يقبل إيمان اليوم وكفر في الغد، أو الإيمان وجه النهار والكفر آخره؛ لأن ذلك كالإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض وذلك غير مقبول بحال.

● وسلامة الإيمان من الخلل شرط أساسي في الرجال المؤمنين بهذا المبدأ، سلامة إيمانهم من أي خلل ظاهري أو باطني، فلا ينبغي أن يختل إيمانهم في ظاهره فيبدوا عليهم سلبية أو قعود عن أداء الواجبات الإيمانية العديدة كالصلاح والوقار والبعد عن الشبهات، والإسراع إلى فعل الخير وإغاثة الملهوف وارتياد المساجد ونحو ذلك من صفات المؤمنين التي تشهد لأصحابها بالإيمان.

وأن يسلم إيمان هؤلاء الرجال من الخلل الباطن، وهو الشك أو التردد في مصداقية أي عنصر من عناصر الإيمان، أو أن يصغي السمع إلى وسوسات شياطين الإنس والجن، ومن يزينون إليه الدنيا ويبغضون إليه الموت والآخرة.

ومن الخلل الباطن في الإيمان تلك الأنواع من الشرك الخفي الذي يقع فيه بعض الناس عندما يستوي لديهم ما عند الله وما عند الناس.

ومن الخلل الباطن في الإيمان الاعتماد على غير الله، والتوكل على سواه سبحانه وتعالى، والتماس النفع أو الرّزق من غيره.

ومن الخلل الباطن في الإيمان أن تنطوي نفس المؤمن على ظلم لأحد، أو حقد على أحد أو حسده أو كراهيته، فكل ذلك مما يخل بالإيمان من داخله.

ومن الخلل الباطن في الإيمان ألا تحدث الإنسان نفسه بالغزو في سبيل الله عندما لا تتاح له المشاركة الفعلية في الغزو. وهكذا فإن سلامة الإيمان من ظاهره وباطنه صفة أساسية في الرجال المؤمنين بهذا المبدأ العظيم.

## ب ـ وتجاوب الرجال المؤمنين مع المبدأ:

هذا التجاوب ليس تجاوبا قلبيا عاطفيا فحسب، وإنما هو تجاوب قلبي عملي، كما أنه ليس تجاوبا فكريا عقليا فحسب، ولكنه تجاوب يترجم الفكر إلى عمل وسلوك.

هذا التجاوب في اختصار هو أن يسيطر المبدأ على الرجال بحيث تخضع أعمالهم كلها، وسلوكهم الاجتماعي نحو الناس مسلمين وغير مسلمين لما تضمنه هذا المبدأ من قيم.

● إن أي مبدأ مهما كانت قيمه عالية سامية، ليست له فاعلية في الحياة حتى يجد من المؤمنين به من يطبقونه، ويخرجونه من النظرية إلى العمل، إن هذا يؤكد مصداقية الرجال المؤمنين بقدر ما يدل على صدق المبدأ وسلامته إذ وجد من الرجال من يؤمنون به هذا الإيمان العملي.

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك أروع الأمثال؛ فكان الواحد منهم إذا نزل التشريع بشيء بادر إلى الاستجابة مهما كانت هذه الاستجابة مكلفة، تجاوبا منه مع المبدأ الذي آمن به.

● إن الاستقامة على هذا الدين العظيم والمبادرة إلى تطبيقه مطلب قرآني، فقد قال الله تعالى: مخاطبا نبيه ﷺ ـ والخطاب موجه كذلك إلى الأمة الإسلامية كلها ـ ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٢، ١١٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية، ولهذا قال ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها»[١]

---

(١) الفخر الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: ١٨/ ٥٧ط دار الكتب العلمية بيروت دون تاريخ.

● ومعنى هذا التجاوب أن يبادر المؤمن إلى تطبيق المبدأ دون إبطاء أو تمهل، فقد وجبت هذه المبادرة إلى عمل الخير عموما في السنة النبوية المطهرة.

- روى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرا منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدا أو هرما مفندًا أو موتا مجهزًا، أو الدجال شر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمَرّ».**

● وهذه المبادرة إلى التجاوب مع المبدأ التي كانت صفة أساسية في صحابة النبي ﷺ، وهي صفات نستطيع أن نضرب عليها عشرات الأمثال بل مئاتها.

● لقد ظلت صفة المبادرة والتجاوب في صالحي المؤمنين حتى يومنا هذا، وذلك أن الإيمان إذا تغلل في القلب والعقل، تحركت به الجوارح، وإلا لم يكن صحيحا، فقد أخبر بذلك المعصوم ﷺ في عدد من الأحاديث النبوية، وجاءت في عشرات الآيات القرآنية الكريمة، وهي الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي قرن فيه العلم الصالح بالإيمان.

● ولا يُظهر قيمة المبدأ وصحته وسلامته شيء مثل أن يطبقه المؤمنون، فيحققون من وراء هذا التطبيق صالح الدنيا والآخرة، يحققون الاستقامة كما أُمروا ﴿**فاستقم كما أمرت**﴾ وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: «يأمر تعالى رسوله ﷺ وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء، ومخالفة الأضداد، ونهي عن الطغيان وهو البغي؛ فإنه مَصْرعه حتى ولو كان على مشرك...»

● ولقد ضرب «الإخوان المسلمون» المثل في قوة التجاوب مع الدعوة وبسرعة المبادرة في مواقف عديدة معروفة نشير منها إلى ما يلي:

- في تأسيس معظم الشعب التي كانت تفتحها الجماعة لتكون مقرا للعمل الإسلامي الشامل، ابتداء من رياضة الأجسام بالتربية البدنية وانتهاء برياضة الأرواح

بالكتائب[1] والعبادات والأذكار والأوراد، وفي شراء المركز العام للجماعة.

- وفي المبادرة إلى التطوع بالمال والجهد والوقت في التعاون والتكافل في رعاية اليتامى والأرامل وسائر أنواع البر والخدمة الاجتماعية.

- وفي المبادرة إلى حرب اليهود المعتدين على فلسطين عام ١٩٤٨م حيث قدموا البطولات والشهداء.

- وفي المبادرة إلى حرب الإنجليز المحتلين لمصر، في قناة السويس سنة ١٩٥١م، حيث قدموا بطولات وشهداء أيضا.

- وفي دعم حرب الأفغان للشيوعية ماديا ومعنويا، حتى تخلصت أفغانستان من هذا الكابوس، بعد سنوات مريرة عديدة من الجهد والجهاد، والاستشهاد في سبيل الله.

- وفي دعم مسلمي البوسنة الذين تحالف ضدهم الصرب يقتلونهم ويبيدونهم مع أن سائر دول العالم تحرم المسلمين من التسلح وتحظر على دول العالم أن تبيع لهم السلاح، عالم عجيب يؤيد المعتدي ويمنع الضحية من حق الدفاع عن النفس، إنها أسوء صفحة في تاريخ العالم الذي يدعي التمدن ويزعم أنه يحمي حقوق الإنسان!!

- وفي مجالات عديدة لمساعدة حركة التحرير، والتخلص من القوى المحتلة لبلاده مما لا يحبون أن يتحدثوا عنه؛ لأنهم يقدمونه؛ إيماناً بالمبدأ وتجاوبا مع متطلبات هذا الإيمان.

● وهكذا كان، وسوف يظل بإذن الله تجاوب المسلمين مع المبدأ السامي الذي آمنوا به، وتجاوبوا معه وبادروا إلى الأعمال الصالحة.

وكل هذا جهاد متعدد الأنواع لا تحيا دعوة الله إلا به، كما قال الإمام حسن البنا رحمه الله.

(١) الكتيبة مصطلح عند الإخوان يعني اجتماعًا ليليًّا حتى الفجر على الذكر والعبادة - وانظر تفصيل ذلك في كتابنا وسائل التربية عند الإخوان المسلمين.

### جـ ـ وثبات الرجال على المبدأ وتجردهم له.

وتلك من الصفات الرئيسية للرجال أصحاب المبادئ، وذلك أن الثبات على المبدأ يعني الاقتناع الشديد به، والإيمان العميق بما جاء فيه، وكلما كان المبدأ الذي يؤمن به الرجال له أعداء يضعون أمامه العقبات والعراقيل، ويتحدون المؤمنين به كلما كان ثبات الرجال على مبدءهم أدل على إيمانهم ورجوليتهم، فما بالنا والمبدأ هنا هو دين الله ودعوته، والأعداء هنا ـ كما أشرنا إليهم آنفا شكول وألوان من الصهيونية العالمية إلى الصليبية الحديثة إلى النظام العالمي الجديد إلى الغافلين الذاهلين المسلمين ـ إن الثبات على المبدأ في هذه الظروف يكون ألزم وأولى بالرجال المؤمنين.

● إن أعداء هذا المبدأ من المسلمين كثيرون نذكر منهم ما يلي:

ـ الذين يجهلون حقيقة الدعوة إلى الله، ويجهلون أهدافها وغاياتها ووسائلها، فيعزلون الإسلام عن الحياة هروبا من أن يكون الإسلام حكومة دينية وثيوقراطية؛ لأنهم يخلطون بين ما حدث في الغرب من استبداد الحكومة الدينية بالناس، وذلك الاستبداد الذي بلغ حد الحرمان من الجنة في الآخرة، حد مصادرة الأملاك في الدنيا.

● مع أن الإسلام بريء من كل ذلك فلا يعرف مصطلح: «رجال الدين» ولا يعطي لأحد حق حرمان أحد من الجنة، ولا يسمح لأحد أن يعمل الخطيئة يستره الله فإذا أصبح قال: فعلت وفعلتُ أو يعترف بها أمام رجل مثله ليغفر له ذنبه!!!

● إن هؤلاء من المسلمين الذين اختلط عليهم الحق بالباطل، وأخذوا بما كان سائداً في أوربا في عصور ظلامها وظلم الكنيسة لها!!!

● وعلى الدعاة إلى الله أن يثبتوا في مواجهة هذه الموجة العاتية وأن يوضحوا الحق ويحسنوا عرض الإسلام الحق، وأن يزدادوا إيمانا بأنهم هم على الحق مهما كان أعداء الإسلام هم الأقوى.

ـ وطائفة أخرى من المسلمين تعادي الإسلام وإن لم تصرح بذلك أو تتهم

الإسلام بما ليس فيه، هذه الطائفة هم الحكام الذين يحكمون الناس بغير ما أنزل الله، محكمين في الناس قوانين وضعية خطؤها أكثر من صوابها، تمكنهم من رقاب الناس وأموالهم دون حسيب أو رقيب.

● هؤلاء يحاربون الإسلام، ويضعون أمام دعاته المعوقات والعراقيل، ويضطهدون الدعاة، ويحظرون كل توجه سياسي إسلامي يردون فيه خطرا على سلطانهم وتحكمهم في البلاد والعباد!!!

● والدعاة إلى الله مطالبون بان يثبتوا أمام هذه الهجمات وألا تهولهم التضحيات مهما بلغت، فتلك سنة الله في المؤمنين من أصحاب الدعوات الصادقين الثابتين على الحق، قال الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

- والأعداء الذين يحاربون الإسلام ممن تحدثنا عنهم آنفاً من الصهيونية العالمية والصليبية الحديثة والنظام العالمي الجديد الذي يحارب من أجل الديمقراطية في هاييتي ويحارب الديموقراطية في الجزائر.

ولقد صرح وزير دفاع الولايات المتحدة الأمريكية أو وزير النظام العالمي الجديد: «ويليام بري» بأن أمريكا سوف تستخدم القوة العسكرية في ثلاث حالات فقط هي:

- ضمان أمن كوريا الجنوبية (أي ضد أبناء الشعب الكوري في كوريا الشمالية)!!!.

- ضمان أمن إسرائيل. (أي ضد العالم العربي كله)!!!

- وتدفق البترول في منطقة الشرق الأوسط. (أي ضد أصحاب البترول

الحقيقيين)[1].

هكذا يصرح وزير الولايات المتحدة الأمريكية دون حياء أو مواربة، ثم يتحدث بعض الحكام العرب والمسلمين عن أمريكا قائلين: إنها الدولة الصديقة مؤيدين النظام العالمي الجديد، ويعيشون سعداء راضين بعضويتهم في هيئة الأمم المتحدة التي تحولت هيئة الولايات المتحدة الأمريكية، والتي أجادت الكيل بمكيالين وإضمار كل أنواع الشر والحقد للإسلام والمسلمين، وبحسبنا على ذلك من الأدلة:

- تعاملها مع إسرائيل والعرب.

- وتعاملها مع الصرب ومسلمي البوسنة.

- وتعاملها مع الحركات الإسلامية في كل مكان.

- وما تقدمه أمريكا من دعم لكل حكومة تعادي الإسلام والمسلمين.

- وما تصاب به هيئة الأمم المتحدة ومجلس أمنها من عجز عن أن تلتزم إسرائيل بأي قرار واجب التنفيذ.

● إن على الدعاة إلى الله أن يثبتوا أمام هذا الظلم وهذا التحدي ولا يهولنهم هذا الباطل وأهله وقضه وقضيضه ؛ فإنه ما دام باطلا فإن دولته ساعة، والذي سبب الأسباب لانهيار نصف الظلم فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي، قادر على أن يسبب الأسباب لانهيار النصف الآخر، والله من ورائهم محيط. المهم أن يثبت الدعاة على الحق وأن يستعينوا بالله ويصبروا، يوقنوا بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين.

هذا عن الثبات...

أما التجرد للمبدأ - فهو قرين الثبات وقسمه - وهو يعني أن يكون الولاء لله

---

(١) جريدة الأهرام: العدد ٣٩٣٣٢ الصادر بالقاهرة في ٦ من ربيع الأول سنة ١٤١٥ هـ الموافق ١٤/ ٨/ ١٩٩٤م الصفحة الأولى الطبعة الأولى.

ولدينه ومنهجه ودعوته ونظامه، وألا يصاحب هذا الولاء ولا آخر لشخص أو مبدأ أو نظام.

● وإن هذا التجرد للمبدأ صفة جوهرية في الرجال المؤمنين، إذا ضم إلى الثبات علي المبدأ أنتج حصنا حصينا للمحافظة على الإسلام ودعوته، وأعطى نوعا من الاستعصاء على الذوبان في أي نظام أو منهج.

● إن عدداً من الغافلين يتصورون أنهم مسلمون إسلاما صحيحا مع أنهم غير متجردين لهذا الدين، وإنما يجمعون بين الإسلام وغيره من المذاهب والمبادئ والنظريات، كأنهم يجدون فيها ما لا يجدون في الإسلام!!!

وكان الإسلام - وقد أتمه الله وأكمله ورضيه للبشرية كلها دينا - يمكن أن يحل محله أو يوزايه منهج أو نظام!!!

● وإن التجرد للمبدأ يعني كذلك التجرد عن الأهواء والأغراض الشخصية، والرفض المطلق ؛لأن يكون لذلك شيء من ا لولاء، لما فيه من نفي للتجرد للمبدأ.

مع أن الجمع بين الولاء للإسلام وغيره نوع من الشرك الخفي نعوذ بالله منه ومن كل ما يؤدي إليه.

● ولقد ضرب المسلمون الأوائل أمثلة عالية في التجرد، وكان على رأسهم خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ الذي رفض عروض أهل مكة عليه ؛ ليكون ولاؤه لدينه يوما ولدينهم يوما، وهي عروض شديدة الإغراء على المستوى الشخصي، لكنه قال لهم كلمته الشهيرة: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما فعلت**».

لقد ساوموه ﷺ على ترك ما يدعو إليه فرفض وساوموه على ترك بعضه فرفض، وذلك هو التجرد[1] وهكذا ينبغي أن يكون سلوك المسلمين في

(١) التجرد له صلة وثيقة بقضية الولاء والبراء، وسوف نتحدث عنه بالتفصيل عندما نتحدث في الحلقة الخاصة بالتجرد بوصفه ركنا من أركان البيعة العشرة، إذا أذن الله وأعان.

تجردهم للمبدأ.

● ولقد ضربت الجماعة في التجرد أمثلة قد لا يعرفها كثير من الناس منذ كان الإمام البنا حيا وإلى ما بعد وفاته شهيدا بوقت غير قصير.

ولقد كانت هذه المساومات في تاريخ هيئة الإخوان المسلمين علامة بارزة على طريق التجرد لله ولدعوته، وقبول مزيد من الجهاد والتضحية، ورفض مغريات الدعة والراحة والمشاركة في الحكم!!

● ولقد ذكرنا آنفا كيف ساوم الانقلابيون العسكريون سنة ١٩٥٢م بمصر المرشد الثاني للجماعة على أن تشارك الجماعة بعدد من الوزراء فرفض لأن الدستور غير إسلامي، أي لا يمكن أن يجمع بين الإسلام ودستور غير إسلامي.

● ومن المعلوم أن هذا التجرد له ثمن دنيوي باهظ، وبخاصة إذا كانت الحكومات حكومات ظلم، ولكن التنازل عن التجرد إغضاب لله تعالى واستحقاق لعقابه، وشتان بين هذا وذاك عند الرجال المؤمنين.

● وإلى يوم الناس هذا، لا تزال الجماعة في مصر وفي غيرها تدفع من حريتهاوحرية أفرادها، بل حرية تعبيرها عن نفسها أبهظ الأثمان، وأفدحها دون أن تتخلى عن تجردها لدينها ودعوتها وبرنامجها الإصلاحي الذي يقوم على أسس إسلامية صحيحة، والذي نحاول أن نكشف عن أبعاده في هذه السلسلة: في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا.

وقد أشرنا إلى أطراف منه في هذه الحلقات الأربعة التي شرحنا فيها أربعة أركان من أركان البيعة العشرة، كما أوضحها الإمام حسن البنا في رسالة التعاليم.

وتتكامل صورة هذا الإصلاح باستكمالنا لشرح هذه الأركان وتحليلها، بعون الله وتوفيقه.

### د ـ والتواصي بالحق والصبر من أجل هذا المبدأ.

وتلك صفة في الرجال المؤمنين بالمبدأ الصحيح السليم، صفة مكملة لإيمان المؤمنين، إذ جرت سنة الله في المؤمنين أن يبتليهم حتى يعلم المجاهدين منهم والصابرين ويبلو أعمالهم، وعلمهم الله تعالى بأنه لن يتركهم يدعون الإيمان دون فتنة أو محنة تقوى إيمان المؤمنين وتصفيه من الشوائب، فقال تبارك وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

وقال جل شانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

• وما دام هذا البلاء والابتلاء من سنن الله تعالى؛ فإن أنفع ما يجب أن يقوم به الرجال المؤمنين هو: التواصي بالحق، أي أن يحث بعضهم بعضا عليه، وأن يتعاونوا ويتحابوا في سبيله ـ والحق هو الله تعالى أو هو توحيده سبحانه، أو هو القرآن الكريم أو هو الحق الذي ضد الباطل، وهو قريب المعنى مما ذكرنا.

• والمقصود من التواصي بالحق أن يوصي بعضهم بعضا بالثبات عليه أمام مغريات الباطل وأهله، بل أمام العقبات والمحن والفتن التي يبثها أهل الباطل في طريق الدعاة إلى الله.

• ويدخل في التواصي بالحق، التواصي بالاستمرار فيه وفي الدعوة إليه، وفي جمع القلوب والصفوف وشد أزر المؤمنين بعضهم لبعض، وكل ذلك مما يهون شدائد التمسك بالحق، ويخفف عن المؤمنين متاعبه، ويحملهم على الصبر على ما يصيبهم من أجله.

• ولقد كانت المحن التي تعرض لها الدعاة على مر التاريخ ولا تزال أكبر عون لمن جاء بعدهم من الدعاة على التمسك بالحق والمضي في طريقه والصبر على متاعبه، فقد ظلت هذه المحن والفتن علامة بارزة في طريق الدعوة وموكب الدعاة.

وأما التواصي بالصبر:

فهو مطلب قرآني في كل موقف للمسلم يكون فيه علي الحق ويحال بينه وبين ما يريد، بل إن الصبر هو العلاج لكل ما يتعرض له المسلم من نصب أو وَصَب.

● والتواصي بالصبر، بل الصبر نفسه في القرآن الكريم مقترن بمقامات الإيمان والإسلام واليقين والتوكل والشكر والرحمة والعمل الصالح عموما، وما ذلك إلا لأهمية الصبر وضرورته للمؤمن في كل حال.

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا** ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال جل شأنه: ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وقال: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر: ١٠].

- روى الإمام مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لجمع من الأنصار سألوه فأعطاهم: «**ما يكن من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاءً خيرا وأوسع من الصبر**» ورواه البخاري أيضا.

- روى الحاكم في مستدركه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما رزق الله عبدا خيراً له ولا أوسع من الصبر**».

- وروى ابن ماجة بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله**».

● والصبر هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المخالفة لما أمر الله به، ولما نهى عنه.

ويكون هذ الصبر على أحسن ما يكون إذا صبر الإنسان نفسه مع سنن الله تعالى في الحياة، وإذا صبر على كل ما أمر الله به وصبر عن كل ما نهى الله عنه.

وللإمام ابن تيمية رحمه الله كلمة في الصبر علي الطاعات يقول فيها: «الصبر

على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل؛ فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية».

● ومن سنن الله في الدعوة والدعاة أن يحدث التصدي والتحدي لهم وللدعوة، ومن سننه أيضا أن يطالب الدعاة بالصبر والاحتساب، وهو واجب بإجماع الأمة، وقد أمر الله تعالى بالصبر في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة**﴾ [البقرة: ١٥٣]، وأخبر سبحانه وتعالى بأنه يحب الصابرين، قال تعالى: ﴿**والله يحب الصابرين**﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وأخبر سبحانه بحسن جزاء الصبر عنه، فقال جل شأنه: ﴿**ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ [النحل: ٩٦].

● ولقد كان وما يزال التواصي بالصبر في تاريخ الدعوة الإسلامية منارا يهدي السائرين في درب العمل من أجل الإسلام، وقدضرب الأسلاف رحمهم الله في ذلك الصبر أروع الأمثال.

● وقد ضربت الجماعة في ذلك أمثلة رائعة في المحن التي تعرضت لها ولا تزال تتعرض في عديد من بلدان المسلمين، وقدموا الشهداء، وأنواعا من التضحيات، وما ضعفوا ولا استكانوا، والله سبحانه وتعالى يعلم حيث يجعل رسالته ودعوته ودعاته، ويصطفي لذلك من يشاء من عباده.

ولم يكن ما أصاب الجماعة من ضرر وهي تمارس الدعوة إلى الله شر للجماعة بحال، مهما قال بذلك بعض الذين لا ينظرون إلى الأمور بعمق، وإنما كان خيراً لها في دينها بل وفي دنياها إذا نظرنا إلى ذلك نظرة متعمقة.

وبعد فهذا ما قلته في الرجال عن المؤمنين بمبدأ الإسلام، وتلك صفاتهم الأساسية التي تدعم رجوليتهم وإيمانهم وتضحياتهم في سبيل الله تعالى وجهادهم الذي لا تحيا الدعوة إلا به والله حسبنا وهو نعم الوكيل.

## ٦- متطلبات الدعوة والجهاد في سبيل الله:

الدعوة إلى الله لها متطلبات كثيرة، وكلها من أنواع الجهاد في سبيل الله، وكلها لا تحيا الدعوة إلا بها، كما عبر عن ذلك الإمام حسن البنا رحمه الله، وكما ينبغي أن يتذكر ذلك دائما الذين يحملون أعباء الدعوة إلى الله.

● الدعوة إلى الله تطلب من رجالها جهودا وجهادا على المستوى الشخصي، وعلى المستوى العائلي، وعلى المستوى الاجتماعي، وجهادا على مستوى الجماعة، وعلى مستوى الأمة الإسلامية في العالم كله.

● وبغير هذا الجهاد لا تستطيع الدعوة أن تحيا فضلا عن أن تستمر، وتتخطى العقبات إلى أن تصل بالمسلمين إلى أن يحكموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

● ولقد نعلم إن الدعوة إلى الله مراحل يفضي بعضها إلى بعض ويواكب بعضها بعضا - ما تحدثنا عنه في بعض ما كتبنا[١] وهي:

التمهيد.

والتعريف.

والتكوين.

والتنفيذ.

والتمكين.

والاستمرار في التمكين أو المحافظة عليه.

● ومن أجل هذا كان الجهاد هو معامل النجاح والفلاح، بعد توفيق الله تعالى، في مجالات العمل من أجل الإسلام، ومن أجل هذا قال الإمام البنا كلمته: «ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد».

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، وفقه الدعوة الفردية، والمرأة المسلمة وفقه الدعوة - نشر دار الوفاء وفقه الأخوة في الإسلام وفقه المسئولية - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

● فما هذه المتطلبات التي تعد جهادا، ولا تحيا الدعوة إلا بها؟ إن أوجز صورة لهذه المتطلبات يمكن أن تشير إليها فيما يلي:

أولا: التآخي في الله.

ثانيا: التضحية من أجل الدعوة إلى الله.

ثالثًا: الالتزام بالإسلام وبالجماعة.

ولكل نوع من هذه المتطلبات حديث نرجو أن نوفق فيه، وأن نعرضه بإيجاز غير مُخِل؛ لأن تفصيل الحديث فيه يحتاج إلى كتاب مستقل، وربما إلى أكثر من كتاب. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

## أولاً:

## التآخي في الإسلام:

التآخي في الإسلام أو في الله، مطلب شرعي لا يتم الإيمان إلا به، ففي القرآن الكريم: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

قال المفسرون: إنما للحصر أو للقصر أي لا أخوة إلا بين المؤمنين، وأما بين المؤمن والكافر فلا أخوة؛ لأن الإسلام هو الجامع، ولذلك عندما يموت مسلم وله أخ كافر لا يرثه أخوه الكافر وإنما يكون ماله لبيت مال المسلمين إن لم يكن له ورثة مسلمون.

● وهذه الآية فيها دلالة قوية على تقرير وجوب الأخوة بين المسلمين ، فمعنى الأخوة بين المؤمنين معلوم مقرر.

● وللأخوة في الإسلام مكانة سامية لا تدانيها مكانة، إذ هي الأساس الذي يقوم عليه بناء العمل من أجل الإسلام.

- وقد امتن الله تعالى على المسلمين بالإسلام وبالأخوة فيه، قال الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم

بنعمته إخوانا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

- وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا» وزاد مسلم بعد هذا: كما أمركم الله»[١]

● وإنما كانت هذه الأخوة في الإسلام جهادا لما توجبه على المتآخين في الإسلام من واجبات، يعد تطبيقها نوعا من الجهاد.

● ومن البديهي أن العمل من أجل الإسلام متنوع، وله مراحل عديدة، وانه لا يتوقف حتى بعد التمكين لدين الله في الأرض وإقامة الحكومة الإسلامية؛ لان أهم جانب في العمل الإسلامي هو التربية للفرد والعائلة والمجتمع والأمة، وهذه التربية عمل يجب أن يكون مستمراً طالما على الأرض حياة إنسانية. ومواليد يولدون على الفطرة التي فطرهم الله عليها ويحتاجون إلى تربية إسلامية.

● وإذا كان العمل للإسلام على هذا القدر من التنوع وتعدد المراحل، فمن البديهي الا يستطيع أحد أن يقوم وحده به، بل لا بد أن تتضافر الجهود، ويتعاون العاملون بالحق والصبر، ولا يستطيع الناس أن يحققوا ذلك ويتعاونوا على البر والتقوى إلا إذا جمعتهم اخوة في الإسلام. ومن أجل هذا كانت الأخوة في الإسلام واجبة كما أوضحنا ذلك آنفا.

● ولقد فصلنا القول في مكانة الأخوة في الإسلام وأوضحنا ما تتطلبه من حقوق وواجبات في الأخوة عامة وفي الأخوة في مجالات العمل الإسلامي من دعوة وحركة وتنظيم وتربية وتمكين ومحافظة على التمكين في ذلك الكتاب المستقل الذي أشرنا إليه آنفا.

---

(١) للتوسع في فقه الأخوة: انظر: فقه الأخوة في الإسلام نشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية بالقاهرة ط أولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

ولا نجد داعيا لأن نكرر ما قلناه هناك، وإنما هدفنا هنا أن نؤكد أن التآخي في الله مطلب الدعوة وأنه لا وزن للمسلمين أفراد أو جماعات إلا إذا جمعت بينهم الأخوة في الإسلام.

وأن تلك الأخوة في الإسلام جهاد في سبيل الله ماض إلى يوم القيامة، لا يجوز للمسلمين أن يتخلوا عنه، وإلا عجزوا عن المضي في طريق الدعوة والحركة وسائر المنظومة التي تضم أطراف العمل من أجل الإسلام، وهي المنظومة التي تؤدي إلى التمكين لدين الله في الأرض.

**ثانياً:**

**التضحية من أجل الدعوة إلى الله:**

من أهم متطلبات الدعوة إلى الله أن يضحي الإنسان في سبيلها بكل ما هو مطلوب، إذ هذه التضحية هي المعيار الدقيق لصدق توجه إلى الله وإلى العمل من أجل دعوته ودينه.

● وهذه التضحية ـ كما سنوضحها في الركن الخامس من أركان البيعة العشرة[1] ـ تضحية بالوقت والجهد والمال والنفس في سبيل الله من أجل أن تكونَ كلمة الله هي العليا.

وعندما نقول: التضحة بالوقت والجهد والمال، فإننا نعني التضحية بما يجب أن يضحي به من ذلك، وليس بمقبول التضحية بما يفيض عن الحاجة في الوقت والجهد والمال، وإنما بجزء أساسي يحتاجه العمل الإسلامي.

● وهذه التضحية جهاد بل مرتبة عالية من مراتب الجهاد في سبيل الله تعالى لا يقبل عليها إلا الرجال المؤمنون الفاهمون لدينهم وواجباتهم المخلصون لله تعالى العاملون من أجل الإسلام في كل مجال يحتاج إلى عمل، المجاهدون في الله حق جهاده، والجهاد لا يكون إلا بتضحية، والدعوة لا تحيا بغير جهاد، وتلك كلمات

(١) نسأل الله أن يكون ذلك قريبا، والله المستعان.

الإمام حسن البنا التي وضع بها النقاط فوق الحروف وأضاء بها طريق العمل من أجل الإسلام، وكان بها وبأعماله من المصلحين المجددين.

● ولا شك أن التضحية بالنفس من أجل العمل الإسلامي أغلى أنواع التضحية وأرضاها لله تعالى، وحاجة الدعوة إليها في أوقات بعينها وأمكنة بعينها وأعداء بأعيانهم يقاتلون في سبيل الله، من الأمور التي تحتاج إلي دراسة عميقة متانية قبل القيام بها.

● ويدخل في التضحية أن يوظف الرجل المؤمن نفسه وعمله الصالح من أجل معاشه ومعاده، بحيث يجعل ذلك جامعا لمصلحة دينه ودنياه مستقبلا بذلك كله وجه الله وراجيا مثوبته.

● وكذلك الشأن في دراسته وعلمه وجاهه ومنصبه، إذ لا بد أن يكون للدعوة أو لله سبحانه في كل ذلك نصيب.

ومعنى ذلك أن كل مسلم مطالب بأن يتعرف ما تحتاجه الدعوة من علم ومعرفة، ثم يتجه في دراسته وتحصيل علمه في ذلك المجال الذي تحتاجه الدعوة، فيخدم بذلك دينه ودعوته، وينال ما ينال أمثاله من منافع الدنيا.

● والميادين التي تعاني فقرا في المتخصصين بالنسبة للعمل الإسلامي معروفة يحس بها كل ممارس لهذا العمل الدعوي او الحركي، وغالبا ما تختلف الحاجات من قطر إلى قطر في العالم الإسلامي.

وعلى أبناء كل قطر أن يضعوا نصب أعينهم قائمة تضم احتياجات الدعوة في قطرهم، ثم يحاول أن يوفق بين هذا وبين رغباته الشخصية.

● ولقد كان لأفراد الجماعة في الماضي عمل طيب وجهد مشكور، حيث كان كل طالب من طلاب العلم في الجماعة إذا حصل على الشهادة الثانوية وتأهب للدراسة الجامعية، كان يتجه إلى الكلية التي تحتاج فيها الدعوة دارسين أكثر من كلية سواها، ويتم هذا التنسيق علي مستوى قسم الطلاب في الجامعة، بحيث

تغطي الدعوة احتياجاتها من أبنائها.

● وفي الدراسات العليا، ينبغي أن يكون الأمر كذلك ولقد علمت من خلال تجولاتي في أكثر من قطر إسلامي أن الحاجة ماسة إلى تخصصات رفيعة المستوى في المجالات التالية:

- الإعلام.
- والصحافة.
- والعلوم.
- والهندسة.
- والزراعة.
- والطب بنوعية البشري والبيطري.

وهكذا يستطيع كل قطر من أقطار العالم الإسلامي أن يعد قائمة باحتياجاته من المتخصصين، وعندئذ يجب على هؤلاء أن يضحوا برغباتهم الشخصية نسبيا للدراسة في الفرع الدقيق التي تحتاجه الدعوة.

● وتلك تضحية من الفرد لصالح الجماعة، وهي مطلوبة مشكورة مأجورة بإذن الله تعالى.

● وكذلك الشأن في التضحية في كل مجال من مجالات العمل الإسلامي، دعوة أو حركة أو تنظيما أو تربية، إذما ينبغي لرجل الدعوة أن يتخلي عن هذا الواجب بحال.

● وقد تكون التضحية بمكان محبب إلى النفس، أو برفقة أو قرابة، أو عمل أو منصب مكان آخر، وكل ذلك داخل في التضحية ودليل فقه بمتطلبات الدعوة، وسبب نجاح للعمل الإسلامي، وله عند الله أجر عظيم.

● أما التضحية بالمال فهي من أهون التضحيات، وأيسرها على نفوس الكرماء،

وقد كان للمسلمين في تاريخهم مواقف بذل وتضحية من أجل دينهم ودعوتهم، وكان للإخوان في ذلك نصيب موفور، فقد جمعوا من الأموال في أيام ما استطاعوا به أن يشتروا المركز العام للجماعة كما أسهم كثير منهم في تجهيز المقاتلين في جهادهم لليهود سنة ١٩٤٨م.

● وبهذه التضحيات تستطيع الدعوة أن تحقق أهدافها من خلال هذه التضحيات، أو من خلال التنسيق بين مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد.

## ثالثا :

## الالتزام بالإسلام وبالجماعة :

يرد على الذهن عند سماع كلمة الالتزام، التزام المسلم بما أمره الله به، واجتنابه لما نهاه عنه، وهذا حق لا يختلف عليه المسلمون؛ لأنه معنى صحيح للكلمة.

● غير أن الالتزام بهذا المعنى مطلوب من كل مسلم على حدة، سواء أكان لهذا المسلم موقع في خريطة العمل الإسلامي أم لم يكن له هذا الموقع؛ لأن كثيراً من الناس اليوم يفهمون التدين والالتزام بالدين على أنه عمل شخصي ذاتي بين العبد وربه دون أن يلحظوا أن التدين والالتزام بالدين يتناول كل مناشط الحياة الإنسانية ابتداء من صلة الإنسان بربه إلى صلته بأبويه وأهله وولده وأرحامه وأقاربه وجيرانه والمجتمع الذي يعيش فيه، بل الأمة التي ينتمي إليها.

ذاك هو الفقه الصحيح للالتزام بمعناه الواسع الذي يعرفه العاملون في مجال الدعوة إلى الله أما ذلك المعنى الضيق للالتزام فهو فهم الذين لا يفقهون الإسلام حق فهمه وفقهه، ومن يرد الله به خيرا يفقه في الدين.

● إن الالتزام الذي هو من متطلبات الدعوة إلى الله هو هذا المعنى الواسع للالتزام.

● إن الدعوة إلى الله تتطلب من الدعاة والحركيين التزاما ذا أبعاد أكثر خصوصية، وأعمق جذوراً، وأكثر فروعا، إذ تتطلب التزاما في المجالات التالية :

- التزاما بفقه الدعوة أهدافها وأبعادها ووسائلها، وطبيعتها ومراحلها، وما تتميز به كل مرحلة.

- والتزاما بادب الدعوة في التعامل مع الدعاة ومع المدعويين؛ لان للدعوة أدبا يخصصها، وأسلوب في التعامل، وقيماً وأخلاقا تليق بها.

- والتزاما بتحديد المكان والمكانة في خريطة العمل من أجل الإسلام، والقيام بواجبات المكان والمكانة على الوجه الذي يرضي الله تبارك وتعالى.

- والتزاما بمحاسبة النفس على القيام بهذه الوجبات وعلى مدى النجاح في العمل أوالفشل فيه أو التقصير عن بلوغ الهدف، والتعرف على الاسباب وتقويم كل عمل.

- والتزاما بفقه الحركة وطبيعتها وابعادها وشروطها وآدابها وما توجبه على العاملين فيها.

- والتزاما بفقه التنظيم في مجال العمل الإسلامي، أهداف التنظيم وأنواعه، ووسائله، ومرحلياته.

- والتزاما بفقه التربية الإسلامية أهدافها ووسائلها العامة والخاصة والقيم التي تبثها في نفوس الناس، مكانتها بين أنواع العمل الإسلامي، والاستمرار فيها حتى بعد الوصول إلى التمكين.

- والتزاما بفقه التطبيق، والتنفيذ، وفاعلية الاداء، كفايته وقدرته على تحقيق الأهداف، وفقه الأسس التي يقوم عليها التنفيذ من فهم وإخلاص وعمل وجهاد وتضحية وطاعة وتجرد وثبات وأخوة وثقة.

- والتزاما بفقه التمكين، وما يتطلبه من إعداد المتخصصين في مختلف المجالات العلمية والعملية لتغطية احتياجات حكومة إسلامية تحكم بما انزل الله، وتقر العدل بين الناس، وتستهدف الإحسان بكل معانيه.

- والتزاما بفقه المحافظة على التمكين والاستمرار فيه بعد الوصول إليه، والحذر

من عوامل الخلل والفساد والرجوع والانتكاس للحكومة الإسلامية الأمل.

● هذا هو الفهم الواسع العميق للالتزام الذي يتطلبه العمل الإسلامي في كل زمان ومكان، وهذا الفهم هو الذي أوصل أسلافنا من المسلمين إلى إقامة نظام حكم إسلامي مدَّ رواق العدل على البشرية أحقابا غير قصيرة أمسك فيها بناصية العلم والتقدم والمحافظة على إنسانية الإنسان.

● وكل هذه الأنواع من الالتزام هي جهاد ومجاهدة في مجال العمل من أجل الإسلام والدعوة لا تحيا إلا به، بل لا تكون صورتها الصحيحة إلا به.

● ويدخل في مفهوم الالتزام الانضباط وهو مطلب إسلامي رئيس ودقيق، وهو سمة بارزة من سمات العقيدة والعبادة والمعاملة، بحيث لا يكون تكليف في الإسلام إلا ويصاحبه انضباط في أداء هذا التكليف.

● إن الانضباط يُخْضِع الزمان والمكان والجهود الإنسانية كلها لنمط معين في الأداء، وإذا فقد حدث القصور والتقصير وضل الهدف وفسدت الوسيلة أو عجزت، وحيل بين العمل وبين أي تقدم فيه، بل فُتح الباب للتراجع والانتكاس.

● إن الإسلام دين الانضباط في كل شيء، الانضباط في الفكر والقول والعمل، والانضباط في الحركة والسكون، وإن تأملا سريعا في العبادات؛ ليؤكد لنا أنها بغير انضباط لا تكون عبادة لله تعالى. فهناك انضباط في جملة الصفات في زمن العبادة وهيئتها ومكانها، وانضباط في جملة الصفات التي يجب أن تتوفر في العابد وهو يؤدي عبادته.

● العبادات في الإسلام يؤدي معظمها في إطار زمني لا يجوز تجاوزه وإلا فاتت العبادة وخرجت عن وقتها، وتحولت من الأداء إلى القضاء للفائت.

● والصلاة التي هي عمود الدين وعماده تخضع لانضباط شديد في الهيئة والمكان والزمان، وكذلك شأن الصوم والزكاة والحج كلها منضبطة في توقيت لا بد منه، فإذا خرجت عبادة عن هذا الانضباط في التوقيت كان ذلك دليلا على أنها

يجب أن تؤدي باستمرار، مثل الأذكار، ومثل الالتزام بقيم خلقية معينة كالصدق والعفة والبر والصبر ونحوها.

● ومن هموم العمل الإسلامي التي تؤرق أن بعض العاملين في مجالات الدعوة أو الحركة أو التنظيم أو التربية، قد يفشلون في الوصول إلى أهدافهم العامة أو المرحلية، ثم يجلسون للتحاور والمناقشة للتعرف على أسباب هذا الفشل، وقد يتعرفون على الأسباب بدقة فيجتنبونها ولكنهم بعد ذلك يفشلون أيضا، لأنهم يغفلون عند تحليل أسباب الفشل عن واحد من أهم أسباب الفشل، وهو فَقْد الانضباط، ولذلك يتكرر الفشل ويحدث التلاوم وربما التلاحي!!!

● ومن المُسَلَّمات لدى فقهاء الدعوة أن العمل من أجل الإسلام إن لم يخضع لانضباط في الزمان والمكان وأسلوب الأداء فلن يحقق أهدافه.

وقد يتصور بعض الشُداة في مجالات العمل الإسلامي أن الانضباط في العمل على هذا النحو الدقيق أمر ثانوي، قائلا لنفسه أو لغيره: إن ما لا يدرك اليوم يدرك غدا وما لا يؤدي في هذه الساعة يؤدي في الساعة التالية، وما لا يؤدي هنا قد يؤدي هناك، وأن هذا التدقيق الشديد، والدين مبْناه على البساطة!!!

وهذا التصور ممعن صاحبه في الخطأ و ما لم يكن شاديا مبتدئا ما كان على هذا القدر من الغفلة والسذاجة، وعلى قدر مايقع عليه اللوم في هذا الفهم القاصر يقع على من أشرف على تربيته فقصر فيها وأهمل.

● والرد على هذا الشادي وعلى من قصروا في تربيته وتوجيهه أن يتدبروا ويتفكروا في خلق أنفسهم وخلق السموات والأرض ليدركوا أن الانضباط في الكون سنة إلهية عظيمة، سببها الله تعالى لتستقيم بها حياة الإنسان على الأرض، ولينظروا إلى انضباط دورات الحياة في الماء والهواء والنبات والحيوان، والشمس والقمر وتعاقب اليوم والليلة والأسبوع والشهر والسنة وتقدير كل شيء في الكون أحسن تقدير، ليدركوا أهمية الانضباط وضرورته لحياة الإنسان، إن هذا الانضباط إذا اختل فسد الكون كله.

● وإن منظومة العمل من أجل الإسلام منظومة منضبطة ما يخل بها أحد إلا عجز عن الوصول إلى الهدف؛ لأن لكل مفردة من هذه المنظومة توقيتها وتربيتها وأسلوب أدائها.

● وإن رصيد التجارب في العمل الإسلامي لتؤيد هذا وتؤكده، فالدعوة إطارٌ زمني أوسع من إطار الحركة.

والتنظيم يثرى الدعوة والحركة والتربية وييسر العمل فيها. والتربية مجالات متعددة لا يغني بعضها عن بعض والمجالات العشرة للتربية[1] ينظر فيها إلى تكامليتها وضرورتها.

● وكل إخلال بالانضباط في أي مفردة من مفردات العمل الإسلامي يؤدي إلى الفشل أو إلى تعويق الوصول إلى الهدف والدوران في ذات المكان دون الانطلاق إلى الأمام.

● وفي يقيني أن الإسلام يعلم المسلم الانضباط في كل شيء في كلامه وصمته، وحركته وسكونه، ويقظته ونومه، ورضاه وغضبه، وعمله وتركه وفي كل أمره.

● وإهمال الانضباط في شيء من هذا كله إما حرام أو مكروه أو مخل بالمروءة، وكل ذلك لا يليق بالمسلم، ولا يأتيه إلا مضطر وإلا تعرض للعقاب أو العتاب.

وبعد: فإن الدعوة إلى الله تتطلب التزاما وانضباطا في مجال العمل الإسلامي على النحو الذي أشرنا إليه آنفا.

وتتطلب التزاما وانضباطا في مجال الجماعة؛ فإن المسلم لا ينبغي له أن يعيش

---

(١) هذه المجالات العشرة هي: التربية: الروحية والخلقية والعقلية والبدنية والدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجهادية والجمالية - وسوف نعالجها بالتفصيل في كتابنا: المدخل إلى التربية الإسلامية إذا شاء الله، وقد بدأنا بكتاب: التربية الإسلامية.

على غير انتماء لجماعة المسلمين، وإلا أكله الذئب، فإن أفلت من الذئب حرم البركة وحرم العون والمدد، وغفل عن الحديث الذي نسبه الدارمي بسنده عن تميم الداري إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي فيه: «**إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة ..**»

● وهذا الالتزام والانضباط جهاد ومجاهدة للنفس والشيطان، والمعركة الحقيقية الأولى مع عدونا الرابض في نفوسنا وهو الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم، ثم تليها معارك في باقي الأعداء، ومن انتصر في المعركة الأولى استطاع أن ينتصر في المعارك التالية.

● ولا يتم الالتزام والانضباط إلا بأمرين:

**الأول منهما:**

**هو معرفة الأهداف والوسائل:**

وهذه المعرفة تنبئ عن فقه دقيق وعميق وقد أشرنا فيما مضي من هذا الكتاب إلى فقه المقاصد والغايات، ونحاول هنا أن نساند فقه الأهداف والوسائل بنصوص إسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

● إن كثيراً من آيات القرآن الكريم تحمل أهدافها معها، فتعفي المسلمين من البحث عن الهدف في كل عمل يقومون به، ومن تلك الآيات والأحاديث النبوية ما نذكر بعضه فيما يلي:

ـ قال الله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والمعنى ـ والله أعلم ـ أن الهدف والمقصد من جعل الأمة الإسلامية أمة وسطا أن تكون أمة شاهدة على الناس، ويكون الرسول ﷺ شهيداً عليهم.

ـ والجهاد نفسه له هدف يتضح من بعض آيات القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٩٣].

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة التي إذا تدبرها المسلم عرف الأهداف والمقاصد، ومعرفة المسلم لهذه الأهداف والمقاصد، تمكنه من أن يأتمر وأن ينتهي وأن يلتزم وينضبط عن علم ومعرفة.

- أما الأحاديث النبوية التي تتضمن الإشارة إلى الأهداف والمقاصد فكثيرة نذكر منها ما يلي:

- روى البخاري بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه»** فهدف المبايعة واضح غاية الوضوح.

- وروى أبو يعلى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تهادوا تحابوا»** فهدف الهدية هو غرس المحبة بين المسلمين.

- وروى البيهقي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كن ورعا تكن أعبد الناس، وكن قنعا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما، وأقل الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب»**.

- وروى ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره الله، فأما ما يحب فالغيرة في الريبة، وأما ما يكره فالغيرة في غير ريبة»**.

- إلى غير ذلك من عشرات الأحاديث النبوية التي تتضح فيها الأهداف والمقاصد، من الأمر والنهي والندب والكراهة وغيرها.

- وقد أسلفنا في هذا الكتاب أن فقه المقاصد مطلب شرعي، ومطلب

ضروري من مطالب الدعوة إلى الله وسائر مفردات العمل الإسلامي.

● هذا عن الأهداف.

● أما الوسائل ففقهها مطلب شرعي كذلك، ثم هو مطلب ضروري من مطالب الدعوة إلى الله خصوصاً والعمل الإسلامي على وجه العموم.

● والوسائل في فقه الشريعة هي الأسباب، والأخذ بالأسباب، ولا يستطيع أحد أن يأخذ بالأسباب أو الوسائل إلا إذا عرفها.

والسبب هو: العلم كما دلت على ذلك بعض آيات القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾. [الكهف: ٨٤ – ٨٥] قال ابن عباس رضي الله عنهما: آتيناه من كل شيء سببا، من كل شيء علما يتسبب به إلى ما يريد، وقال الحسن: بلاغا إلى حيث أراد، فأتبع سببا أي أخذ بهذه الأسباب.

وقال فخر الدين الرازي: آتيناه من كل شيء سببا، معناه: أعطيناه من كل شيء من الأمور التي يتوصل بها إلى تحصيل ذلك الشيء.

● والآية القرآنية الكريمة التي تعد أُمًّا في ضرورة الأخذ بالأسباب هي قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

قال المفسرون: القوة لفظ عام في ما يتقوى به على حرب العدو، وكل ما كان آلة الغزو فهو من جملة القوة..

وهذه الآية الكريمة التي تدل على أن الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي، فريضة، إلا أن ذلك من فروض الكفاية.

وكل ذلك من الأسباب التي تتخذ استعداداً للحرب، وهي بكل تأكيد من بين الوسائل التي تحقق الهدف الأكبر وهو التمكين لدين الله في الأرض.

● وفي مجال الدعوة ومتطلباتها في الوسائل المتعددة لا أستطيع تفصيل

الحديث في ذلك هنا[١] وذلك أن الدعوة إلى الله مراحل - كما قلنا - تمهيد وتعريف وتكوين ومحافظة على التمكين ولكل مرحلة منها وسائلها الخاصة.

- والحركة لها وسائلها، والتنظيم له وسائله، والتربية لها وسائلها العامة كالبيت والمسجد والمدرسة وكل مؤسسات التعليم، حيث ينبغي في المجتمع أن يضع البيت اللبنات الأولى في التربية ثم يتعهد المسجد هذا التكوين فيزكيه وينميه، وتدعم المدرسة كل ذلك بالكتاب والمعلم، والمنهج العلمي لتحصيل العلم والمعرفة والخبرة والتدرب.

كما أن للتربية في العمل الإسلامي وسائلها الخاصة[٢].

- والتمكين له وسائله، والمحافظة على التمكين لها وسائلها.

- وفقه الوسائل لا يقل أهمية عن فقه الأهداف وكلاهما من متطلبات الدعوة، وكل ذلك من أنواع الجهاد الذي لا بد منه، والذي لا تحيا الدعوة إلا به.

والثاني من الأمرين اللذين لا يتم الالتزام والانضباط إلا بهما هو:

- **الإخلاص:**

وهو من متطلبات كل عمل يقوم به المسلم ، ومن المعروف أن الإخلاص هو لب كل عبادة لله تعالى ولب كل عمل، وإذا خلا شيء من ذلك من الإخلاص فلا وزن له ولا أثر ، ولا قبول له عند الله تبارك وتعالى.

---

(١) انظر في ذلك كتابنا: فقه الدعوة إلى الله بجزئيه وهو دراسة موسعة في فقه الدعوة تقع في أكثر من ألف صفحة. نشر دار الوفاء - القاهرة: ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ط ثالثة.

(٢) انظر للمولف: وسائل التربية عند الإخوان المسلمين - نشر دار الوفاء ط خامسة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

● وقد سبق أن توسعنا في الحديث عن الإخلاص عموما، وعن الإخلاص كما تحدث عنه الإمام حسن البنا في كتاب مستقل هو: ركن الإخلاص في مجالات العمل الإسلامي، وهو الركن الثالث من أركان البيعة في رسالة التعاليم[١].

● وحسبنا هنا أن نشير إلى بعض جوانب الإخلاص على أنه من متطلبات الدعوة ، وأنه يعد جهادا في سبيل الله تعالى، الذي يضاف إلى ما تطلبته من متطلبات.

● وجميع المتطلبات التي ذكرناها للدعوة هي من الجهاد في سبيل الله تعالى، وهذا الجهاد لا يجوز أن يخلو من الإخلاص، وذلك أن القاعدة العامة في الإخلاص هي ما جاء على لسان رسول الله ﷺ، فيما رواه الترمذي بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم: إخلاص العمل لله والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم»**.

● واكتفي هنا بذكر كلمة الإمام البنا في الإخلاص وهي أسطر قليلة جامعة وهي: «وأريد بالإخلاص أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر، وبذلك يكون جندي فكرة وعقيدة لا جندي غرض ومنفعه ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت**﴾ [الأنعام: ١٦٣]، وبذلك يفهم الأخ المسلم معنى هتافه الدائم: الله أكبر ولله الحمد، الله غايتنا».

● إن الإخلاص تجرد لله في القول والفعل والجهاد، وبشرط ألا يحس الإنسان بأنه مخلص، فقد نقل الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه: إحياء علوم الدين عن الإمام السوسي قوله في الإخلاص: «الإخلاص فَقْدُ رؤية الإخلاص؛ فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص»[٢].

---

(١) نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين: ٤/ ٣٢٦ط الحلبي مصر: ١٥٢هـ - ١٩٣٣م.

● والإخلاص بكل معنى من معانيه وفي كل مجال من مجالاته هو أيضا جهاد لا تحيا الدعوة إلا به.

● وهذا الجهاد في سبيل الله لا تقبل عليه ولا تتحمل تَبعاته إلا نفوس المؤمنين المجاهدين المتعرضين بهذا الجهاد إلى رحمة الله وهدايته: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

● والجهاد في سبيل الله ليس منقطعا عن العمل الصالح، وليس مستغنيا عن الأخذ بالأسباب، وليس يصلح بغير تقوى الله، وله نتيجة مقررة معروفة هي الفوز والفلاح، قال لله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون**﴾ [المائدة: ٣٥].

بل الجهاد في سبيل الله في عمومه وخصوصه عمل أساسي لا تحيا الدعوة إلا به.

## ٧- جزاء الجهاد عند الله تعالى:

من المقرر في شريعة الإسلام، ومما جاء على لسان المعصوم ﷺ ان الجهاد ذروة سنام الإسلام أي أعلى ما فيه من عبادات.

- روى الترمذي بسنده عن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «.. **ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامة؟ رأس الأمر الإسلام، من أسلم سلم، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد...**».

● وإذا كان أمر الجهاد كذلك فلا بد ان يكون جزاؤه عند الله افضل جزاء، ونسوق الآن عدداً من النصوص الإسلامية التي توضح جزاء الجهاد عند الله تعالى:

### أولاً: من القرآن الكريم:

١- قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١١١].

جزاء المجاهدين في سبيل الله هو الجنة، وليس بعد الجنة أو مكانة أو أجر أعظم منها، ولذلك جاء التعبير القرآني عمن فاز بالجنة بأنه نال فوزا عظيما.

- وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[الصف: ١٠ – ١٣]

والمجاهد كما توحي بذلك هذه الآية الكريمة يلقى جزاء متعدد النعم، يتمثل فيما يلي:

- النجاة من عذاب النار.
- ومغفرة الذنوب.
- ودخول الجنة التي تجري من تحتها الأنهار، وله فيها مساكن طيبة، وقد سمى الله تبارك وتعالى ذلك الفوز العظيم. وذلك كله من الجزاء الأخروي للمجاهد، وله جزاء دنيوي هو النصر على أعدائه في المعركة أو الاستشهاد في سبيل الله.

وفي هذه المعاني جاءت آيات كريمة قرآنية كريمة.

- قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[آل عمران: ١٦٩ - ١٧١]

وجزاء المجاهد كما توحي بذلك تلك الآية الكريمة يتمثل فيما يلي:

- فرح بما آتاه الله من فضله.
- واستبشار وسعادة بماهم فيه، واستبشار بأن كل مجاهد يستشهد في سبيل الله سوف يجد نفس هذا الجزاء.
- وسعادة غامرة بما يجدون من نعمة الله وفضله.

وقال جل وعز: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[النساء: ٧٤]

فالمجاهد محظوظ في الدنيا والآخرة ينال الأجر العظيم يوم القيامة في الحالين جميعا، حالة استشهاده في سبيل الله، وحالة انتصاره على عدوه في الدنيا، فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجر عظيما.

هذا جزاء المجاهدين كما تنبئ به آيات القرآن الكريم وهو خير جزاء.

## ثانيا:

## من السنة النبوية المطهرة:

- روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: **اتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أي الناس أفضل؟قال: مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، قال: ثم مَنْ؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع**

**الناس من شره».**

ـ وروى البخاري بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال: **قلت يا رسول الله: أي العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله».**

ـ وروى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها. والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها».** ورواه مسلم.

ـ وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تضمنَّ الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي، وإيمان بي وتصديق برسلي، فهو ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده، ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم: لونه لون دم، وريحه ريح مسك، والذي نفسي بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سريّة تغزوا في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل».**

ـ وروى الترمذي بسنده عن معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة، ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة، فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت: لونها الزعفران وريحها كالمسك».**

ـ وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: **«لا تستطيعونه فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول لا تستطيعونه، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله».**

ـ وروى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة، فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدها عليّ يا رسول الله، فأعادها عليه ثم قال: «وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله».

ـ وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته؛ بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة».

ـ وروى مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شيء غير الشهيد؛ فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة».

ـ وروى مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام، إلا أن أسقي الحاجَّ وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليتم الجمعة فأستفتيه فيما اختلفتم فيه (فسال رسول الله ﷺ) فقرأ عليه: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩].

ـ وروى مسلم بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال رجل من بني النبيت من الأنصار: «أين أنا يا رسول الله إن قتلت؟ قال: في الجنة، فألقى تمرات كن

في يده ثم قاتل حتى قتل».

- وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما من غازية تغزوا في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم في الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم».

- وروى مسلم بسنده عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط ليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمِنَ الفتان».

**ثالثا:**

**بقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد في سبيلها:**

وبعد فهذا جزاء الجهاد عند الله تبارك وتعالى يمكن تلخيصه في كلمة وهي: «الجنة» وليس كالجنة خير للإنسان بل هي كل الخير، وهذا هو معنى قول الإمام البنا رحمه الله: وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد في سبيلها، وضخامة الثمن الذي يطلب لتأييدها، وجزالة الثواب للعاملين فيها: ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده**﴾.

وتحتاج منا هذه الكلمة الجامعة إلى بعض الإيضاح لبعض ما فيها والله المستعان.

**● سمو الدعوة:**

معناه ما تنادي به وتدعو إليه من فضائل وأخلاق رفيعة، ولا عجب في ذلك فهي دعوة الله وشريعته ومنهجه ونظامه، وهي دعوة الحق فلا بد أن يكون كل ما تدعو إليه ساميا ورفيع القدر، وحسبها سمواً أنها تدعو إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ونبذاً لهذا الباطل والهوى والشهوات، وحسبها أن تأمر بالعدل والخير والمعروف، وأن تنهى عن الظلم والشر والمنكر، وحسبها أن تأمر بالإحسان وإيتاء ذي القربى، وتنادي بالرحمة للإنسان والحيوان..

وحسبها تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتحريم الكبائر، وكل ما يغضب الله ويضر الإنسان، وحسبها ما تدعو إليه من فضائل وما تنهى عنه من رذائل.

● إن إقرار ذلك كله يحتاج إلى جهود وجهاد قد يصل إلى أعلى مراتب الجهاد، وهو الجهاد بالنفس والموت في سبيل الله.

**●سعة أفق الدعوة:**

معناه أنها لا تدع شُعْبة من شعب الحياة الإنسانية إلا نظمتها، واشتمل منهجها على إصلاحها وصلاحها.

ومهما تعددت شعب الحياة وتنوعت؛ فإن منهج الدعوة إلى الله رسم لكل شعبة أبعادها، وأوضح ما يحل فيها وما يحرم، وما يجب وما يندب إليه، بل ما يكره فيها أو يعاب أو يخل بمروءة الإنسان.

● إن سعة أفق الدعوة تعني أن يجد فيها كل إنسان ما يحقق حاجاته المشروعة، وما يعبر به عن طاقاته الروحية والعقلية والخلقية والبدنية والدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجهادية والجمالية.

● إن الدعوة بهذه السعة لا يمكن أن تتحقق في الناس وتنظم لهم حياتهم إلا بالجهد والجهاد بكل أنواعه ومراتبه التي أوضحناها آنفًا.

● وأما الثمن الذي يطلب لتأييد الدعوة التي تتمتع بهذا السمو وهذا الاتساع في الأفق، فهو الجهاد، وأدناه - كما قلنا آنفًا - جهاد القلب بإنكاره للباطل، وأعلاه مرتبة الموت في سبيل الله، ولذلك كان جزاؤه أحسن جزاء، وأجزله، كما أكدنا ذلك بالنصوص الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

● ومهما جاهد الإنسان وضحى بماله ووقته وجهده ونفسه، فلا يعد مبالغا في جهاده أو مغاليا فيه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج: ٧٨].

## ٨- معنى هتاف الدعاة «الجهاد سبيلنا»:

«الجهاد سبيلنا» كلمة جامعة موحية ماضية في أعماق النفس تزيل عنها أسباب الفتور والكسل، وهي تجئ ضمن شعار تهتف به جماعة الإخوان المسلمين، وتعمل ما وسعها على تطبيق هذا الشعار وتحقيقه.

وهذا الشعار أو هذا النداء هو:

«الله غايتنا.

والرسول قائدنا.

والقرآن دستورنا.

والجهاد سبيلنا.

والموت في سبيل الله أسمى أمانينا».

● فالهتاف بهذه الكلمات والعمل على تحقيق محتواها في حياة الناس يرسم للسائرين على درب الدعوة إلى الله معالم طريقهم، ويحدد لهم خطوات عملهم، بل يوضح مفردات منهجهم، ذلك المنهج الذي يضمن لهم صلاح الدنيا والآخرة.

وكلمات هذا الشعار واضحة المعنى ولكنا نلقي عليها هذا الضوء:

«الله غايتنا».

ومعناها أن كل كلام تقوله الجماعة وكل عمل تعمله وكل جهاد تجاهده، تبتغي فيه رضا الله عن طريق التزام منهجه فليس شيء آخر من المنافع المادية أو المكاسب السياسية ونحوها هو ما يسعى الإخوان لان يجعلوه غاية لهم، وإنما: الله هو الغاية، أي الحق هو الغاية.

● ومن كان الله غايته، فلا بد أن يؤثر ما عند الله على ما عند الناس، ولا بد أن يكون ملتزما منضبطاً مع الشريعة والمنهج، وأن يكون رضا الله تعالى هو هدفه.

● «والقرآن دستورنا».

معناها أن القرآن الكريم كتاب الله المنزل علي خاتم أنبيائه محمد ﷺ هو الدستور للجماعة ولكل المسلمين أي هو جملة أو مجموع القواعد الأساسية التي توضح نظام الحكم وتنظم السلطات العامة، وتحفظ بنصوصها الحقوق والحريات وتحفظ كرامة الإنسان.

ـ وقد روى مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين»**.

والمعنى والله أعلم أن الله يرفع من يعملون بما في القرآن ويخفض من يهملونه.

ـ وروى مسلم بسنده عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما»**.

ـ وروى الدارمي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قلت يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبَّار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الردِّ ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا، من علَم علمه سبق ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم..»**.

● والقرآن الكريم إذا كان هو الدستور ففي ذلك أمان وضمان لحل المشكلات، وكل قوانين يستعين بها المسلمون في مواجهة المستجدات والمتغيرات يجب أن تعرض على القرآن الكريم، فما وافقه من هذه القوانين أخذ بها المسلمون من غير باس، وما خالفه منها تركوه بكل تاكيد.

● «والرسول قدوتنا».

ومعناه: أنه الذي يقتدي به في قوله وفعله وهديه كله؛ لأن الله تعالى قد أخبر المؤمنين بذلك في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب: ٢١].

●والرسول ﷺ هو الذي بلغ القرآن عن ربه، وهو الذي فسّره، وفصل مجمله وأحل وحرم كثيراً مما سكت عنه القرآن الكريم.

● وإنما كان الرسول ﷺ هو وحده القدوة، إلى يوم القيامة ؛ لأنه وحده المعصوم عن الخطأ في التحليل والتحريم.

وأوامره ﷺ ونواهيه كأوامر الله تعالى ونواهيه فقد روى ابن ماجة بسنده عن المقدام بن معد يكرب الكندي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك الرجل متكئا على أريكته يُحَدَّث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرَّمناه، ألا وإنّ ما حرَّمَ رسولُ الله ﷺ مثل ما حرَّم الله**».

● وقد تكون أوامر رسول الله ﷺ للوجوب وقد تكون للندب، ويميز بين الوجوب والندب أمور يعلمها فقهاء المسلمين، كما أن النواهي قد تكون للتحريم وقد تكون للكراهة، والتمييز بين هذا وذلك يعرفها الفقهاء أيضاً، وكل ذلك مفصل ومبسوط في كتب أصول الفقه وكتب الفقه أحيانا.

● من أجل ذلك كان وما يزال وسيظل الرسول ﷺ هو القدوة للمسلمين في كل زمان ومكان.

● «والجهاد سبيلنا».

وكانت تلك الكلمة شعار الجماعة الذي لا تحيد عنه ولا تعطله بحال، يقينا من الجماعة بأن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة، لا تتوقف أبداً.

الجهاد بكل أنواعه وبكل مراتبه، وفي كل مراحل الدعوة، وفي كل مجالات

الحركة، وفي كل أنواع التنظيم، والتربية، وفي كل متطلبات التنفيذ، وفي كل ما يوصل إلى التمكين لدين الله في الأرض وفي المحافظة على التمكين.

الجهاد بهذه المعاني كلها هو سبيل الجماعة التي لا تعرف لها سبيلا أشرف غاية ولا أنبل منه مقصداً، سواء في ذلك ما كان جهاداً على سبيل فرض العين أو على سبيل فرض الكفاية.

● نادت الجماعة بكلمة «الجهاد سبيلنا» شعاراً، وطبقته عمليا على نحو ما أوضحنا آنفا في حرب اليهود في فلسطين سنة ١٩٤٨م وفي حرب الإنجليز المحتلين لمصر في المعركةالفدائية التي خاضوها في قناة السويس سنة ١٩٥١م.

وقد أكرم الله الجماعة بان اتخذ منها الشهداء في هاتين المعركتين، ولم تتوقف الجماعة عن الجهاد كلما وجدت إلى ذلك سبيلا، على الرغم من التضييق والاضطهاد والحرب الضارية التي تشنها عليها القوى الأجنبية، والحكومات في العالمين العربي والإسلامي.

● ولا تدخر الجماعة وسعا في ان تجاهد في سبيل الله كل أنواع الجهاد في أي مكان في العالم إذا وجدت إلى ذلك السبيل؛ لأن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وأفراد الجماعة فيما نعلم - ولا نزكي على الله أحدا كاولئك الذين تحدَّث عنهم القرآن في قولة تعالي: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الاحزاب: ٢٣].

● وإنما كان الجهاد بهذا الوزن وتلك الأهمية لان الدعوة لا تحيا إلا بالجهاد، والدعوة بسموها وسعة أفقها، ونظرتها للبشرية كلها على أنها الإنسان الذي يجب احترام حقوقه مسلما كان أوكافراً ذلك الإنسان الذى يجب ان تقدم إليه دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وكل ذلك جهاد، وأن يمارس الجهاد باللسان والمال واليد والنفس وفق أحكامه الشرعية التي أوضحنا، وألا يتوقف هذا الجهاد أبدا؛ لأنه الثمن الذي يطلب لتأييد هذه الدعوة العظيمة.

● إن الجهاد هو سبيل الجماعة في كل أنواع العمل الذي مارسته من أجل

الإسلام ومن أجل الوصول إلى تمكين دين الله في الأرض.

لقد التزمت الجماعة هذا الخط وما حادت عنه أبداً، وجنت من ورائه كل الخير لها وللمسلمين، وأصبحت الجماعة بهذا الجهاد وهذا العمل المتواصل ممتدة التأثير في كثير من بلدان العالم الإسلامي، حتى ليقال: إنها قد استعصت على أن يجهز عليها حاكم ظالم أو عدو باغ من أولئك الذين يعادون الإسلام ترقبا إلى الأعداء الأصلاء للإسلام والمسلمين وهم المغضوب عليهم من اليهود، ومن سواهم أنصار الصليبية الحديثة والنظام العالمي الجديد، والإلحاد والعلمانية، ومن كل أولئك الأعداء الذين يرمون الإسلام والمسلمين بالتهم والمفتريات والأباطيل.

إن الله غالب على أمره، وما كان للجماعة أن تتخلى عن الجهاد أبداً وهو ذروة سنام الإسلام».

● «والموت في سبيل الله أسمىٰ أمانينا».

وهذه الكلمة هي الترجمة العملية لكلمة «الجهاد سبيلنا» والموت في سبيل الله شهادة، والشهداء ليسوا أمواتا وإنما هم أحياء عند ربهم يرزقون، والذي نعرفه أن أفراد الجماعة كلهم علي درجة من الفقه ـ ولا أزكى على الله أحد ـ تجعلهم يطلبون الموت في سبيل الله بصدق وإخلاص، وقد يعطي هذه المنزلة بعضهم، وقد يعطي بعضهم أجر الشهيد دون أن يستشهد، وهذا كلام المعصوم ﷺ، فقد روى مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من طلب الشهادة بصدق أعطيها ولو لم تصبه»**.

وروى مسلم بسنده عن سهل بن حنيف عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»**.

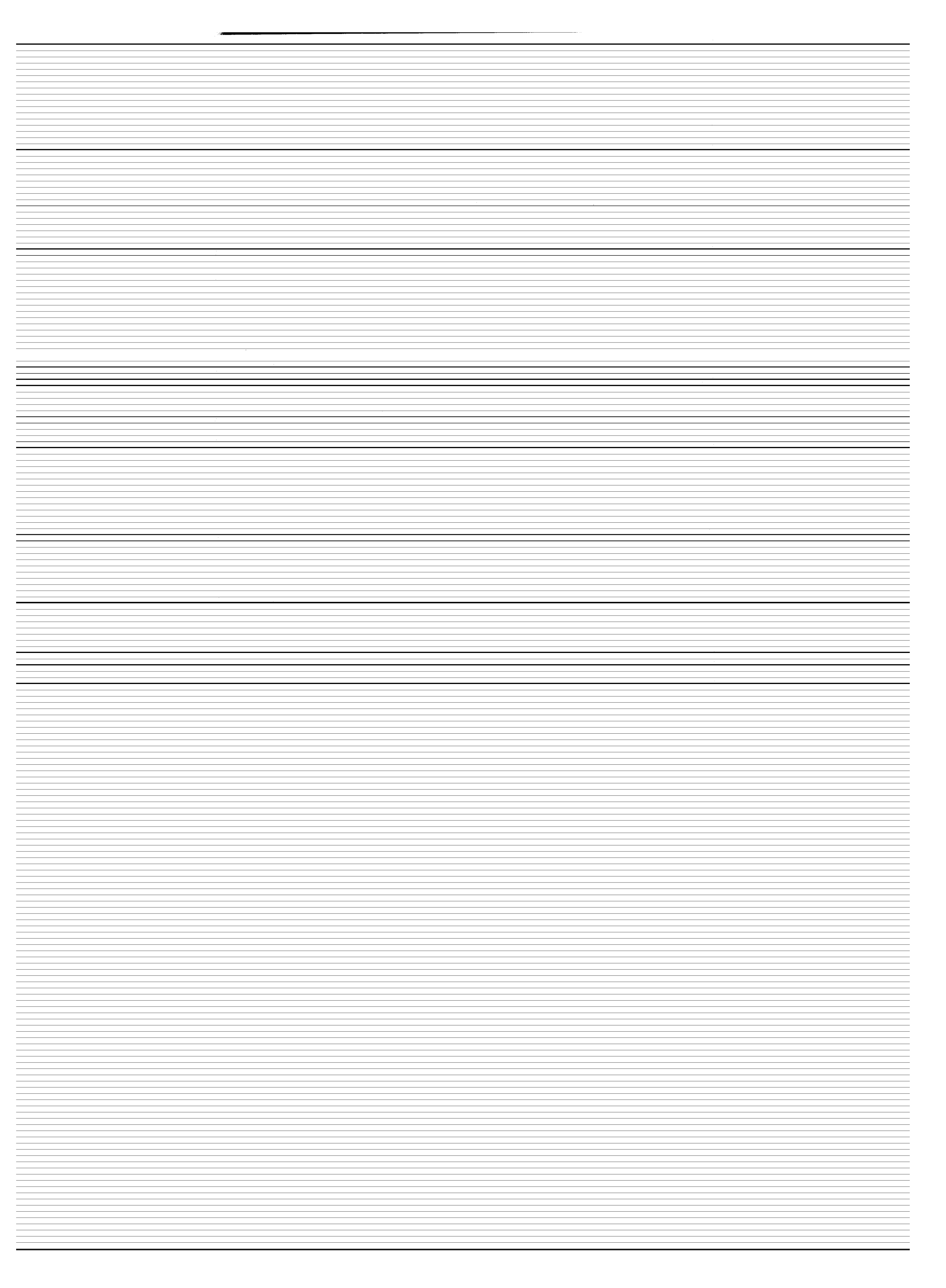
● إن هذا هو معنى هتاف الدعاة إلى الله قائلين: «الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا».

وهو معنى هتافهم قائلين: «لا إله إلا الله محمد رسول الله عليها نحيا وعليها نموت وفي سبيلها نجاهد وعليها نلقى الله».

**وبعد:**

فلعلني قد وفقت في شرح هذه السطور القليلة العدد التي كتبها الإمام حسن البنا في الجهاد، وفصلت ما أجمله فيها؛ فإن كنت قد وفقت فهذا من فضل الله وبركة دعاء بعض الأحباب بظهر الغيب، وإن كانت الأخرى فأسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، وأدعو من العلماء من هو أطول مني باعًا في الشرح والتحليل داعيا له بالتوفيق.

* * *



## الخـــاتمـــــة

بنعمة الله وفضله يُسِّر لي شرح هذا الركن الرابع من أركان البيعة العشرة كما جاءت في رسالة التعاليم، في تلك السلسلة التي اخترت لها عنوان :

« في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا »

ولقد اجتهدت في هذا الشرح ما وسعني، فالقيت ضوءا على مفهوم الجهاد في الكتاب والسنة وفي التراث الفقهي للمسلمين وأوضحت ما يجب أن يقال في مواجهة المفتريات التي بررها أعداء الإسلام حول الجهاد.

ثم شرحت النص الذي كتبه الإمام حسن البنا في الجهاد موضحا أن ذلك من فقه الإصلاح والتجديد، وأنه رحمه الله قد استلهم فيما قال القرآن الكريم والسنة النبوية، واستعان برصيد الخبرة والتجربة في ميدان العمل الإسلامي، فكان بما قال وبما عمل وبما ربيَّ وعلَّم من الرواد المصلحين المجددين لأمر هذا الدين السائرين على درب النبوة الهادية إلى الحق وإلى الصراط المستقيم.

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء، وأرجو أن ألتقي بك أخي القارئ في الحلقة الخامسة من هذه السلسلة: « ركن التضحية » إذا يسَّر الله وأعان ».

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

**علي عبد الحليم محمود**

في عصر يوم ١٥ من ربيع الأول ١٤١٥هـ – ٢٤ / ٨ / ١٩٩٤م.



# ثبت موضوعات الكتاب

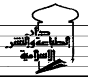
الموضـوع　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة

الفصل الثاني

* * *

رقم الإيداع ١١٧٩٥ / ١٩٩٤م

الترقيم الدولى
I . S . B . N . 977 - 565 - 111 - 4




مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ ت : ٣٦٣٣١٤ فاكس : ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٦١٨١٣٧